الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
أبو بكر بلقايد - جامعة تلمسان -
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في الأدب و النقد

الظواهر السِّيميائية في النص الأدبي العباسي بين الأصالة و الحداثة

إعداد الطالبة

حـــمدية زدام

إشراف

الأستاذ الدكتور

رضوان محمد حسين النجار

– أ.د. شايف عكاشة	– أستاذ التعليم العالي	– جامعة تلمسان	– رئيسا
– أ.د. رضوان النجار	– أستاذ التعليم العالي	– جامعة تلمسان	– مشرفا
– أ.د. زين الدين مختاري	– أستاذ التعليم العالي	– جامعة تلمسان	– عضوا
– أ.د. نور الدين صبار	– أستاذ التعليم العالي	– جامعة بلعباس	– عضوا
– أ.د. محمد باقي	– أستاذ التعليم العالي	– جامعة بلعباس	– عضوا
– د. أحمد عوني	– أستاذ محاضر (أ)	– جامعة تيارت	– عضوا

السنة الجامعية 1433هـ – 2012 م

6.31-09

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نتوجه بأسمى معاني الاحترام وأجلّ تعابير الشكر والتقدير إلى من سخر حياته في خدمة البحث العلمي الأكاديمي الجاد منافحا عن اللغة العربية وآدابها، فكان رمزا لبلاغة الخطاب وفصاحة الآداب.

إلى شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار.

دعاؤنا له الذي لا ينقطع لطول العمر في طاعة الله ودوام العلوّ.

حمدية

إهـــــــــــداء

إلى أنس وجودي:

نفحات

وهج الفضل

محمد الواثق

العذر و العفو لأني هبتكم للضياع خدمة لهذا البحث

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

إنّ الباحث في المفاهيم السيميائية في التراث العربي ، و نماذجه الفنية ، سيجد الكثير من الأصول الإستيمولوجية القاعدية ، التي يقوم عليها النتاج الفني، من مطالب فنية التي تسير وفق منحى التَّعدُّد ، و الانفتاح ، و الخروج عن هيمنة الدّال في رحاب المدلول ، و الذي يمارس بدوره هيمنة يصعب في كثير من الأحيان تجاوزها إلاّ بفعل التأويل ، و كسر حدود اللغة إلى الإحتمال الذي يتبناه النقد ، من خلال إجراءاته التحليلية و آلياته المنهجية ، التي كانت أداة مطواع في أيدي النقاد القُدامى الذين كان لهم الرأي الفصل في أهم القضايا تعقيداً. و هذا ما يثبت فضل السبق و المزية لعلماء العربية ، اذ بفضل جهودهم في البحث اللغوي والبلاغي ، استطاع الباحثون ، الذين انتبهوا إلى أهمية التراث، كمنطلق و أساس في تبني المفاهيم الحداثية ، و المذاهب العلمية الجديدة، دون الإعتقاد المطلق بايجابيتها أن يُهيكلوا اللغة العربية بميكانيزمات تكنولوجية ، و مستلزمات تقنية في بناء قواعد آلية المفردات المدوّنة العربية.

ذلك أن الإنبهار الحاصل بالنظريات الوافدة التي يقع التصوّر حولها ، وكأنّها حقائق علمية تابتة ، لا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن يُثبت في الجدل ، مع تجاهل قيمة التراث العلمي العربي لجهلهم به ، أو لإعتقادهم أنّ كلَّ مسائله، قد أتوا عليها ، و لم يبق شيئاً لم يفصل فيه.

و هذا لبُّ الإشكالية ، التي أردنا أن نوضح مغاليطها التي أفرزها الظّروف ، والشعور بالرغبة في التّغيير ، و الإحساس بالتّجديد ، الّذي استلهم كلَّ الجهود ، وأثار كلّ الاهتمام.

و قد توخيّنا لأجل ذلك ، أساليب الإقناع و قرع الحجة بالحجة ، و تقديم الطروحات العربية ، و ما يقابلها في الفكر الغربي ، فيما يُشابه و يُناظر ، و نزعنا إلى سبر أغوار التراث برؤية حداثية معاصرة ، فقصدنا التَّمعّن في الآراء العلمية المستحدثة ، باحثين عن منابعها الأصلية و مظانها الأولى في عمق التراث، فيتغيَّر المصطلح ويظل المفهوم هو نفسه ، الذي وقع عليه الأسبقون.

و قد قسمت مادة بحثي وفق المنهاج العلمي الآتي :

المقدمة

التمهيد : تطرقت فيه إلى الحديث عن المفهوم اللغوي و البياني للسيمياء في الفكر العربي.

الفصل الأوّل : يتناول الحديث عن السيميائية في التراث و علماؤها من العرب و يتفرّع إلى مبحثين :

المبحث الأوّل : ظاهرة التأويل في الفكر الإسلامي

المبحث الثاني : المعنى التركيبي و دلالات الثواني للنص الأدبي العباسي.

الفصل الثاني : و يتحدّث عن النشاط الرؤوي و الطروحات النقدية للقدامى و قسمته إلى مبحثين أيضا.

المبحث الأوّل : الأنظمة اللغوية للوحدة الإفرادية للنص الأدبي العباسي.

المبحث الثاني : المناهج المعتمدة في دراسة الأدب الجاحظ انموذجا.

الفصل الثالث : مقاربات بين النظرية النقدية القديمة و المعاصرة ، و هو فصل يستبين الأصول و الفروع ، و استطالت مباحثه إلى ثلاثة :

المبحث الأوّل : معنى المعنى بين عبد القاهر الجرجاني و رولان بارت.

المبحث الثاني : نظرية التعليق بين عبد القاهر الجرجاني و جون كوهين.

المبحث الثالث : فائض المعنى بين عبد القاهر الجرجاني و ميشال ريفاتير.

الفصل الرابع : و سأتطرق فيه إلى التحليل السيميائي لنماذج إبداعية من الشعر و النثر من العصر العباسي الأوّل ، و العصر العباسي الثاني ، و ذلك وفق منهج يأتلف فيه النموذج العربي و الغربي على السواء ، و مباحثه توسم كالآتي:

المبحث الأوّل : التّحليل السيميائي لنماذج إبداعية من العصر العباسي الأوّل من الشعر و النثر.

المبحث الثاني : التحليل السيميائي لنماذج إبداعية من العصر العباسي الثاني من الشعر و النثر.

الخاتمة:

و أنا أحاول أن أقرأ في تلك النّصوص التي تمثلت بها في متن البحث ، وأستقرئها عبارة ، عبارة ، لأستخرج المصطلحات و الآليات المقاربة ، لما وجد في النظريات الحديثة و أصل القرائن المقابلة ، و المضامين المشابهة بين القديم والمستحدث ، مشكلة قاعدة و أساس لأفكار ، و مقاصد لا تزال معالمها تخريجة جديدة ، إلاّ أنّها آخذة من الأصالة و بعمق فَوجدت نفسي إزاءها مقتفيةً لسناد المنهج الشمولي ، الذي منحني القدرة على تطويق هذا الزخم المعرفي المتشطي وأوتقه بجذورها ومنطلقاتها الأولى.

و اعتمدت على جملة من الكتب في مجال التخصص وكانت لي عمدةً وأساس فيما دنوت إليه من نتائج وطروحات، كمصادر التراث: دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة ، والبيان...

و مراجع تخص جانب النَّحو و الدّلالة و قضايا اللّسان، ككتاب: نظرية المعنى في الدّراسات النحوية للدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، وكتاب الدكتور والباحث عبد الرحمن الحاج صالح ، "بحوث و دراسات في اللّسانيات العربية".

و كتاب الدكتور عبد الجليل مرتاض "دراسة سيميائية و دلالية في الرواية والتراث" و كتب أخرى لعبد الحميد بورايو و غيرها ...

و من المجلات أذكر مجلة دراسات أدبية و لسانية. و هي مجلة فصلية تصدر من المغرب ، و مجلة السيميائية ، التي تصدر عن جامعة وهران و هي من أهم المجلات المنصفة للتراث. و تُحاول أن تثبت أسس علمية منهجية في التّعامل مع النُّصوص الإبداعية ، و تعطي منزلة للقديم.

و تعترف بأهميته ، بإجراء مقايسة بين ما يُساويه من طرح حديث.

و لا يفوتني أن أثني بالشكر الجزيل ، و الدُّعاء الذي لا ينقطع بدوام العلو ، وطوال العمر في طاعة الله و في إثراء ساحة الأدب ، بمزيد من الإبداع و التأليف والعطاء ، لأستاذنا الفاضل الدكتور رضوان محمد حسين النجار، الذي تحمّل مشقة الإشراف على هذا البحث بتوجيهاته الأكاديمية ، و نصائحه العلمية ، حول مادة البحث ، و تقسيماتها القويمة ، و إلحاحه على الأمانة العلمية والحث على المزيد من الإجتهاد.

كما أمدَّ البحث بأهم مصادره و مراجعه ، جزاه الله أحسن الجزاء.

و بفضل الله و حمده ، أتمّ البحث.

11 مارس 2011

تمهيـــد

السِّيْمِيَاءُ في تُراثِ الْعَرَبِيَّةِ[1]

"جُذُورٌ وَ أُصُولٌ"

قال الجُرجاني عبد القاهر في أسرار البلاغة : "تَجْرِي اللُّغَةُ مَجْرَى العلاماتِ و السِّماتِ ، و لا مَعْنَى للعلامةِ و السِّمةِ حتَّى يَحتمل الشيءُ ما جُعِلَتِ العلامةُ دليلاً عليه"[2].

تغرس السِّيْمِيَاءُ جذورها في عمق التراثِ العربي ، إذ الباحث في هذا المجالِ ، لواقعٌ في تراثنا على نظرياتٍ ومفاهيمَ بلاغيةٍ وبيانية، تتصلُ اتصالاً مباشراً بالمُصْطلحاتِ الحداثيةِ ذاتِ العلاقَةِ بهذا المجال السِّيميوطيقي المُسْتَحْدَثِ.

---

[1]- لفظ السِّيْمِيَاءُ (بكسر الميم) اسمٌ و مصطلحٌ عربي أصيل، ضرب بجذوره أعماق التراث العربي. لكنَّ بعض الباحثين الأعراب يستعملون لفظ السِّيْمْيَائِيَّة (بتسكين الميم ، و منسوبة بنسبة لاداعي لها) و كذلك تمَّ تأنيثها، و هذا غير جائز و لا لازم. و اشتهر هذا الاستعمال المُسَكَّنُ الميم لكونه ترجمة عن اللفظ و المصطلح الأجنبي.

و اعترض بعضهم – كما سيرد خلال هذا البحث – على هذا المصطلح (المسكن الميم) و أشاروا إلى حذف الياء الساكنة الأولى و ذلك تجنبا لالتقاء الساكنين.

و نعنون هذا البحث باللفظ و الاسم و المصطلح العربي التراثي الأصيل ، الذي لا اعتراض عليه ، و لن يكون لأحد مجالات احتجاج حواليه.

[2]- أسرار البلاغة – تحقيق محمد الفاضلي – ص 277.

السِّيما في الذِّكر الحكيم :

وردَ لفظُ "السِّيمَا" و مُشْتَقَّاتُهُ[1] كثيراً في القرآن الكريم، قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2]

وَ صدقَ اللهُ العظيم في قولِه الكريم

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[3].

المسوّمةُ : عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ المسوّمة الراعية ، و المطهمةُ الحِسَانُ.

و قال مكحول : المسوّمة الغُرَّةُ و التجميل، و قيل غير ذلك[4].

---

[1]- سوم (سماهم ، مسومين ، مسومة ...) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي – 372.

[2]- سورة البقرة – الآية الكريمة 273

[3]- سورة آل عمران – الآية الكريمة 14.

[4]- مختصر تفسير ابن كثير 1 / 270.

و قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ● إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ ● بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [1].

مُسَوَّمِينَ : أيُ مُعَلَّمِين بالسِّيما[2].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان سيما الملائكةِ يومَ بدرٍ الصُّوفُ الأبيضُ، و كان سيماهُم أيضاً في نواحي خيولهم.

و عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه في هذه الآيةِ (مُسَوَّمِينَ) قال : بالعهن الأحمر ، و قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه : أَتتِ الملائكةُ محمداً صَلَّى اللهُ عليه و آلهِ و سَلَّمَ مُسَوَّمِينَ بالصُّوفِ، فَسَوَّمَ محمدٌ و أصحابُهُ أنفسَهُم و خَيْلَهُم على سِمَاهم بالصُّوفِ.

---

[1]- سورة آل عمران – الآيات الكريمة 123 – 125.

[2]- مختصر تفسير ابن كثير 316/1.

و قال قتادة و عكرمة (مُسَوَّمِينَ) أي بسيما القتال.

و عن ابن عباسٍ قالَ : كان سيما الملائكةِ يومَ بدرٍ عَمَائِمُ بيضٍ ، قَدْ أَرسلوهَا في ظهورِهِم، و يومَ حُنَيْنَ عَمَائِمُ حُمْر.

و قال جلَّ شأنُهُ :

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[1]

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾[2]

---

[1]- سورة الأغراف – بعض الآية الكريمة 46.

[2]- سورة الأعراف – بعض الآية الكريمة 48.

﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[1] صدق اللهُ العظيمُ[2].

و قال تعالى – أيضاً – في كتابه السَّمَاويَ العظيمِ ، أَلاَ و هو القرآنُ الكريمُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ● مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[3]

---

[1]- سورة محمد – بعض الآية الكريمة 30.

[2]- (يعرفون كلاّ بسيماهم) قال ابن عباس : يعرفون أهلَ الجنة ببياضِ الوجوه ، و أهلَ النَّارِ بسوادِ الوجوه.

(يعرفونهم بسيماهم)

يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجالٍ من صناديد قريش و قادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم.

(فلعرفتهم بسيماهم) : لعرفتهم عياناً,

راجع : مختصر تفسير ابن كثير 22/2 – 23 و 336/3

و سأشير إلى هذا المصدر – فيما يأتي – بلفظ المختصر.

[3]- سورة هود – الآيتان الكريمتان 82 – 83.

و كذلك :

﴿قالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ● قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ● لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ● مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾[1]

(مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ)

مسوّمة : أي مُعَلَّمة. كلُّ حَجَرٍ مكتوبٌ عليه اسم الذي ينـــزل عليه[2].

و أيضاً ؛ مُسَوَّمَة : أي مُعَلَّمَة ، أي مكتتبة عنده بأسمائهم (أسماء المسرفين) كلّ حجرٍ عليه اسمُ صاحبهِ[3].

وَ هَا هُوَ ذَا (صَلَّى اللهُ عليه و آله وَ سَلَّمَ) :

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[4]

(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)

قال ابنُ عباسٍ : يعني السَّمَتَ الحَسنَ.

و قال مجاهد : يعني الخشوعُ و التواضعُ.

و قال السدي : الصلاةُ تُحَسِّنُ وجوهَهم.

---

[1]- سورة الذاريات – الآيات الكريمة 31 – 34.

[2]- المختصر 2 / 228.

[3]- المختصر 3 / 385.

[4]- سورة الفتح – بعض الآية الكريمة 29.

و قال بعضُ السَّلَفِ : من كَثُرَتْ صلاتهُ باللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُه بالنَّهَارِ.
وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ[1].
و حيثُ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾[2]
(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي بعلاماتٍ تظهرُ عليهم ، و قالَ الحَسَنُ وَ قتادةُ :
يُعْرَفُونَ باسوادِ الوجوهِ ، وَ زُرْقَةِ العيونِ.
و هذا نقيضُ ما يُعْرَفُ به المؤمنونَ : بالغُرَّةِ و التجبيل من آثار الوضوء[3].

السِّيماء في الحديث الشريف :

وردت اللفظة " سِيمَا " في أحاديثِ الرَّسُولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلاَمُ.
قال الرَّسُولُ: ﴿لَكُمُ سِيمَا لَيستْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ﴾[4]
و في روايةٍ أخرى ﴿سِيمَاءُ أُمَتّي لَيْسَ لأَحَدٍ غَيْرُهَا﴾[5]
و كذلك ﴿سِيمَاءُ هَذِه الأمّةَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِن آثَارِ السجُودِ﴾[6]
و أيضاً : ﴿سِيمَاهُمْ أَنَّ منهم رَجُلاً أَسْوَد﴾[7]

---

[1]- المختصر 355/3.
[2]- سورة الرحمن – الآية الكريمة 41.
[3]- المختصر 420/3.
[4]- مسلم من الحجاج ، الطهارة : 36 – 37.
[5]- ابن ماجة ، الزهر : 34.
[6]- الترمذي ، الجمعة : 74.
[7]- أحمد بن حنبل : 81 – 1 – 174.

وَ فِي الحديث الشريف أَمَرَ صَلَّى اللهُ عليه و آلهِ وَ سَلَّمَ أصحابه يَوْمَ بَدْرٍ بقوله الشريف : سَوِّمُوا ، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ سَوَّمَتْ ، أَيْ اعْمَلُوا لَكُمْ عَلاَمَةً يَعْرِفُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً.

وَ فِي حَديثِ الخَوَارِجِ : سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ ، أَيْ عَلاَمَتُهُمْ وَ الأَصْلُ فِيهَا الوَاوُ ، فَقُلِبَتْ لِكَسْرَةِ السِّينِ ، وَ تُمَدُّ وَ تُقْصَرُ[1] .

السِّيمياء و معاجم التأسيس :

لقد جاءت كلمة " سِيمَا " بِصِيَغٍ مختلفةٍ، وكلُّهَا تَحْمِلُ معاني متقاربةً، فهي العلامةُ، والصِّفَةُ، والمِيزَةُ، والإشارةُ أيضا.

وَ حَمَلَتْ هذه الكلمةُ في الحديثِ الشَّريفِ، المعاني نَفْسَها التي جِيئتْ في آيِ الذِّكْرِ الحكيمِ.

إذا بحثنا في معجماتِ اللُّغَةِ العربيَّةِ، لَوَجدْنَا مفهومَ هذَا المُصْطَلَحِ يعني :

السُّومة – السِّيمة– و السِّيمَاء.

و كلُّها تقصد العلامة.

---

[1]- اللسان (لسان العرب لابن منظور) 3 / 2159.

وقد يجيء السيما و السيميا ممدودين بكسرهن، أي بكسر السين – العلامة يعرف بها الخير و الشر[1].

و في اللِّسَانِ[2] : السُّومَةُ و السِّيمَةُ و السِّيماءُ و السِّيمِياءُ : العَلاَمَةُ.

وَ سَوَّمَ الْفَرَسَ : جَعَلَ عَلَيْهِ السِّيمَةَ

وَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ : "حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ".

قال الزَّجَّاجُ : رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهَا مُعَلَّمَةٌ بِبَيَاضٍ وَ حُمْرَةٍ.

و قالَ غَيْرُهُ : مُسَوَّمَةً بِعَلاَمَةٍ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّها لَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةِ الدُّنْيَا. وَ يُعْلَمُ بِسيماها أَنَّهَا مِمَّا عَذَّبَ اللهُ بِهَا.

و عند الجَوْهَرِيُّ : مُسَوَّمَةً : أيْ عليها أَمْثالُ الخُوَاتِمِ.

و أيضاً – و القول لا يزال للجوهري – : السُّومَةُ بالضَّمِّ ، العَلاَمَةُ تُجْعَلُ على الشَّأةِ ، و في الحَرْبِ أَيْضاً.

---

[1]- انظر : مادة (سَوَمَ) : معجم العين للفراهيدي 321/7 – صحاح الجوهري 1955/5 ، جمهرة ابن دريد 257/3 – محيط الفيروزآبادي 135/4 – أساس الزمخشري 469 – لسان ابن منظور 312/12.

[2]- 2158/3 و ما بعدها.

تَقُولُ مِنْهُ : تَسَوَّمَ.

قال أَبُوبكْرٍ بن دريد : قَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سِيما حَسَنَةٌ مَعْنَاهُ عَلاَمَةٌ و هي مأخوذَةٌ من وَسَمْتُ أَسِمُ.

قالَ : و الأَصْلُ في سِيمَا، وَسْمَى، فَحُوِّلَت الواوُ مِنْ مَوْضِعِ الفَاءِ ، فَوُضِعَتْ فِي مَوْضِعِ العَيْنِ، كَمَا قَالُوا مَا أَطْيَبَهُ وَ أَيْطَبَهُ ، فَصَارَ سِوْمَى. وَ جُعِلَتْ الواوُ ياءً لِسُكُونِهَا و انْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا[1].

وَ فِي التَّنْزِيلِ العزيزِ : (وَ الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ) ،

قالَ أَبُو زَيْدٍ : الخيلُ المُسوَّمَةُ الْمُرْسَلَةُ وَ عَلَيْهَا رُكْبَانُهَا ، وَ هُوَ مِنْ قَوْلِكَ : سَوَّمْتُ فُلاَناً إذا خَلَّيْتَهُ وَ سَوْمَهُ أَيْ وَ مَا يُريدُ.

وَ قِيلَ : الْخَيْلُ المُسَوَّمَةُ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا السِّيما و السُّومَةُ وَ هِي العَلاَمَةُ.

و قال ابنُ الأَعْرَابِيِّ : السِّيَمُ الْعَلاَمَاتُ على صُوفِ الغَنَمِ.

---

[1]- تاج الزبيدي ، مادة سوم ، طبعة بولاق 8 / 350.

و قال تعالى : "مِنَ الملائكَةِ مُسَوَّمِينَ" قُرِئَ بِفَتْحِ الواوِ ، أَرَادَ مُعَلَّمِينَ ، و الخَيْلُ المُسَوَّمَةُ : الْمَرْعِيَّةُ ، و المُسَوَّمَةُ : المُعَلَّمَةُ.

و قولهُ تَعَالَى : "مُسَوَّمِينَ" . قال الأَخْفَشُ : يَكُونُ مُعَلَّمِينَ ، و يكونُ مُرْسَلِينَ ، مِنْ قَوْلِكَ سَوَّمَ فِيها الخيلَ أَيْ أَرْسَلَهَا ، وَ مِنْهُ السَّائِمَةُ ، وَ إِنَّمَا جاءَ بالياءِ و النَّونِ لأَنَّ الخَيْلَ سُوِّمَتْ وَ عَلَيْهَا رُكْبَانُهَا.

قال اللَّيْثُ : سَوَّمَ فُلاَنٌ فَرَسَهُ إِذَا أَعْلَمَ عَلَيْهِ بِحَرِيرَةٍ أَو بشيءٍ يُعْرَفُ بِهِ.

قالَ : وَ السِّيما يَاؤُهَا فِي الأَصْلِ واوٌ ، وَ هِيَ العَلاَمَةُ يُعْرَفُ بِهَا الخَيْرُ وَ الشَّرُّ.

قالَ اللهُ تَعَالى : "تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ".

قالَ اللَّيْثُ أيضاً : وَ فِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى السِّيماءُ بالمَدِّ.

قال الشَّاعِرُ :

غُــلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعاً لهُ سِيمِياءٌ لاَ تَشُقُّ عَلَى البَصَــرْ

تَأْنِيثُ سِيمَا غَيْرَ مُجْرًى.

قالَ الجَوْهَرِيُّ : السِّيما مَقْصُورٌ مِنَ الوَاوِ.

قال تعالى : "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ".

قال : و قَدْ يَجِيءُ السِّيمَا و السِّيمِيا مَمْدُودَيْنِ ؛ وَ أَنْشَدَ لأُسَيْدِ بنِ عَنْقَاءَ الفَزَارِيِّ يَمْدَحُ عُمَيْلَةَ حينَ قَاسَمَهُ ما لَهُ :

غُلاَمٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يَــافِــعاً لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَــرْ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْــرِهِ وَفِي جِيدِهِ الشِّعْرَى وَفي وَجْهِهِ القَمَرْ

لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ أيْ يَفرَحُ بِهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

قالَ ابنُ بَرِّي : وَ حَكَى عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ أنَّ أَبا رِيَاشٍ قالَ :

لا يَرْوي بَيْتَ ابنِ عَنْقَاءَ الْفَزَارِيّ : (غُــلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعاً)

إلاَّ أَعْمَى البَصِيرَةِ ، لأَنَّ الحُسْنَ مَوْلُودٌ و إنَّمَا هُوَ : (رَمَاهُ اللهُ بالخَيْرِ يَافِعًا) ، قالَ : حَكَاهُ أَبُو رِيَاشٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، قالَ الأَصْمَعِيُّ : السِّيماءُ ، مَمْدُودَةٌ ، السِّيمِياءُ ؛ أَنْشَدَ شَمِرٌ فِي بابِ السِّيمَا مَقْصُورَةٌ للجَعْدِيِّ.

و لَهُــــــمْ سِيمَا إِذَا تُبْصِرُهُمْ بَيَّنَتْ رِيبَةَ مَنْ كَانَ سَــــــأَلْ

و السيماء : العلامة

و جاء في الأساس : سَوَّمَ فرسَه : أَعْلَمَهُ بِسَوْمة و هي العلامةُ ، و خيلٌ مُسَوَّمَةٌ ...

و فلانٌ مُحكَّمٌ مُسَوَّمٌ : مُخَلًّى لا تُثْنَى له يدٌ في أمرٍ. و فيه سِيما الصَّلاحُ

و سِيمَاؤُه : قال القطامي :

أَبِــي عَنْهُ وَرِثْتُ ســوامَ مَجْدٍ وَ كُلُّ أبٍ سَيورَثُ مَا يسيــــمُ

وَ عَوْدَةٌ إلى الجوهري في قوله : السّومة : العلامةُ تُجْعَلُ على الشَّاةِ ، و في الحَرْبِ أيضا.

قال ابن الأعرابي : السِّيمة العلامةُ على صُوف الغنمِ، والجمع السِّيَمُ، و القَصْرُ في الثَّالثةِ لُغَةٌ وبه جاءَ التنـــزيل : " سِيماهُم في وجُوهِهم "[1].

[1]- سورة الفتح – بعض الآية الكريمة 29.

التراث العربي و مصطلح السيميوطيقا :

يقول محمد سعد الله حول مصطلح السيميوطيقا الحديث[1]:

"فالسّيميوطيقا وُضعتْ بِوَصْفِهَا مُصْطَلحاً نقلياً عن (SEMIOTIC) و هي عند لوك: معرفةُ العلاماتِ ، و عند بيرس : نظريةُ العلاماتِ، و عند موريس: النظريَّةُ العامَّةُ للعلاماتِ، و عند إيكو: العلمُ الذي يدرسُ سائرَ ظواهرِ الثقافةِ بوَصْفِهَا أنظمة للعلاماتِ، و عند سيبيوك: وظيفةٌ للتواصلِ و التعبيرِ.

و لفظ السيميوطيقا مأخوذٌ من الكلمةِ الإغريقيةِ القديمةِ (سيميون)، (semeion) ، وهي تأخذُ معنَى الإشارةِ، ولذلك قد يسميها البعضُ علمَ الإشاراتِ، والرموز .... القابلة منها للتفاهُمِ بين البشر[2].

أي أنَّ الأنظمةَ التي تُمْكِّنُ الكائنات البشريةَ من فَهْمِ بعضِ الأحداثِ، أو الوحدات بوَصْفِها علامات، تحملُ معنًى، و هذه الأنظمةُ هي نَفْسُهَا أجزاءٌ أو نواحٍ من الثقافةِ الإنسانيةِ[3]، فأقوالُنَا تُحدِّدُهَا أنظمةٌ و شفراتٌ، يشتركُ بها كلُّ من يُنْتِجُ و يَفْهَمُ هذه الأقوالَ.

---

[1]- محمد سعد الله – مملكة النص.

[2]- أنظر كتاب دراسة سيميائية و دلالية ز الرواية والتراث، لعبد الجليل مرتاض، الأبيار، الجزائر، 2004، الصفحة 68.

[3]- السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (دط) – (دت)، – 15/4

و تضيفُ المعاجمُ العربيَّةُ الحديثةُ معانيَ أُخرى غيرَ العلامةِ منها (الحُسْنُ ، البَهْجَةُ ، القيمـــــةُ ...) [1].

في حين تشيرُ الموسوعاتُ العربيَّةُ الحديثةُ إلى أن السيمياء هي علمُ معاني الألفاظِ الذي يبحثُ في العلامةِ بين حروف الكلمةِ و دلالتها[2].

و التراثُ العربيُّ فَيْضٌ مِنَ الحركاتِ والإيماءاتِ و الإشاراتِ، و الإشاراتُ ضَرْبٌ من العلاماتِ، فكلُّ اشارةٍ علامةٌ، وليستْ كُلُّ علامةٍ إشارة[3].

فالعرب قديما، أدركتْ معاني علامات الاتصال للإشارات الاصطلاحيةِ، عن طريقِ الدِّراسةِ والتجربةِ، كما تُبَيِّنُ المصنفاتُ اللُّغويَّةُ، حولَ المواضيعِ الصوتيةِ، والدِّراساتُ التي قاموا بها في مجالِ الاتصالِ الخاص بالإنسانِ و الحيوانِ على السّواءِ.

---

[1]- المعجم الوسيط ، أحمد حسن الزيّات و آخرون 468/1. و ينظر معجم الرائد – جبـــران مسعود 853 و معجم متن اللغة ، محمد رضا 257/3.

[2]- الموسوعة العربية الميسرة : إشراف : محمد شفيق غربال 1056 و ينظر الموسوعة الثقافية : إشراف حسين سعيد 581.

[3]- والفرق بين الاشارة والعلامة، أن الإشارة تقتضي وجود طرفي : مرسل (بكسر السين) غرضه الإخبار بشيء ما، ثم الإتفاق عليه، ومستقبل (بكسر الباء)، أما العلامة فهي لا تقتضي وجود هذين الطرفين، أنظر المرجع السابق، الصفحة 70.

و اشتهرتِ العربُ بقراءةِ العلاماتِ، كقراءةِ آثارِ أقدامِ الحيواناتِ و البشرِ، وهو ما يُعْرَفُ لديهم بالقيافةِ، التي قالَ فيها أهلُ النَّظَر والتَّنقيرِ أَنَّهَا: "اسمٌ مشتقٌ من القَفْو، وهو معنى استدلالي"[1].

و المتخصصونَ بهذا العلمِ يُدْعَوْنَ بالقافَةِ، ولهم قُدْرَةٌ تُمَيِّزُهُم عن غيرِهم، وَ تُؤَهِّلَهُم للتفرقةِ بين آثارِ أقدامِ النَّاسِ.

و القيافةُ علمٌ توصَّلَ إليه العرب بقوَّةِ الذَّكَاءِ، وكثرةِ المزاولةِ، وَ تُنْسَبُ القيافةُ لِبني مدلج، وأحيانًا إلى مُضَرَ بنِ نزارٍ بنِ مَعْد، كما اشتهر اليمنيونَ بالكَهَانةِ، وبنو أَسَدٍ بالزَّجْرِ.

قال المسعودي : "و بأرضِ الجفار[2]أناسٌ مِنَ العربِ يتناولُ الإنسانُ من تَمرِ نَخلهم، فيغيبُ عنهم السِّنينَ، وَ لَمْ يَرَوْهُ، و لا شَاهَدُوهُ، فَإِنْ رَأَوْهُ بعدَ مُدَّةٍ، عَلِمُوا أَنَّه الآخذُ لِتَمرهِمِ، و لا يكادونَ يُخْطِئونَ ....ولا تكادُ تَخْفَى عليهم أقدامُ أيِّ النَّاسِ منهم"[3].

و القيافةُ ضَرْبٌ مِنَ الفراسةِ، تعينُ عليه قُوَّةُ الخيالِ، فيهتدي بآثارِ الأَقْدَامِ على أَصْحَابِهَا، و لقدْ بلغَ العربُ في ذلك مِنَ الأعاجيبِ، إلى ما يكادُ و لا يصدقه العقلُ، إذ كانوا يُمَيِّزُونَ بينَ أَثَرِ الرَّجُلِ والمرأةِ ، و الأعمى و البصيرِ ، و المثْقَلِ و المُخِفِّ، و إنَّ شيئاً مِنْ ذلك لا يزالُ باقياً بين البدو إلى اليومِ.

---

[1]- مروج الذهب للمسعودي ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1966، 145/2.

[2]- الجفار، ماء لبني تميم بنجد، وهي بلاد الرمل.

[3]- المصدر الأسبق، 150/2.

و إلى جانبِ هذا نجدُ الفراسةَ، و هي الاستدلالُ بهيئةِ الشخصِ و كلامِه وظاهرِ أعضائِه على أَخْلاَقِه و صِفاتِه، و طبيعةُ الفراسةِ ليستْ علامةً دالةً بنفسِها على نَفْسِها لسائرِ النَّاسِ، بل لفئةٍ معينةٍ ممن رُزِقَتْ قَدْراً كبيراً وخارقاً من الذَّكَاءِ، و قوَّةِ الحِسِّ والتميز، والإدراكِ ... و قد تكونُ الفراسةُ أصعَب إدراكاً من القيافةِ، لأنَّ الخبرةَ تقومُ على اقتفاءِ الآثارِ بواسطةِ دلائلَ محسوسةٍ، و أمَّا الأولى فهي لا تعتمدُ إلاَّ على النَّظَرِ والمُقَارَنَةِ بينَ الأجسامِ والأعضاءِ، والحركاتِ و الكلامِ والصِّفاتِ[1].

و في تفسيرِ قولِه تعالَى : (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُم) أي بما يظهرُ لذوي الألبابِ من صفاتهم كمَا قال الله تعالى (سِيماهُم في وجُوهِهم) و قال تعالى (وَ لَتَعْرِفنّهُم في لَحْنِ القَوْلِ) و في الحديث الشريف[2] : (اتقوا فراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله) ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلمُتَوَسِّمِينَ﴾[3].

و الفراسةُ والقيافةُ من العلاماتِ السيميوطيقية لأنّها عِلْمٌ لا يختصُّ به سائرُ النَّاسِ، أي لا يُدْرِكُهُ كُلُّ البَشَرِ.

---

[1]- عبد الجليل مرتاض، "دراسة سيميائية دلالية في الرواية والتراث" ، الصفحة 73.

[2]- المختصر 244/1

[3]- سورة الحجر – الآية الكريمة 75

و يجعلُ الدكتور عبدُ الجليلِ مرتاض الكهانةَ و السِّحْرَ، و بعضَ الفنونِ الشعبيةِ، والتي تعودُ إلى العربِ القُدَامى ضرباً من السيميوطيقية[1] لأنَّها علاماتٌ دالةٌ على أيِّ حالٍ، و تَنُمُّ عن مفاهيمَ فكريَّةٍ و ثقافيةٍ وحضاريةٍ لكَوْنِ أصحابِها يستوحونَ مِنْ أحلامِهم أو رؤاهم دلالاتٍ غيرَ الدَّلالاتِ التي يُشَاهِدُونَها.

كما أن تسميةَ العربِ لأبنائِهم بالأَسَدِ واللَّيْثِ و الكَلْبِ والضَّبِّ .... لم تَكُنْ مقصودةً للدَّلاَلةِ الماديةِ عَلَى هذِه التَّسْمياتِ، بل كانَ يُنْظَرُ إلى جَوْهَرِ مدلولِ الدَّالِّ أو الرَّامِزِ في داخلهِ إلى الرُّعْبِ والقُوَّةِ و البطشِ ... و نحوَ ذلكَ.

كما كانتْ لهم مذاهبُ أخرى في تسميةِ أبنائهم[2]وهي طرائقُ تحملُ دلالاتٍ سيميوطيقية.

---

[1]- دراسة سيميائية دلالية في الرواية و التراث – ص 74.

و قد آثر إبن خلدون تسمية (السيمياء) بـــ (علم أسرار الحروف) و قد تناولها في حديثه عن السحر ، و ذكر أن الفلاسفةيدرجونها في باب الشعوذة (مقدمة ابن خلدون 273 – 275)

و تؤكد دائرة المعارف الإسلامية أن لفظة (سيمياء) من الكلمات العربية القديمة التي تعني السِّمة أو الإشارة أو الإِشْعَار و أنَّها.

استخدمت في الأصل للإشارة إلى معاني السحر ، و قد أُطْلِقَتْ على علم الطلاسم بصورةٍ عامة. (دائرة المعارف الإسلامية 20/13 -21).

[2]- لما سُئِلَ العربُ لماذا تسمون أبناءكم بالأسماء المشينة وعبيدكم بالأسماء المستحسنة؟ أجابوا لأننا نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا " الاشتقاق " لأبن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (دط)، 1995 ، 6/1.

و يحاول ابنُ فارس تفسيرَ هذه الظاهرةِ بقوله : "مِنْ سُنَنِ العربِ إذ تسمي أبناءَها بحَجَرٍ، وَكَلْبٍ، و نِمْرٍ، و ذِئْبٍ، وَ أَسَدٍ، وما شابهها، وكانَ بعضُهم إذا وُلِدَ لأَحَدِهم ولدٌ سَمَّاهُ كمَا يراه ويسمعه مما يتفاءلُ به ، فإنْ رأى حَجَراً تأوَّلَ فيه الشِّدَّةَ و الصَّلابةَ، والصَّبْرَ و البَقَاءَ، و إنْ رأى كلبًا تأوَّلَ فيه الحِراسَة والأُلْفَةَ وَ بُعْدَ الصَّوْتِ، وَ مَنْ رأى نمرا تأوَّلَ فيه المنعةَ والتيهَ و الشكاسةَ، ومن رأى ذئباً تأوَّل فيه المَهَابَةَ و القُدْرَةَ والحشمةَ ..." [1].

و يؤكد الأستاذ عبد الجليل مرتاض على فضلِ السَّبْقِ والمزيَّةِ للعَرَبِ في هذا المجالِ المعرفي، قائلا : "و هذا التفسيرُ : تفسيرٌ سيميوطيقي دلالي في نفسِ الوقت، وهو ما لم يصلْ إليه الغربيونَ، إلا في العصرِ الحديثِ، لأنَّ كُلَّ اسمٍ عبارةٌ عن دالٍّ أو رَمْزٍ، وكدليل عليه (الشيء الخارجي للجسم) ثم إدراكُ هذه الصُّورَةِ الذهنيةِ بمعنى أنَّ العدوَّ حينَ يسمعُ اسمَ اللَّيْثِ فهو يتصوَّرُ هذا المُسَمَّى كَأَنَّهُ في هيئةِ أَسَدٍ حقيقي، مما يبعثُ فيه الرُّعْبَ قبلَ لِقَائِهِ ... [2].

فالعربيَّ كانَ لا ينظرُ إلى الاسمِ الذي يَرْمُزُ إلى المُسَمَّى (البشر) بل إلى معاني ودلالاتِ ما يحملُه هذا الاسمُ.

---

[1]– فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، تحقيق أمين نسيب، خط دار الجبل، بيروت، الصفحة 442.

[2]– دراسة سيميائية دلالية، الرواية والتراث " لعبد الجليل مرتاض "، الصفحة 82.

كما أنَّ تفاؤلَ العربِ وَ تَطَيُّرَها بالحيواناتِ[1] أو النباتاتِ قراءةٌ أُخْرَى في مجالِ السيميائية، كما هو مُبَيَّنٌ في شعرِ الشُّعَراءِ القُدامى، إذ اهتمُّوا بموضوعِ السيميائية، فَعَبَّرُوا عن مواضيعَ شَتَّى، تتصلُ بكُلِّ مناحي حياتهم المختلفةِ، فناجَوا الطبيعةَ وحاوروهَا، مُسْتَخْدِمينَ ما أغدقتْ به عليهم لُغَتُهُم من مجازاتِ عديدةٍ.

و لعلَّ دراسةَ القُدامى من اللغويينَ والأدباءِ للإشارةِ، يترتَّبُ عنها مقاصدُ بلاغيَّةٌ متنوعةٌ، وإشاراتٌ مجازيَّةٌ كانتِ البدايةُ الأولى للدَّرْس السيميائي، وهي تعتمدُ أساساً على البداهةِ، فهم الذين قالوا : " العينُ بابُ الْقَلْبِ، وما كان في القلبِ ظَهَرَ في العَيْنِ." [2]

و يمكنُ افتراضُ اسم سام (أبو العرب) لها، و عليه يكونُ الأصلُ الأوّلُ للفظة (السيمياء) عربيّاً علاوةً على وجودِ جذرها و أصولِهَا في المعاجمِ العربية القديمةِ التأسيسية الأولى ، ناهيك عن ورودها في القرآنِ الكريم.

ثم استخدامُ العربِ القُدَامى لهذا اللفظِ الدَّالِّ على معانٍ يقصدونَها.

---

[1]- كان العرب يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، كما هو ثابت في شعر الذبياني وذي الرمة وزهير و غيرهم.

[2]- العقد الفريد لأبن عبد ربه، تحقيق : أحمد أمين وزملاؤه، لجنة التأليف والترجمة و النشر، ط 1 – (دت) 361/2

المصطلح و علماء اللسانيات العرب :

و أطلق علماءُ اللِّسانياتِ، العربُ على هذا العِلْمِ اسم (السيميوطيقا) وترجموه تارَّةً باسم عِلْمِ الرموز، وتارة أخرى باسم (علم الدلالة) و اقترحوا تسميته في اللغة العربية بالسيميائية أيْ العلامات، وهي تسميةٌ موفقة في استخدامها للكلمة العربية "سيمياء"، أي علامةٌ أو مَلْمَحٌ ، و هو الأفضلُ في إطلاقِ الإسمِ العربي عليه، لأَنَّ النقلَ أولى من الاشتقاقِ في استخدامِ الأسماء الجديدة. و قد تناولت بحوثٌ كثيرةٌ (السيمياء) منذ التأسيسِ و النشأةِ حتى المعالجةِ الإجرائية للمصطلح[1].

و ذكر (عادل فاخوري) أن العربَ توصلوا إلى وَضْعِ أسسٍ عامة لنظريةِ العلاماتِ أو السيمياء تحتَ عنوانِ الدلالة.

و كان ذلك في إطارِ تعيينِ العلامة التي تربطُ اللفظَ بالمعنى أو رَبْطُ الدَّالِّ بالمدلولِ.

و استعرض الفاخوري أربعَ صُوَرٍ للدالِ و المدلولِ استخدمها العربُ :

---

[1]- أنظر على سبيل المثال : علم الدلالة عند العرب (السيمياء) عاطف القاضي – مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 18 – 19، 1982.

الإشارة : الجذور الفلسفية و النظرية اللسانية – بسام بركة – مجلة الفكر العربي المعاصر – العدد 30 – 31 ، 1984.

تيارات في السيمياء : عادل فاخوري ضمن كتاب (الموسوعة الفلسفية العربية) المجلد الثاني – إشراف د. محمد زيان.

1. كونها لفظاً كأسماءِ الأفعالِ الموضوعةِ لألفاظِ الأفعالِ أي : (عباراتُ اللُّغَةِ الماورائية التي تدلُّ على العباراتِ الموضوعةِ لها من اللغة الشيئية).

2. كَوْنُ اللفظِ دالاً ، و المدلولُ غير ذلك، كزيد الدال على الشخص الإنساني.

3.كونُ المدلولِ لفظاً و الدالُّ غير ذلك، كالخطوطِ الدالةِ على الألفاظِ ، مثل : الخط المستقيم ، الخط المنحني ، و نحو ذلك.

4. كَوْنُهَا غير لفظٍ ، كالعقودِ الدالةِ على الأعدادِ، و بهذا تتحصَّلُ دلالةٌ لفظيةٌ مِنَ الصُّوَرِ بين الأولى و الثانية ، و دلالةٌ غيرُ لفظيَّةٍ من الصُّورتَيْنِ الثالثةِ والرابعةِ.

و يشيرُ أيضاً إلى أنَّ السيمياءَ العربيَّةَ اقترحتْ تقسيماً آخرَ يعتمدُ على نوعية العلاقة الدلاليةِ و هو :

– الدلالة العقلية : يكونُ بين الطرفين علاقةُ عِلَّةٍ و معلولٍ ، مثل : الدُّخَان فهو علامةٌ على النَّارِ ، و الكلامُ الصَّادِرُ فهو قرينةٌ وجودِ المتكلّم.

– الدلالة الطبيعية : يكونُ بين الطرفين علاقةٌ تصويريةٌ ، بحيثُ يكونُ من طَبْعِ المتلقي الإنتقالُ إلى المدلولِ عندَ حضورِ الدَّالِّ مثل : حُمْرَةُ الوجه عندَ الخجل.

و قد رسم الأستاذ محمد سالم سعد الله في كتابه مملكة النص (التحليل السيميائي للنقد البلاغي) لوحةً توضح تقسيمَ الدلالاتِ عند العرب و فروعها[1].

و يقولُ أيضاً في مَوْضِعٍ آخر من كتابه[2]: و يمكنُ إجمال ما قيلَ في ولادةِ السيمياء العربية على النحو الآتي :

- مرحلة ما قبل الإسلام.
- علم السحر.
- علم أسرار الحروف.
- مرحلة ما بعد الإسلام (مرحلة الإسلام و ما بعده).

– في القرآنِ الكريم و في المعاجم العربيةِ التأسيسية (العلامة = السمه ، الإشارة).

– الميدان اللغوي / المنطقي / الفلسفي = علم الدلالة.

– الميدان الفقهي (مع علم الأصول) = إشارة النص ، دلالة النص ، دلالة الإقتضاء ، عبارة النص).

---

[1]- ص 10 – 11.

[2]- مملكة النص – ص 14.

أمّا علماءُ اللِّسانِ المغاربة، فقد أولوا اهتماماً عظيما بهذا المجالِ، إذْ حاولوا تحديدَ المصطلح، وتثبيتَ أصوله في الدراساتِ العربية من خلالِ تلك المفاهيمِ البلاغية التي وَظَّفَهَا علماؤنا القُدَامى، في التعاملِ مع النصوص الإبداعيةِ الشعرية والنثرية على السّواء.

كما حاول المغاربةُ تحويرَ معالَمِ هذا المصطلحِ.

.بما يتطابقُ وخصائصُ النصِّ الأدبي العربي، حفاظاً منهم على تلك القطوفِ الفنية التي تتخلل ثنايا أيّ نصٍّ إبداعي.

و يرى الدكتور عبد المالك مرتاض، أنه ليسَ من السَّهْل الوصول إلى حلٍّ هذه المشكلة المصطلحاتية، حيث إنَّ هناكَ مصطلحين اثنينِ غربيين، مستعملين وهما : السيميائية التي يقترحها مقابلا للمصطلح الأجنبي (Sémiologi , Sémiology)

.

و يشدد عبد المالك مرتاض اللهجةَ على من لا يكترث في الاستخدام العشوائي لهذا اللفظ، فيقول : " ومن أراد أن يشوّهَ اللغةَ العربيةَ، وبعثو فيها فساداً كبيرا، بأن يستعملَ فيها إختيارا، لفظاً غربيا، فعليه على الأقلِّ أنْ لا يكتبَ هذا

اللفظَ سيميولوجيا، ولكن عليه أن يكتبه، سِيمْيُولُوْجِي : أي بدونِ ياءٍ بين السين والميم، من أجل تلافي التقاء ساكنين اثنين"[1].

و يفضّلُ أن يستخدمَ كلمةَ السيميائياتية مقابلا للمصطلح الأجنبي (Sémiologues , Semiotics) والغربيون أنفسهم يضطربون في التمييز بين المصطلحين السابقين.

فهل اختلاف لفظيهما يعني إختلافهما دلاليا ؟.

فرولان بارط يعتبر اللفظتين مترادفتين، لكنَّ العالمَ اللسانياتي الدانماركي هجلمسلف[2] فقرر أنه من الأمثل تخصيص مصطلح سيميائيات(Semiotics) للبحوثِ المتعلقة بالمجالاتِ الخاصة بالأدب والسينما، والإشارية ... من حيث تخصيص السيميائية (Sémiologie, Sémiology) للنظرية العامة لكل هذه السيميائيات (Sémiotique, Sémiotics) [3].

فكأن السيميائيةَ بناءً على هذا التحديدِ تتمحص للعلم والنظرية، أي إلى كافةِ الإجراءات، والأدواتِ و المبادئ (مجموعة النظريات) التي تحكم هذا الحقلَ،

---

[1]- كتاب الرياض، العدد 47، أكتوبر 1997، عن مقالة : قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهاية التأويل، الصفحة 337.

[2]- C.f greimaret courtes sémiotique. (sémiologie)

[3]- M.arrivé, la semiotique litteraire, in la semiotique, l'école de paris. P 128

وترسمُ حدودَه، وتضبطُ معالَمه، بينما ينصرفُ مفهومُ السيميائيات إلى الممارساتِ التطبيقية، وإلى القراءات التي تحلل النصوصَ بالإجراءات السيماءوية من أجلِ كلِّ ذلك يجب اصطناع هذين الوصفين بناءً على طبيعةِ الموقف العلمي الماثلِ والغاية المعرفية التي تراد، وهذه مشكلة أخرى وكثيراً ما تفضي إلى خَلْطٍ معرفي شديدٍ لدى النقاد العربِ المعاصرينَ.

و قد ألفينا الدكتور عبد الله الغدامي يفرد بحثاً لهذا المصطلح الشائك[1]....

فيرى تعدّدَ الأسماءِ، فهناك السيميولوجيا، والدلائلية، و علم العلامة ،

والسيمياء[2]فآثر أن يستعملَ اللفظَ الأجنبيَّ (سيميولوجيا).

ويعجب مرتاض عبد المالك من التخريجةِ الاصطلاحية للغدامي لإيثاره للفظةٍ أجنبيةٍ نصفها إغريقي، والنصف الآخر إما فرنسي برسمٍ إملائي معين، وإما إنجليزي برسم إملائي آخر.

و يرفضُ الدكتور عبد المالك مرتاض، الإصرارَ على استعمالِ الألفاظِ الأجنبيةِ في اللغة العربية، مع وجودِ فَيْضٍ فائضٍ من المرادفاتِ العربية، والمستعملة للمعنى نَفْسِهِ.

ويقترحُ علينا مصطلح السيمائية، و الغايةُ مِنْ ذلكَ، مايلي :

---

[1]- الخطيئة والتفكير للغدامي، ص 42 – 43، عن المرجع السابق ، الصفحة 339.

[2]- المرجع السابق، عن نفس المرجع، الصفحة نفسها.

1- اقتصادُ حرفٍ واحدٍ من هذا اللفظِ، مادام اللفظان الاثنان يدلاَّنِ في اللغة العربيةِ على شيءٍ واحدٍ باتفاق المُعْجَمِيينَ.

2- تلافي اللَّحْنَ الشائعَ لدَى المتعاملينَ حين يضطرونَ إلى تسكينِ ميم السيميائية لطول اللفظ.

3- تَجَنُّبُ استعمالِ لفظٍ أجنبي، مجانًا و بدونِ ضرورةٍ علمية.

4- السيميائية بين الماهية و الوظيفية[1] .

مشاهير أعلام السِّيميائية في الغرب :

تنتمي السيميائيةُ – أيّاً كانت التسمية – في أصولها ومنهجيتها إلى البنيويةِ، إذ البنيوية نفسها منهجٌ منتظمٌ لدراسة الأنظمةِ الإشارة المختلفة في الثقافة العامة[2] و من أشهرِ أعلام السيميائيةِ الغرب نذكرُ شارلس ساندرس بيرس، ياكبسون، وامبرتو ايكو، ومايكل ريفاتير، وإن كان دي سوسير هو الذي استخلصَ مُسَمَّى السيميولوجيا، فإن رولان بارت هو الذي مارسَ التحليلَ السيميائي على أكملِ

[1]– المرجع السابق، الصفحة 343.

[2]– دليل الناقد الأدبي، البازغي و الرويلي – ط3 – (دت) – الصفحة 177 – 178.

وجه، جاءَ بما يقلبُ مقولةَ سوسير، إذ زعمَ أنَّ اللسانياتِ هي الأصلُ، وأن السيميولوجيا فرعٌ منها، ثم جاء جاك دريدا الذي أخذَ بجهودِ بارت في هذا المجالِ.

و إذا ما حاولنا معرفة مفهوم السيميائية لدى هؤلاءِ، فإننا سنجدُ لديهم اختلافاً كبيرا في تحديدِ هذا المفهومِ، فمنهم من يُعَرِّفُ السيميائيةَ على حدِّ قول عبد المالك مرتاض، على أنها عِلْمُ السّمات.

على حين أن قريماس يجعلُ تعريفاتِهَا تختلفُ باختلافِ الوظيفةِ التي يمكنُ أن نُخَوِّلَهَا إيَّاها، فهي طوراً " نظام السّمات"[1] و هي طورا ثانياً مجموعة دالة، قابلة على حيازة شيء من النظام، ومن التمفصل الداخلي التلقائي[2].

و هي طورا آخر تعني : تعيينُ مجموعةٍ دالَّةٍ على وصفها قبليا[3]على حين أنها لدى دي سوسير، تعني العلم الذي يدرسُ حياةَ السِّماتِ ضمن الحياةِ الاجتماعية، إنها تشكل جُزْءاً من عِلْمِ النَّفْسِ الاجتماعي، وبالتالي عِلْمُ النَّفْسِ العام[4]كما يُعِّرفُهَا في موطنٍ آخر بأنَّها العِلْمُ العام لكلِّ أنظمةِ السِّمات[5].

1- Graimast gourtés , op. cit. p. 339

2- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3- المرجع السابق، الصفحة341.

4- George mounin , introduction a la sémiologie paris . minint. P.m. – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

5- F.de saussure, cours de linguistique géneral intro,3. – عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بينما تذهب جوليا كريستيفا في تعريف السيميائية على أنها مذهبٌ قريبٌ من هذا حين تقرر بأنها تتطلع اليوم إلى أن تكون علما للمعاني، وبحكم ماهي عليه فإن السيميائيةَ هي منهجيةُ العلومِ التي تعالج أنظمة الدوال للعلوم الإنسانية ...

على حين أن بلوم فيلد يرى أنه من الضرورة بمكان النهوض بمحاولاتٍ تسعى إلى تطويرِ مَذْهَبٍ عام للسِّمات[1].

و يرى الدكتور عبد المالك مرتاض بأن السيمائيةَ ليست وقفًا على حَقْلٍ دونَ حقل. و لا على جِنْسٍ من العلم دون جنسٍ آخر، من أجل ذلك أُطْلِقَتْ لدى علماءِ الطبِّ على الأعراضِ التي تكونُ مظنة لمعرفةِ العلل و الأمراض. انطلاقاً من إماراتٍ معينة يبديها العليلُ أو تبدو عليه[2].

و في الدراساتِ اللغوية و الأدبية. نستخدم السيميائيةَ لأجلِ البحثِ في السِّماتِ التي يُعَبِّرُ المرءُ بها عن أغراضِه المختلفةِ في حياته اليومية، الفكرية و العاطفية و السياسية و سواها....

و هي السِّيماتُ التي تتجسَّدُ في الألفاظِ و الرموزِ و الإشاراتِ و الأصواتِ، و الألوانِ و الخطوطِ، و الأبعادِ، إنطلاقًا من عُرْفٍ اجتماعي، أو من إيديولوجيا

---

[1] - G.Kristeva. Op .cit . t.m.p 703 – عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] - Bloomfield In.f.martinet .la sémiologie. p67 – عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

معينة، مثل اللون الأحمر الذي ينصرفُ بناءً على عُرْفٍ بين الناس إلى الدلالةِ على الخطر، و الحتف و يغتدي اللونُ هنا سمةً تعويضيةً عن كُلِّ لغةٍ اصطناعية، إذ يمكنُ إدراكُ هذه الدلالةَ بدونِ تكلف، تعلم اللغات التي تتفق في عُرْفٍ عام بين البشر على هذا العهد على تجسيد هذا الخطر، و هذه الشبكةُ من المبلغاتِ المختلفةِ التي يكون يعضها طبيعيا و بعضها الآخر اصطناعيا، هي التي تكون حقلا لنشاط السيميائية لتحديد العلاقات الدلالية (البث والتلقي) [1].

[1]- كتاب الرياض. العدد 46 . 1997 قراءة النص بين محدودية الإستعمال. و لا نهاية التأويل لعبد المالك مرتاض الصفحة 344. و قد أوجد الباحثون دراسات تندرج تحت هذا المصطلح: كالسيميائية بالطبيعة و السيميائية الكبرى. و البيوسيميائية و الحكم السيميائي.و الشحنة السيميائية. و التحليل السيميائي. و الإنثو سيميائية. و الحقل السيميائي.و النمو السيميائي. و كثر من هذا المصطلحات المنبثقة من تمهيد مفهوم السيميائية. راجع كتاب دليل الناقد الأدبي. ط 3- الصفحة 177-178.

السِّيميائية في التراث الشعري القديم :

للفظ السيميائية حضور في التراث الشعري القديم[1] إذ نصادفُ الكلمةَ مساقة في التعبيرِ عن تجاربَ مختلفةٍ يعيشُهَا الشُّعَراءُ في مختلفِ مناحي حياتهم.

فهذا خِدَاشُ بنُ زُهَيْرٍ يقولُ :

بِأَنَّا يَوْمَ شَمْطَـــــةَ قَدْ أَقَمْنَـــا عَمُـــــودَ المَجْدِ إِنَّ لَهُ عَمُوداً

جَلَبْنَا الخَيْـــــلَ سَاهِمَةً إِلَيْهِم عَـــــوَابِسَ يَدَّرِعَنْ النَّقْعَ قُودَا

فَبِتْنَا نَعْقِـــــــدُ السِّيمَا وَ بَاتُوا وَ قُلْنَا أَصْبِحُوا الأَنْسَ الحَدِيـــدَا

فَجَـــــاءُوا عَارِضًا بردًا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الغَابِ الوُقُودَا

و يتكرر استخدام اللفظ في شعر الأعشى في قوله :

أَبَتْ أَعْنَـــــــــــاقُهُمْ عِزاً فَمَـــــــــــا يُعْطُونَ مِنْ غَشَمَا

عَـــــــــــلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ عَـــــــــــوَابِسَ تَعْلُك اللُّجَمَا

---

[1]- دراسات في الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام/ قضايا وظواهر، للأستاذ الدكتور : رضوان محمد حسين النجار، مطبعة برصالي – تلمسان – الجزائر – ط 2 – 1429 هـ/2009 م، هامش صفحة 203 - 204.

و توظيفُ الشعراءِ للفظِ السيما لم يكن مقتصراً على المفهومِ الوضعي المتعدّدِ لها فحسب، وإنَّمَا تعدَّاه إلى معناه الاصطلاحي، وما يَحْمِلُهُ من معانٍ تدلُّ على كونهِ منهج الخَلْقِ والإبداعِ، ودلالة على القُدْرةِ والتمكن من الآلياتِ اللغوية للمدونة العربيةِ.

و بردةُ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ صَرْحٌ مثقلٌ بالتراكيبِ الإبداعيةِ، التي لا يقدر على قراءتها إلاَّ المتلقي المحترف القادرُ على اختراقِ أسوارِ اللامية، وَ سَبْرِ أغوارها.

إنَّه القارئ الاحترافي الذي "يتخطّى المظهريةَ الخارجيةَ، وسياقاتِ البداهة، لينفذَ إلى محصلة الجوهرِ"[1].

إذ تتوالى الصور الإبداعيةُ التي تحملها الوسائلُ التعبيريةُ المختلفةُ فتجد الشاعرَ يُعِيرُ حتَّى الحرفَ اهتماماً فيمنحه قيمةً جمالية، وأهميَّةً في إبراز العلاماتِ، كما هو ثابتٌ في اللاميةِ مع حرف النُّون:

هذه النُّونُ التي تجمعتْ مع مثيلاتِها، مكونةً جمهرةً من النونات، التي تجاوزتْ مظاهرُهَا الخارجية، لتكوّنَ فيما بينها عَبْرَ انسجامِ علائقها بنيةً عميقة، محكمةَ التركيب، ويتضحُ هذا في البيتِ الرابع والثلاثينَ، الذي يقول فيه :

---

[1]- المرجع السابق، الصفحة 187.

نَوَّاحَةِ رِخْوَةُ الضَّبْعَينَ لَيْـــسَ لَهَا لِمَّا نَعَى بِكْرُها النَّاعُونَ مَعْقُـــولُ

فالعلاماتُ السيميائيةُ لحرفِ النون هنا، هي : الحزنُ و المأساة، و الخوفُ و الوحدة.

نواحةٌ – رخوةُ الضبعين – نَعى – الناعونَ.

و قد جاءت النونات موزعةً بين أصلية وزائدة، وحالة الزيادة أنها وردتْ عوضاً من التنوين في المفردِ في آخر المثنى تارةً، وجمع المذكر السالم مرّةً أخرى[1].

و هكذا تجاوزَ كعبٌ بمنهجه السيميائي، البنى التركيبية، إلى أصغرِ مكوّنٍ للبنى الإفرازية، وهو الحرفُ، والأداءُ الإجرائي في نظمه وتضامه مع باقي مكونات الصيغة في نظامٍ لغوي معين، وأثر القواعد النحوية، والبلاغية في توجيه دلالته، وتحديد قصده.

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَتَعْرِفُ أَطْلاَلاً شَجَوْنَكَ بِالخَال وَعيشَ زَمَانٍ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي

لَيَـــالِيَ رَيْعَانُ الشَّبَابُ مُسَلَّطٌ عَلَيَّ بِعِصْيَانِ الأَمَـــــارَةِ و الخَالِ

---

[1]- المرجع السابق، الصفحة 202.

وَ إذا أنَا خِدنٌ لِلغَوِّي أَخِي الصّبَا و للغَزَلِ المِريّحِ ذِي اللَّهو وَ الخَالِ

لَيَالِي تُكْنَى تَسْتَبِينِي بَدَلِّـــهَا و بالنَّظَرِ الفَتَّانِ و الخَدِّ و الخَـــالِ

إِذَا سَكَنَتْ رَبْعًا رَئِمَت رَبَاعَهَا كَمَا رَئِمَ المَيْثَاءَ ذُو الرَّيْثَةِ الخَالِـــي

و يَقْتَادِنِي مِنْهَا رَخِيمُ دَلاَلُـــــهُ كَمَا اقْتَادَ مُهْراً حِينَ يَألفُهُ الخَالِي

إن توظيفَ الشَّاعرِ لكلمةٍ تتكررُ دائماً هي قافيةُ أبياتِه، إشارة أخرى إلى أنَّ الشعراءَ القُدامى قد امتطوا السيميوطيقا بمعناها الحديث، إذْ تعددتْ أساليبُ استخدامها، كما يبدو في هذه الأبياتِ الشعرية التي تنوعت فيها معاني كلمة (الخال).

إذ تحتاجُ من القارئ درايةً واسعةً بمفرداتِ الكلم العربي وبمقاصدِه ومدلولاته.

(فالخالُ) لو وردت في بيتٍ واحدٍ لأمكنك أن تجعلَ معانيها تتشعبُ وتختلفُ، عبر فلسفة من سيمياء التأويل تعملُ الفكرَ، وتكدُّ العقلَ.

فيجسدها لك الشاعر في دلالتها المتنوعة عبر سُلَّمٍ تمتطيه في ستة أبيات.

فالخالُ التي هي الموضع في البيت الأول وهي الماضي في التاني، والعجب في الثالث، والذي لا زوجة له في الرابعِ، وفي الخامسِ النقطةُ السَّوْدَاءُ، والسادس الذي ليس له مُعِينٌ، والسابع الذي يسوسُ الدواب[1].

ومن هذه التخريجاتِ تنشأ أساليبُ بديعيةٌ، لها أثرها في جماليةِ ورونقِ الشِّعْر.

ومثل هذا ما أنشده المدائني للخليلِ بنِ أحمدَ :

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِن دَوَاعِي الهَوَى إذْ رَحَلَ الجيرانُ عِنْدَ الغُـــــرُوبْ

أَتْبَـــــعْتُهم طَرَفِي وَ قَدْ أَمْنَعُوا وَ فَيْضَ عَيْنِيَّ كَفَيْضِ الغُـــــرُوبْ

بَانُوا وَفِيهم حُرَّةً طَفْـــــــلَةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مَكْنُونِ حبّ الغُــرُوبْ

فأنت ترى أن القافيةَ تتكررُ في الأبياتِ الثلاثة، ولكنَّ دلالتها تختلفُ و تتباينُ في كُلِّ بيتٍ.

فلفظةُ الغروب في البيت الأول تعني غروبَ الشمس، و الغروب في البيت الثاني، يعني جَمْع غَرْبٍ وهو الدلو الكبيرة، و الغروب الثالث عنى به الشاعر الكفرى وهو الطلع[1].

---

[1]- نضرة الإغريض في نصرة القريض، تأليف : المظفرين الفضل العلوي – تحقيق الدكتوره : نهى عارف الحسن، مطبعة الطربيني – دمشق – 1396 هـ / 1976م – الصفحة 94 – 95.

إنَّ الشاعرَ يتلاعبُ بألفاظِ المدونة، التي اتفقتْ حروفُهَا، واختلفتْ معناها، وهذا نهجٌ سيميائي، صَعْبٌ و طويلٌ سُلَّمُه، لا يرتقيه إلا الذي يعلمه سواء أكان المبدع أو المتلقي ، إنه مجالٌ شعري خصب لا يصولُ فيه، و لا يجولُ، إلا اليلمعي الخنذيذ، القادرُ على تحريكِ هذه الاستخداماتِ الدلاليةِ في مَوْضِعها المناسبِ كما يحدده السياقُ، وطبيعةُ الهدفِ الذي يروم تحقيقه من خلالِ الأدواتِ اللغوية، من جهة وما يلحقه من إضافةٍ وإرداف في توسيعِ آفاقِ الدلالة، والمد في أبعاد التأويلِ.

إنَّ اهتمامَ الشعراءِ عَبْرَ العصورِ المختلفةِ، دفعَ الشاعرَ لأن ينحى بالسيميائيةِ منحى مغايراً تتمركزُ إشاراتُه الدلاليةُ في القافيةِ، فترى كيف تتفقُ الوحداتُ الدلاليةُ في قوافي الأبياتِ لتتعدد دلالاتُهَا فتشع على معانٍ مختلفة.

وقد حملتِ المصنفاتُ العديدَ من هاته الأشعار التي ينحرفُ فيها السياق عن المتداولِ المعتادِ بالتعبيراتِ المجازية، و الكلماتِ المتناقضةِ المختارة بين البدائلِ المتعددة، لتوصلك إلى نَصٍّ إبداعيٍّ ثانٍ يوازي النصَّ الإبداعيَّ الأوَّلَ.

بين السيميولوجيا و السيميوطيقا

---

[1]- المصدر السابق – ص 93

... يبدو في الاعتقاد ان الكلمتين متقاربتين في المعنى من باب الترادف في الاستعمال والتعدد الاصطلاحي، فمجال السيميولوجيا كما رأينا عند دي سوسير ومدرسة باريس، يقتصر على دراسة العلامة من منظور براغماتي ، وفاعليتها في الحياة العملية، و وظيفتها في تحقيق التواصل الاجتماعي.

اما السيميوطيقا الامريكية، فقد ظهرت على يد شارل ساندرس بيرس، الذي اهتم بالمستوى الانطولوجي الذي يعنى بأهمية العلامة و وجودها وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات.

وهي سيميوطبقية تجمع بين الدلالة والتواصل والتمثيل، وتقوم على ثلاثة ابعاد: البعد التركيزي،والبعد الدلالي، والبعد التداولي.

والدليل البيرسي ثلاثي (التوجه،يقوم على: الممثل، المؤول/ المدلول والموضوع / المعنى لتصير السيميوطيقا في نهاية المطاف، نظرية شكلية للعلامات، التي تنوب كل واحدة منها، عما تقوم معادلة له في ذهن الشخص، او علامة ثانية متقدمة عنها، تسمى الاولى (المصورة)، والثانية تسمى (المفسرة)، التي هي معادلة للمصورة، والتي تقوم مقام الشيء، المحال عليه، المسمى (موضوعا) لامن جميع الوجوه، بل من جهة معينة

مخصوصة (انطلاقا من الفكرة التي تشكلت عنه، وهي التي ندعوها (ركيزة المصورة)، اي ركيزتها في ان تكون نائبة عن الموضوع،/ بذلك الوجه بالتحديد. [1]

انها القاعدة او التصور الذي تبنى عليه المفسرة، في علاقتها بالمصورة من جهة، وبالموضوع من جهة اخرى ، انها اساس تشكل المفسرة، التي قد تختلف من حضارة الى حضارة، ومن شخص الى شخص أخر، ولعل أبرز مثال على ذلك صورة الغول عند العرب التي تختلف عن نظريتها عند العرب[2]

فاذا كانت العلامة عند دي سوسير تتكون من جزئين هما بمثابة وجهي العملة النقدية (الدال /والمدلول) فإن العلامة عند شارل بيرس ثلاثية الابعاد كما شرحنا أنفا (الموضوع و المصورة، والمفسرة).

وتقابل العلامة في بعدها الثاني (المصورة) او تمثيل الموضوع الدال عند دي سوسير، في حين تقابل (المفسرة) المدلول، وهو مايرتسم في ذهن الشخص حول الموضوع، هذا في الوقت الذي يلعب فيه العنصر الرابع[3] (الركيزة) دور الربط بين العناصر الثلاثة المبنية سابقا في شكل مكون دوار، أشبه ما يكون بحركة مكونات النواة في الذرة.

---

[1] راجع كتاب: السيميائية اصولها وقواعدها لعبد الله ابراهيم واخرون ، المركز الثقافي العربي–الدار البيضاء– ط1 1990 ص 79–80

[2] يراجع كتاب " الدليل النظري في علم الدلالة الد: نواري سعودي ابو زيد – دار الهدى عين مليلة الجزائر دط 2007 ص 11

[3] المرجع السابق ص 78

ويعد بيرس العلامة ثلاثة انواع من منطلق العلاقة بين المصور والموضوع.

1- العلامة الايقونية (icon): وهي علامة تقوم العلاقة فيها بين المصورة (الدال) وبين الموضوع (المشار اليه) على مبدأ التشابه ويمكننا ان نضرب مثالاً لهذا النوع بالصورة الفوتوغرافية التي تحيل على الشخص المقصود، بناء على خاصية المشابهة والتماثل الذي يعد تصوير حاضراً لمصور يراد تخليده.

2- العلامة المؤشرية (index)وتقوم العلاقة فيها بين طرفيها على اساس العلية او السببية، كإحالة الدخان على النار، ودلالة الأثر على المسير والحمرة على الخجل، والصفرة على الوجل، والخضرة على وجود الماء.....

3- العلامة الرمزية (symbol) وهي التي تمر فيها العلامة بين الطرفين (المصورة والموضوع) عبر التعليل العرفي، او التواطؤ من مثل تواطؤ الناس على ان يكون السواد دليلاً على الحداد او الحزن وأن يكون البياض دالاً على السلام، وأن تشير البومة في بعض البيئات والثقافات الى التطير والشؤم.[1]

اتجاهات السيميولوجية:

تتمحور اتجاهات السيميولوجية المعاصرة الى ثلاثة محاور:

---

[1] يراجع م-س ص 82 وللاستزادة في المفارقات السيميائية بين بيرس ودي صوصير، يراجع كتاب :" السيميائيات او نظرية العلامة " لجيرارد دولو ذال ترجمة عبد الرحمن بوعلي دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية سوريا ط1– 2004 من ص41 الى ص 118

1- سيميولوجيا التواصل: ومن اهم روادها أندري مارتيني، الذي بين مجال السيميولوجيا وبين الوظيفة التي تؤديها الانظمة السيميولوجية المختلفة، سواء كانت لسانية او غير لسانية،وتلك الوظيفة المنوطة بالسيميولوجيا، هي وظيفة التواصل لذلك فهم يقيمون العلامة على ثلاثة اسس تختلف في ركن منها عن اركان العلامة عند كل من دي سوسير وبيرس

انها تتكون عند هؤلاء من الدال والمدلول والقصد، الذي جعل منفصلا للفرق بين سيميولوجيا التواصل وبين سيميولوجيا الدلالة[1]

2- سيميوبوجيا الدلالة: ومن رواد هذا الاتجاه، رولان بارت، الذي يرى أن النص الابداعي لعبة دلالية لا متناهية، ذو مقدرة سيميولوجية لا يسمح بتقويض دلائله، فهو انتقال مستمر، وحركية دائبة، انه نص خاضع للتحول، بوصفية عملا له خاصيته الأدبية، الى علامة تتكون من دال، هو مادة القول او الشكل اللغوي الذي يبدو فيه ومدلول هو المضمون الذي يحيل عليه او الواقعة الخارجية التي يرتبط بها، ونكون اذاك بصدد علاقة ثلاثية الأبعاد:

البعد الأول: ممثلا في الدال، او العبارة، او القول.

[1] التحليل النظري ص 13

البعد الثاني: ممثلا في المدلول او المحتوى.

البعد الثالث: ممثلا في العلامة النوعية ذات الدلالة المعينة،فصياغة المراد قوله في قالب الشعر دون النثر او العكس له ايحاء خاص ودلالة معينة بحكم المناسبة الحاصلة.

وشبيه بهذه الحالة ، بحالة باقة الورد التي تمثل فيها الباقة دالاً، يحيل على مدلول معين هو العاطفة التي يراد التعبير عنها،في حين يتولد عن اتحاد الاثنين، وفي شكل علائقي لفظة (باقة الورد)، بعدها علامة، تختلف وبصورة جذرية عن الباقة، الموضوع العياني، أو الموجود الزراعي[1]

ومن ركائز هذا الاتجاه:

الدلالة المباشرة ودلالة الايحاء.

فلغة الابداع هي لغة نوعية، ولغة ثانية، ولغة المحتمل كما دعتها جوليا كريستيفا[2]، لغة لا تعلن تفسها بقدر ما تعلن عن بداية اشتغالها

وهنا يكون نظام الدال، هو نظام مبطن وايحائي (connotatif) او نظام المحتمل، حيث تتعدد فيه مستوى انتاج الدلالة ليصير النظام الاول (المباشر) جزء من النظام الثاني ودونه في القيمة من ناحية الدلالة الأدبية، على الاقل، على الرغم

[1] دليل الناقد الأدبي، سعد البازعي، وميجان الرويلي المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء– ط2– 2000 ص 111
[2] علم النص– جوليا كريستينا – فريد الزاهي– دار توبقال للنشر ط1–1991 ص 43

من كونه ضرورياً لوجوده وهو مايعده بارت، اشتغالاً في مستويات متعددة من التعبير ويكون الخطاب الأدبي في حركته الالتفافية تلك، بعثاً متكرراً وفق ما أسماه بنفينست بالسيمياء التضمينية[1] بحيث تتحول العلامات في مستواها الأول دوالاً، تحيل بدورها على مدلولات منفتحة هي الأخرى، وكثيرة وغير محدودة

وما زلنا نقرأ مظاهر هذا الاتجاه السيميائي في تراثنا الشعري، ومن هذه التعبيرات المجازية، كقول النابغة:

فإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

أو كقول امرئ القيس، يصف فرسه:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة

وارخاء سرحان وتقريب تثفل

ان مستوى التشبيه والاستعارة في هذين البيتين منافيا لقوانين العقل والمنطق في مطابقة الحال للواقع من جهة، وبين محتوى التراكيب من جهة ثانية فالوجود

[1] هسهسة اللغة، رولان بارت –منذر عياشي مركز الانماء الحضاري حلب ط1–1999 ص 167.168

البشري للمدوح ومقاسمته لصفات أدمية، مع ما تضمنه التركيب (الشمس والكواكب) يجعل من المستحيل التسليم بالكلام وللأمر نفسه في استعارة امرئ القيس، لأن الواقع ينفي أن تكون هناك فرس بمثل هذه المواصفات فشروط السلامة النحوية متوفرة لكنها منافية لشروط المنطق الذي يقبله العقل ، وهنا تفرض قوانين وهكذا يصبح المدلول بدوره سيمياء، ويكون بالتالي مركبا من دال و مدلول، وفقا لهذا التمثيل

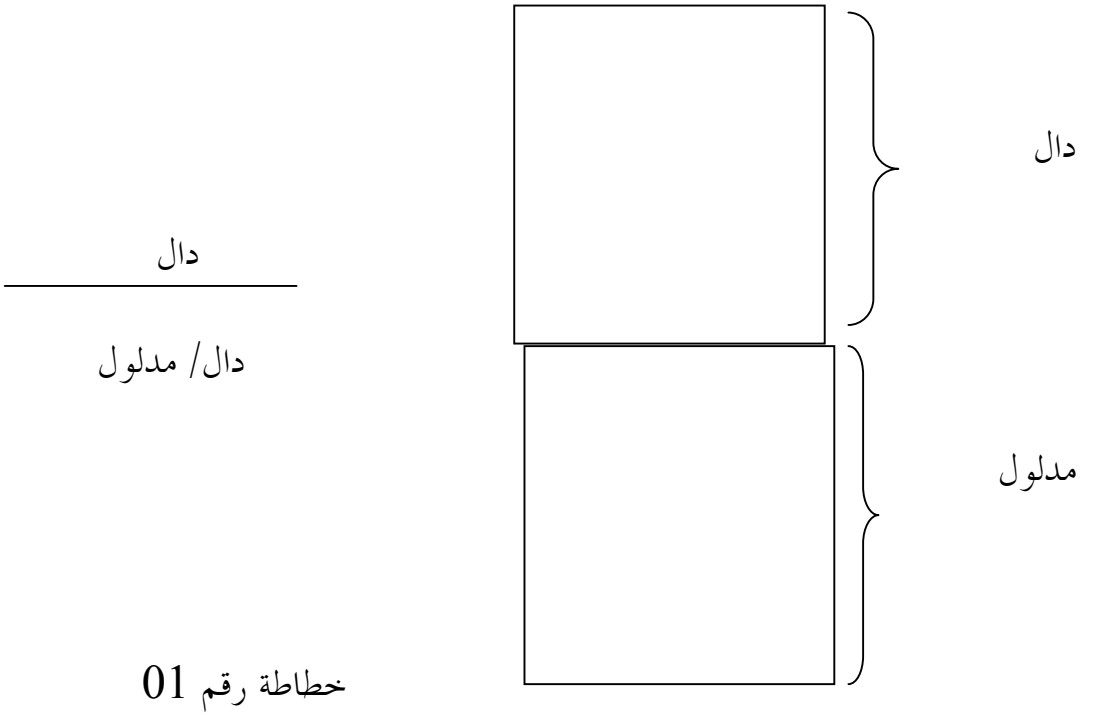

دال

دال/ مدلول

خطاطة رقم 01

وتظهر لنا هذه الخطاطة مستوى توظيف العلامات في مستوى مجازي لا يخضع للمنطق والمباشرة.[1]

دال/دال/المدلول

الفرس / الممدوح	
الشمس/الكواكب	النعامة/الظبي سرحان/تتفل
رقي المكانة وعلو المترلة	ضمر الخاصرتين وشدة العدو وطول القدم والتقريب

خطاطة 02

ان هذه الترسيمة تكشف عن ما ورائية اللغة، التي تحمل المعنى وظلال المعنى المكتنز بالإيحاءات المطلة على ظلال من المعاني وتواني المعاني

3- سيميولوجيا الثقافة:

للانسان القدرة على التجريد، من خلال النظام الثيمائي الرمزي، الذي يستخدمه فهذه الخاصية الرمزية هي التي تشكل وسيط التعامل، مع العالم الخارجي وهنا يظهر الفرق بين العلامة والرمز فالاولى اجرائية و وجودية (عنصر فيزيائي) وباعتبار الثانية مسيرة او محلية، او وظيفية (عنصر من العالم الانساني للمعنى)

[1] يبظر كتاب: تيارات في السيمياء، لعادل فاخوري دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط1 1990 ص 37

الذي يمكن ان نعبر عنه بالثقافة، وهي التي يتخذ منها الانسان مادة يصوغ منها تجاربه التي يحولها بمرور الوقت الى نظام ترميزي يتحرر بموجبه الانسان ولو جزئيا من سلطان الموجودات و المكان وحتى من سلطان الزمان وتتحول اللغة والدين والعلم والفن... في هذا الخضم لحظات لعملية التحرر تلك[1]

ومن ابرز رواد هذا الاتجاه الايطالي امبرتو ايكو الذي يجعل السيميوطيقا علما يهتم بدراسة المظاهر الثقافية، على أنها انظمة تواصلية ومن ثم تنقلب تلك المظاهر الى موضوعات للتواصل وربما تصير السيميوطيقا بهذا الشكل مرادفا للابستمولوجيا اي علم المعرفة.[2]

ويوزع الدكتور محمد صالح سعد الله هذه الاتجاهات السيميائية، وفق الترسيمة التالية:

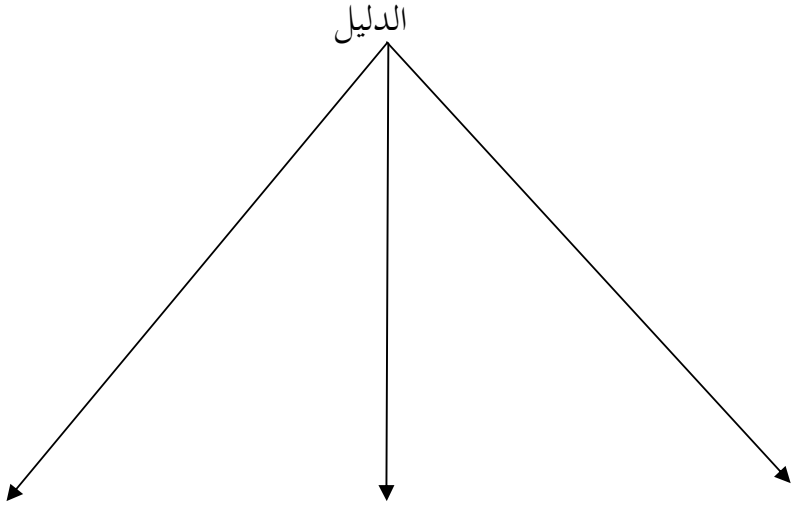

[1] دروس في السيميائيات لمبارك حنون الدار البيضاء المغرب ط1-1987 ص 85
[2] ينظر المرجع السابق ص 89-99 (بتصرف)

سيمياء التواصل سيمياء الدلالة سيمياء الثقافة

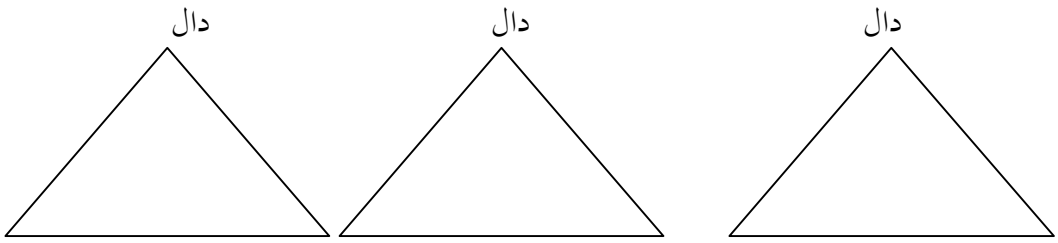

العلامة التواصلية العلامة الدلالية العلامة الثقافية

مدلول مقصد مدلول مدلول مرجع

خطاطة 3[1]

يتضح ا ن دي سوسير من خلال تعريفه لدورة الكلام، قدعد الدليل عبارة عن اداة تواصلية بين شخصين يهدفان عن قصد الى التواصل، وهذا الذي أخذ به اصحاب نظرية سيميولوجية التواصل هو الادوات التواصلية القصدية، فكانت الدلائل الاعتباطية هي التي توفر مثل هذا الشرط المعرفي ومن خلال تعريف دي سوسير الدليل يكون قد اوحى بسيميولوجيا الدلالة، فعمل بارت هذه الفكرة ورأى ان كل

[1] يبظر كتاب مماكة النص من ص 21 الى ص 23

الاشياء تستخدم للتواصل مهما تكن طبيعة الدلائل وسواء توفرت القصدية او لم تتوفر، وبذلك تكون السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس مختلف الدلائل.

فإذا كانت سيميولوجيا التواصل، تقصي من موضوعها العديد من الظواهر باعتبارها لاتكون اصنافاً من الدلائل فإن سيميولوجيا الدلالة تعتبر الكثير من الاشياء دلائل ويمكن ان ينظر الى ان سيميوطيقا الثقافة على انها نقداً للواقع وللعلم و للايديولوجيا، وبهذا تعد السيميولوجيا اتجاها تلتقي فيه وتتدخل مجموعة من العلوم والمعارف (المنطق والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس واللسانيات...) من اجل خدمة الانسانية بدراسة اوجه النشاطات والفعاليات الانسانية في مظاهرها الدالة ودلالاتها الممكنة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.[1]

[1] دروس في السيميائيات لحنون مبارك – دار توبقال – الدار البيضاء– المغرب –ط1– 1987 ص 100.101

الفصل الأول:

مفهوم السيميائية وعلماؤها من العرب.

المبحث الأول: ظاهرة التأويل في الفكر الإسلامي

المبحث الثاني: المعنى التركيبي ودلالات الثواني للنص الأدبي العباسي.

المبحث الأول:
ظاهرة التأويل في الفكر الإسلامي

المبحث الأول: ظاهرة التأويل في الفكر الإسلامي

- التأويل قراءة في المصطلح
- التأويل بين المعنى المتداول و إرادة التجديد
- التأويل و التفسير

- التأويل و الهرمينو طبقا.
- التأويل السياقي المتسق

التّأويل قراءة في المصطلح :

تعدُّ ظاهرة التأويل من المصطلحات التي نشأت وشاع استخدامها، إما بلفظها، وإما بدلالتها في مختلف المجالات الفكرية.

و أول استخدام لها، كان من طرف اليونان، في تأويل النصوص الدينية، ومعرفة الأساطير، ذات القداسة الدينية لديهم[1].

وفي التراث العربي ارتبطت فكرة التأويل بالنّص المَرْوي، أي النّص المتشكل على المستوى اللغوي، سواء أكانت الرواية مكتوبة أم شفوية، لأن طبيعة هذه الرواية، تحدّد الحاجة إلى التأويل. إذا أن كلّ رواية للحدث نفسية، قد تحصل في طياتها من الإشارات، والرموز والمقاصد، ما تختلف فيه عن رواية أخرى، وهذا يجعل كل رواية، تسعى لحصول مقاصد تختلف عن غيرها نسبيا[2].

والتأويل في أدق معانيه هو تحديد المعاني اللغوية في العمل الإبداعي، من خلال التحليل، وإعادة صياغة المفردات والتركيب، ومن خلال التعليق على النّص، قبل هذا التأويل يركزُ عَادة عَلى مقطوعات غامضة، أو مجازية يتعذَّرُ فَهمها. أما في أوسع معانيه، فالتأويل هو توضيح مرامي العمل الفنّي، باستخدام وسيلة اللغة، التي تهيئ للفروض الإحتمالية، مما يجعلها مادة التأويل الأساسية. وبهذا ينطوي التأويل

---

[1]- التفسير والنص. أحمد عبد الغفار.ص:177.

[2]- إشكالية التلقي والتأويل لسامح الرواشدة. ص 11.

عَلى "شرح" خصائص العمل[1]، وسماته، وبهذا يكون مَجال التأويل من إختصاص أهل اللغة، وجهودهم في الإبانة عن المعاني الخبيئة للنص، والتوجيه الدلالي لها. يقول ابن فارس فيما أوردَهُ عَن الصَّاحبي. "معاني العبارات التي يُعبّر بها عن الأشياء، ترجع إلى ثلاثة: المعنى، التفسير، التأويل، وهي وَإن اختلفت المقاصد متقاربة، فهي عندهم تتفق في الدّلالة، وتشترك في توحي به منَ الإبانة، عما يتأدى من اللفظ إلى المستمع، والغاية التي ينتهي إليها."[2]

فصار التأويل ظاهرة لغوية، أصالتها من أصالة اللغة العربية نفسها، كما عمل على تعدّد مسائل النحو وتعدُّد قواعده، فنرى البصريون يجيزون تأويل الظواهر اللغوية حتى توافق القاعدة النحوية، ويُحاول الكوفيون بناء قاعدة على كل شاهد.

و التأويل من أدق الوسائل في الحكم على المعنى، وقد أوضح هذا ابن الأثير في كتابه المثل السائر[3].

فهو أداة تَحاكي الأشكال البلاغية، التي هي مزية من مزيات علم الجمال اللغوي، إذا كلاهما يهتم بالمعنى الثاني للنّصوص، فإذا كانت الاستعارة، والتورية،

---

[1]- أنظر كتاب: النص، السلطة لأبي زيد نصر حامد المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط 1995 ص: 165

[2] ابن فارس

[3]- المثل السائر 7511.

والكناية، تلمح ولا تصرح، وتستعمل من باب الإلغاز، فإنّ التأويل يعمل على بيان تلك الإشارات، وإظهار حقيقة القصد من ورائها.

و هذه أدوات سيميائية، قد استعان بها القدامى، ووظفوها في أعمالهم الأدبية و النقدية، وفي مختلف الدّراسات اللغوية الأخرى، التي تخُصُّ مدونتهم العربية، أو ما يتعلق بالظاهر القرآنية. والحديث الشريف.

و هكذا صار مصطلح التأويل كوسيلة من وسائل الكشف عن المعنى. وظل مُرادفا للتفسير، ومصَاحبا لهُ، منذ أن طفق الناس يتناولون كتاب الله، وسنه رسوله عليه الصلاة والسلام، بالشرح والفهم.

و كان الرسول عليه الصّلاة و السلام، مصدر تشريع وإفتاء، في شرحهِ، وتفسيره لنصوص القرآن الكريم، وغريبه، وبعد وفاته، انقطعت السنه، فكان لابُدَّ أمام أحداث الحياة المتجددة، أن يجد المسلمون مصدرًا آخر، يمدهم بحلول لمشاكلهم الحياتية. فكان عبد الله بن عباس.صاحب الأصالة العربية، والحس الفطري باللغة، معوانا لهم على الفهم والإدراك، بعد إنتهاء وساطة الرسول عليه الصلاة والسلام. والطريق المباشر في الإبلاغ.

و هكذا أصبح الفكر العربي الإسلامي في مواجهة مَعَ أسرار اللغة في معناها ومبناها، وكان الطريق لذلك هو التأويل لتجديد المعنى، وخلقية اللغة، وبعثية معانيها.

لا نشك أنّ هذا يعدُّ إضافة أخرى، يلحقها،علم التفسير، في الحقل السيميائي في استكشاف ما يحجبُهُ، ما تشَابهَ عليهم منْ أي الذّكر الحَكيم، وما أغلق عَلى أفهامهم من حدِيثِ رَسُولهِ الكريم. فجميع التفاسير، والإضافات، تعدُّ إثراءات لغوية وفكرية. ونتاج قراءات سيميائية، ضمّتها العديد من الكتب والمصنفات.

و بعدَ فترة، اكتملت ظاهرة التأويل، وأصبحت مصطلحا يعمل على صرف المعنى الظاهر من اللفظ، إلى معنى محتمل يعضده دَليل، فاستعمل التأويل كأداة لخدمة العصبية المذهبية،...

فتناول النّاس النّصوص بالتحْريفِ وَالتزييف، وقراءتها على تصحيف.

لإستخدامها في مناصرة الإتجاهات العقائدية. وذهب الكثير إلى أن التأويل ظهر في أحضان تلك الفرق العقائدية، والمذاهب الدينية[1].

وهكذا عمل التأويل في بيئة التشريع، على توسيع أفاق النّص، والكشف عن مقصده، ومعرفة حقيقته.وإذا ما أردنا البحث عن مفهوم التأويل في كتب

---

[1]- أنظر كتاب "فجر الاسلام" لأحمد أمين.

ومعجمات اللغة، سنجدها تحمل عدّة معاني، وسنورد منها الدلالات الغالبة في الاستعمال، والتي توافق موضوع البحث.

أوّلا: المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول الى كذا، أي صَارَ إليه، ورجعَ، ومنه قول الأعشى:

أؤول الحكـــــم على وجهه ليس قضائي بالهوى جَائـــــــر[1]

ثانيا: آل جسم الرّجل إذا نحف، وآل اللّبن إذا خثر[2] وهاتان الدّلالتان هما الغالبتان، وإنْ كانت الثانية، لا تبتعد عن الأولى كثيرا،... وهنا يمكننا أن نحصر الدلالتين في المعنى اللغوي " المرجع المصير أو العاقبة ".

ثالثا: الوضوح والظهور.

رابعا: التفسير والتدبّر، التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء، تقول: أوّلت في فلان الأمر، أي تحريته[3]. فهما دلالتان قريبتان، فلا يحزج التفسير عن معنى الظهور والوضوح، ويمكن إدماجهما في دلالة واحدة، وهي التفسير والتدبُّر.

و على هذا يمكننا أن نحصر هذه المعاني اللغوية للتأويل في معنيين هما: المرجع و المصير، والتفسير والتدبُّر.

أما فيما يتعلق بالاستعمال القرآني لكلمة تأويل، فقد وردت كلمة تأويل في أي الذكر الحكيم سبع عشرة مرّة[1]. مُرادًا بها، المعاني الأتية:

---

[1] ديوان الاعشى الكبير : تحقيق وتعليق محمد محمد حسين بيروت (دط) 1968

[2]- انظر المصدر السابق.

[3]- أنظر كتاب الإتقان في علوم القرآن 173/2

و فقه اللغة للتعالبي – القاهرة – (دط) 1910 ص 164.

تعبير الرؤيا، وتفسير الأحلام، وكان هذا في آيات سبع من سورة يوسف، هي: " وكذلكَ يَجْتبِيكَ رَبُّكَ ويُعَلمكَ من تأويل الأحاديث "[2].

و... كذلك مَكنَ ليوسف في الأرض، ولنعلمه من تأويل الأحاديث"[3].

" وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهنَّ سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر، وآخر يابسات، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي، إن كنتم للرؤيا تعبرون، قالوا أضغات أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين"[4].

وفي قوله: رَبِّ قد أتيت في من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث [5].

و قوله: "ودَخَلَ مَعَهُ السجن فتيان، قال أحدهما، إني أراني أعصر خمرًا، وقال الآخر: إني أرَاني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله، إنا نراك من المحسين. قال لا يأتيكما طعام مرزقايه، إلا نبأتكما بتأويله، قبل أن يأتيكما، ذلكما ممَّا علمتِني ربي، إني تركت مّلة قوم لا يؤمنون بالله، وَهم بالآخرة هم كافرون"[6].

---

[1]- أنظر كتاب التفسير الطيري "جامع البيان عن تأويل أي القرآن" تحقيق: أحمد شاكر– دار المعارف– القاهرة (دط) – (دت) 16-199.

[2]- سورة يوسف – الآية الكريمة رقم 06.

[3]- سورة يوسف – الآية الكريمة رقم 21.

[4]- سورة يوسف – الآيتان الكريمتان رقم 43 - 44.

[5]- سورة يوسف – الآية الكريمة رقم 101.

[6]- سورة يوسف – الآية الكريمة رقم 36- 37.

وقال الذي نجا منهما، واذكر بعد أمة، أنا أنبئكم تبأويله [1].

فكلمة تأويل في سياق هذه الآيات الكريمة، تعني تعبير رؤيا، أما كلمة "الأحاديث" فالمراد بها، الأحلام وأطلقت الأحاديث على الرؤى والأحلام، لأنَّ النفس تحدّث بها، وأطلقت الأحلام على الرؤى والأحلام، لأن النفس تحدّث بها في منامها. رب قد أتيتني من الملكِ، وعلمتنِي من تأويل الأحاديث [2].

كما تعني كلمة تأويل بيان حيث إيقاع الفعل، كما جاء في قصة موسى وصاحبه، وذلك في آيتين من سورة الكهف هما: "... سأنبئك بتأويل ما لم تستطيع عليه صبرًا"[3] وقوله:... ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبْرًا [4].

كما تعني الرّجوع إلى المؤول الحق، كما جاء ذلك في سورتي النّساء، والإسراء، في الآيتين الاتيتين:

يا أيّها الذين آمنوا، أطِيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ، وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء، فردوه، إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله، واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا [5]، وقوله: و أوفُوا الكيل إذا كلتم، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ذلك خير وأحسن تأويلا [6].

كما نعني من التأويل تفسير المتشابه: كما في الآية السابعة، من سورة آل عمران: هو الذي أنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات، هنّ أمّ الكتاب، وآخر متشابهات، فأما الذي في قلوبهم زيغ، فيتبعونَ ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والرَّاسخون في العلم، يقولون آمنا به كل من عند

---

[1]- سورة يوسف – الآية الكريمة رقم 45.

[2]- سورة يوسف – الآية الكريمة رقم 101.

[3]- سورة الكهف – الآية الكريمة رقم 78.

[4]- سورة الكهف – الآية الكريمة رقم.

[5]- سورة الإسراء – الآية الكريمة رقم 35.

[6]- سورة النساء – الآية الكريمة رقم.

ربنا، وما يذكر إلا في العلم، يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلاَّ أولو الألباب [1].

و إذا تأملنا في هذه المعاني لكلمة تأويل، الموظفة في آيات القرآن. فإننا نرى معنى الكلمة يلتقي عند صفة واحدة، اتصف بها كل معنى من المعاني المذكورة، وَهي تشكل عنصرا أساسيا في دلالة كلمة تأويل، وهذه الصفة هي الغموض، لأن الكلمة تتجهُ في سياقات مختلفة، إلى معان متعددة، ومتباينة.

و في هذا المقام، نحتاج إلى الإبانة عن الفرق بين التأويل والتفسير، ذلك لأننا وجدنا من هذه المفاهيم، التي حملتها اللفظة، أو كلمة تأويل، والتي كانت متقاربة في مقصدها، حاصلة بين التفسير والتأويل.

إن النص الديني، يحصل في تناياه، رؤى متباينة، مشتبهة من أشكال فكرية إسلامية، تحتاج إلى ميكانيزمات، لاختراق هذه الحواجز واستكشاف مدلولاتها، التي تتوارى خلف زواية النظر المختلفة للنص. إذ يتشكل خلف كل زاوية من البناء المنهجي للإنتاج المعرفي، حقائق متراكمة، ومتتالية من الصيغ الفكرية، ومقاصد دينية. وآلية التأويل، تسمح بإمتلاك خاصية إشراقية تسمح بحرية الحركة، في مكونات النَّص، من قيم، وسنن، وحكم.

وكان التأويل مُرادفا للتفسير، في استعمال السلف، كما دأب على ذلك أبو جعفر الطبري في جامع البيان.

وهذا التقارب الحاصل في المعنيين، قد غيَّبَ آليات التأويل، وميكانيزماته الخاصة، وبالتالي جعل هدفه في إطار الفهم الظاهري للنص، وهذا التحديد والتضييق في مجاله، فوَّت الكثير على الفكر الإسلامي من مكتسبات كانت ستساهمُ في حل معضلات معرفية كثيرة.

---

[1]- سورة آل عمران – الآية الكريمة رقم 07.

بالإضافة إلى المعنى التراثي للتأويل، الذي ألحق به معنى سلبيا، وبخاصة. بعد أن بدأت تتكرسُ في الأمة سلطة السّلف، التي تحصر الاستفادة من النّص، في ضعف إطار التفسير أو التأويل، الذي أصبَحَ سلاحًا يُحاربُ به أصحاب المذاهب التأويلية، التي ناقضت تأويلات السّلف، فاعتبروها تأويلات فاسدة، ومستكرهة ومُفسّرة بالرأي المذموم...

و هكذا حوصرت كل العقليات الإسلامية، التي حاولت تفعيل النص بمعطي عقلي...

و بهذا يظهر أن التأويل، قدْ أعطيَ معنى التفسير. وَإذا تعَدَى التأويل هذا الحيّز، واتسعت حدوده التأملية، واستوعب أبعاد مضافة، صنف عملا بالرأي، وخروجاً عن الدين.

ولكي نصل إلى الحدود الفاصلة بين التأويل والتفسير، لابُدَّ من الوقوفِ على معنى التفسير والتأويل، فالتفسير هو الإظهار والكشف. إذ يعمد المفسر إلى الكشف عن معاني الآية وأسباب نزولها، فيكون التفسير بذلك " كشف مغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به"[1].

وَ هُوَ بذلك يُراد: البيان والإيضاح، وقد وُردت لفظة التفسير بهذا المعنى في القرآن: "ولا يأتونك بمثل الإجتنان بالحق وأحسن تفسيرا"[2] أي بيانا وتفصيلا.

وهناك من حصر مفهوم التفسير، في الجوانب الخاصة، التي تدُور خارج النّص كأسباب النزول، والمكي، والمدني، والخاص، والعام، ... وكل هذه العلوم، متوقفة على النقل، وليس فيها مَجال[3] للاجتهاد. إلا في باب ترجيح المتعارض.

1- الزركشي : البرهان في علوم القرآن – 2 / 148.

2- سورة الفرقان – الآية الكريمة رقم

3- أنظر المصدر السابق – الصفحة نفسها.

و قد ظل المفسرون لقرون طويلة، يركزون اهتمامهم البالغ على التفسير، على حساب التأويل.

التأويل بين المعنى المتداول، وإرادة التجديد.

تجتمع الأراء على أن التأويل، هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ، و لربما تذهب طائفة أخرى، فتحصر معنى التأويل في المتشابه من الآيات. التي تحصل مَعَان متعددة، بعضها تحت بعض منها ما هو تحت اللفظ، يناله جميع الأفهام. ومنها ما هو أبعد منه لا يناله إلا الله تعالى، والرّاسخون في العلم.

فالتأويل ليس من قبيل المعنى المراد باللفظ، بل هو الأمر العيني، الذي يعتمد عليه الكلام، فإنْ كان الكلام حكما إنشائيا كالأمر والنهي، فتأويله المصلحة، التي توجب إنشاء الحكم، وتشريعه.

و هكذا يظهر أن هناك مستويين من الأبنية، أبنية ظاهرة، وأخرى خفية، لذلك لا يمكن الوصول إلى المعنى، إلا عَبْرَ مَسْلك غير مُبَاشر على نحو من التكنية لأنَّ بنية الكلمة تقودُ إلى بنية أخرى – هي التي تبوح بالمعنى[1]

التأويل والهرمينو طيقا.

تتلخص مفاهيم الهرمينو طيقا في كونها قراءة تحرير للخطاب من الأوهام، التي أغرقت ملامح الوضوح والبيان فيه وتخليص المعنى المغمور، تحت رقابة الكتابة والمختزل في حدود العبارة، وتركيبتها والمقلص في بنية القصدية... وكذا نفيه في المنطقة الواقعة في الفرق بين القارئ والنّص بين القراءة والكتابة بين الكلام والإصغاء.

والهرمينو طيقا عند بول ريكور "كتأمل حول عمليات الفهم المعاكسة في تأويل النصوص"[2].

---

[1]- أنظر كتاب : "أصول النظرية النقدية" لأحمد الوردني – ص 35.

2 - Cris (jean) l'herméneutique et la philosophie Encyclopédie philosophique universelle tome (IV) P.U.F. Paris 1988 pM1841.

فالهرمينوطبقا عبارة عن عملية فهم علاقات التركيب لتفسير النّصوص، وبهذا سيكون القصد من ذلك هو، إنجاز الخطاب كنص[1].

والتأويل هو فك رموز هذه اللغة، وتحرير المعنى من فعل الكتابة، وفتح عالمها على الذات.

أما وظيفة الهيرومينو طبقا، فهي "عزل المدلول عن الدَّال عن طريق التأويل والتعليق، والقضاء على الكتابة عن طريق الكتابة الأخرى، التي هي القراءة[2].

فحل الهيرمينوطبقا، ليس محدودا بعمل التأويل بمعناه البحث عن المعاني الباطنية للنصوص، بل إن مهمتها هي فك الرّموز داخل النّص، لتحرير الكلام الحيّ، الذي هو مُعتم وَمغمور، أو مُجَمَّد داخل الكتابة[3].

والهيرمينوطبقا عملها مشتق من عَمَل النّص، وعمل النّص هو إنتاج الرموز، وإصدار العلامات، وتقديم الإشارات، فهي لا تعتبر علمًا للتأويل، بل فنا للتأويل، والفن مَعروف في كما ليته ....

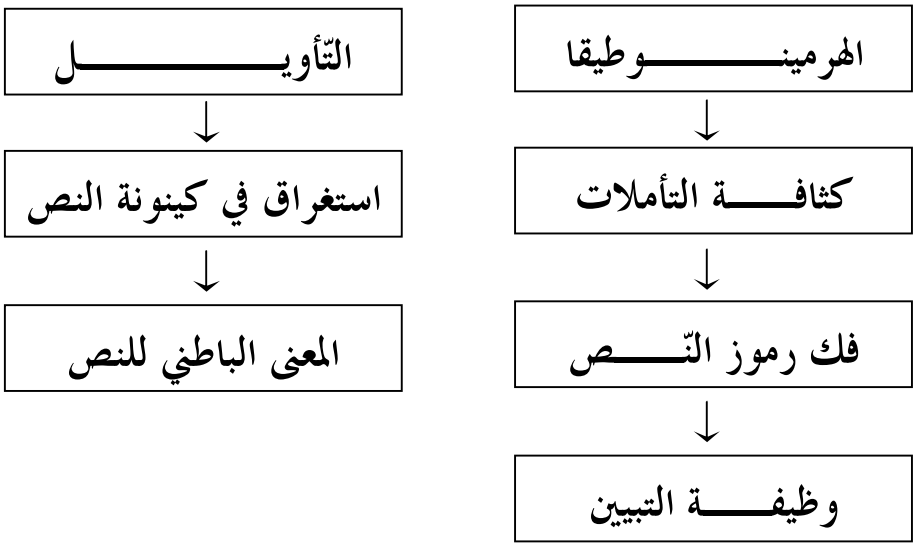

[1]- بول ريكور من النص إلى الفعل:أبحاث التأويل ترجمة: محمد برادة. حسان بورقية. عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية. الهرم القاهرة ط 2001. ص:58.

[2]- Derrida taque de la grammatologie edit minuit paris 1967.p : 229.

[3]- Gadamer L'art de comprendre opat p : 260

الخطاطة (رقم 1)

فالنّص هو الغيابات الرمزية، التي تنتشر بشكل مختلف، ولا منطقي داخل الذات، ويتم رصدها بواسطة الكتابة، للكشف عمّا تفعله الذات، أو تنساه لحظة الأنتقال من فكرة لأخرى،...

فالنّص لكي ينتج دلالة، فإنهُ يمرّ عبر خطوات يبين من خلالها علاقات دَاخلية بين مكنونات النّص، وفي اختلافها ينتج المعنى، إذ إنّه "ليس هناك معنى إلا دَاخل الاختلاف، فعناصر النّص لا تأخذ دلالتها، ولا يمكن أن تكون معرفة دلالية، إلا بواسطة لعبة العلاقات، ، لأنه يعطي الوضع لهذا الشكل – المعنى – ليس المعنى، وإنما خطة المعنى"[1].

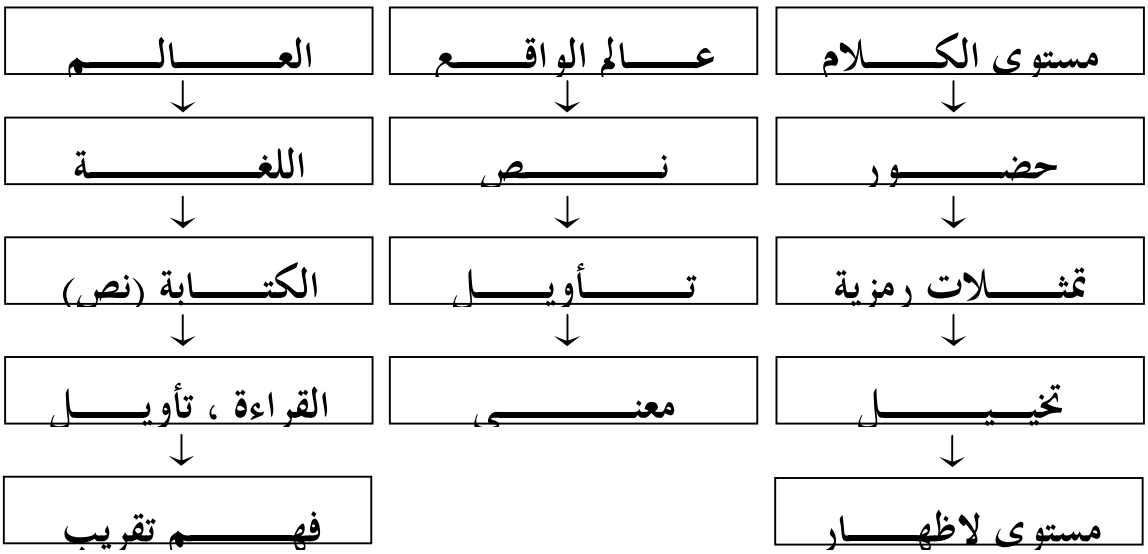

الخطاطة (رقم 02)

فالتأويل مستوى من الكشف التخيلي، الذي يسمح بتحريك جميع الإشارات، ليبني عالم جديد، والهرمينو طيقا.مفهوم تأملي لا ابستمولوجي، إلى عمق النص، للبحث عن الإجابات الممكنة، والتي تتجاوز حدود الكتابة، لتتحول إلى أسئلة أخرى، تعيد تحرير الوعي الممكن للغة الذات.

---

[1]- groupe d'entre vernes « analyse sémiotique des textes introduction, théorie, pratique « Edit Press universitaires de Lyon 1984 p :08.

ويعد الشعر من أبرز الأشكال التعبيرية، التي يبرز فيها الخيال والعاطفة، فهما العنصران الأساسيان في تلك الرحلة الاستكشافية عن المكنونات الغائبة والمتصلة بالتصور والإحساس.

فالشعر صلته قوية بطبيعة المشاعر الإنسانية' ومن يمتلك القدرات الشاعرية التي تمكنه من صور الإلهام، الذي هو ترجمة باطنية تحصل للانسان في حق نفسه.

وتتجلى صور ذلك في ضروب المجاز بمفهومه الأشمل ،كالكناية والاستعارة والتشبيه، وتأويلها يأتي على وفق ما يعرف من اهل العربية والبيان، وبما يتفق مع ما جاء في الكتاب والسنة.

ومن أمثلة المراد الذي لا يطفو على سطح قراءة أولية ولا يستبين لناسيمياؤها الا بعد بعد من النظر والتامل قول امرئ القيس

و يضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل

فلو نظرنا إلى صورة البيت من جانب الحقيقة فلم يتجاوز الشرح معاني الكلمات وإجمال المعنى القريب، ودون الالتفات الى الكناية فيه، فكان قوله: نؤوم الضحى، أنها تنام الضحى، وفي الدلالة السيميانية الغائبة، فان للبيت نظرة ثانية، اذا اراد الشاعر أنها مكيفة ونؤومة الضحى، وترك الانتطاق للخدمة يردفان الكفاية فعبر بهما عنها، وأراد أيضا أنها من اهل الترفه والنعمة فتستعمل المسك الكثير فينثر في فراشها وهذه الحال تردف الترفه والنعمة(1)

فالكناية أحد الوسائل اللغوية التي تفرض ضروبا من التاويل لاتساع السياق الذي ترد فيه.

ويومئ القرطاجي في معرض حديثة عن غموض المعنى واشتكاله الى " أن يكون المعنى مرتبا على معنى اخر، لا يمكن فهمه إلا به فقد يكون المعنى المبني عليه داخل الكلام وخارجه"(2).

ومثل هذا "ضرب يتوقف فهمه على حفظ قصة ما يكون المعنى متعلقا بتلك القصة"(3) كالمعرفة باسباب النزول في تأويل القران، او تعلق بيت من الشعر او اكثر

بحادثة معينة أو باسماء اشخاص لهم شان ما او حتى باضمار الشاعر لمعنى محدد يورده في شكل لغوي فضفاض لا يصير معه الى تعيين هدا المعنى المضمر، كل دلك يحتاج الى معرفته عند النظر في النصوص الشعرية لأنه ياخد بالتاويل الى ما ينبغي ان يكون عليه ومن طريف ما نذكره قول جرير:

لو كنت اعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

فالسامع لا يعلم الى اي شيء أشار في افعاله في قوله: فعلت ما لم افعل، فقد يجوز: أراد ان يبكي اذا رحلوا، أو يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه، أو يتبعهم إذا ساروا، او يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل او ياخد منهم ما يذكرهم به، أو العكس وكل هذا محتمل وما احوج السامع لما اضمره الشاعر(1).

فهنا يعد المجال السيميائي الذي تتشتت فيه رؤيا التأويل والاحتمال. مسلكا وعرا يتطلب من المؤول جهدا ودراية واستعداد لاستنباط المعنى الذي يتلاءم مع النص في خصم ذلك الزخم من الروايات والتصورات الأخرى والمختلفة، المحيطة بكيان النص فيضطر الى العدول عنها وترجيح التأول الاقرب والاستقرار عليه، كقول امرئ القيس:

ليالي سلمى اذا تريك منصبا وجيد كجيد الرئم ليس بمعطال

ويروي مقصبا ومعناهما مختلف، والمنصب: المستوي من الارض المتسق فعلى رواية منصبا: أراد ثغرها، وعلى رواية مقصبا،أراد شعرها قصبته، جعلته دوائب، وشعر

1- راجع الكتاب الصناعتين للعسكري – ص: تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم دار ايحائ للكتب العربية ط1952 387 . وكتاب دلائل الإعجاز ص .66

2- منهاج البلغاء وسراج الادباء، لحازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن خوجة المطبعة الرسمية تونس دط.1966 ص 178- 179.

3- المصدر السابق ص 188

4- الصناعتين ص 33 وقد صنف العسكري هذا النوع من القول تحت مشتركات الالفاظ

مقصب: أي قصابة قصابة أو قصبة قصبة[1] كما أن على مؤول أن يكون على بينة من المداخل الرئيسية لتأويل النصوص الشعرية كمعرفته للمعاني المعجمية للألفاظ، ومعاني التراكيب النحوية والصرفية.

ويسوق القرطاجني هذه الملاحظة في معرض حديثه عن تفاقم الاشكال التي يحتمل عدة تأويلات والتي تكون نتاج توظيف بعض الالفاظ ذات المرونة الدلالية يقول: " أن تكون اللفظة أو الالفاظ المشتركة فتدل على معنيين أو أكثر لا في حالة واحدة، فيجب للناظم أن ينوط باللفظة أو الالفاظ التي بهذه الصفة من القرائن ما يلخص معناها الى المفهوم الذي قصده حتى يكون المعنى مستبينا وذلك حيث يقصد البيان[2]"

1- ينظر كتاب " تاويل الشعر وفلسفته" امين يوسف عودة عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع – اربد – ط1 -2008 ص:58 - 59.

2- منهاج البلغاء وسراج الادباء. ص185.

ويورد في ذلك قول الحارث بن حلزة من معلقته:

يقول:

زعموا أن كل من ضرب العير موال لنا وأنى الولاء !

فقد اضطرب الناس في تأويل البيت فقيل أراد بالعير الوتد، وبالضاربين العرب لأنهم كانوا أصحاب عمد وقيل عير العين ، وهو ما نتأ منها أي كل من ضرب عير عينه بجفنه وقيل العير ما يطفو على الحوض من الاقداء واصله التشديد، وهو العائر والعير، فخفف كما قيل في هين وهين، وقيل فيه وجوه اخرى غير هذه(1).

وعلى غرار ضرورة المعرفة بدلالة اللفظة المعجمية، تاتي أهمية المعرفة بدلالتي التركيب النحوي والبنية الصرفية من جهة توجيهها للتاويل، فالجملة العربية الواحدة قد تحتمل غير وجه اعرابي كذلك المبنى الصرفي للكلمة. قد يحمل من دلالات المعنى ما يخالف ظاهر المبنى، فينعكس أثره في توجيه التأويل الى ناحية دون أخرى والأمثلة في باب الدلالة النحوية وأثرها في التأويل وافر، ولاسيما في كتب التفسير والدراسات القرآنية والدواوين الشعرية، إن الناظر فيها،سيرى أن الغالب عليها التأويل الذي يفهم منه البيان والتفسير، وذلك إما عن طريق بيان معاني الألفاظ المعجمية، وإما عن طريق رد المعنى المجازي الى المعنى الحقيقي بما يعمل من قرائن وأحوال.

1- المصدر السابق – الصفحة نفسها.

ومما جاء في تأويل الشعر من حيث الدلالة النحوية قول النابغة الذبياني:

فارتاع من صوت فبات لها طوع الشوامت من خوف ومن صرد

يروي طوع وطوع بالنصب والرفع فمن روى طوع الشوامت، اراد بالشوامت القوائم، يقول فبات طوع قوائمه، اي بات قائما، ومن روى طوع الشوامت بالرفع أراد: بات له ما يسر الشوامت اللائي شمتن به[1]

فوضح اختلاف التاويليين باختلاف الحركة الاعرابية. وأما ما يقع تحت الدلالة الصرفية المندرجة تحت الدلالة اللغوية، فله اثره في تحديد المعنى الذي يكون مغايرا لما في الظاهر، فيمكن من خلال اتيان المبنى اللفظي في سياق، لا ينبئ عن واحد من محتملاته، بل يظل يتردد بينهما، ويجوز ان يحتمل على اي وجه منهما، ومن ذلك هذا البيت للحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

(1) تأويل الشعر وفلسفته ص 46.

فقد جاء في الديوان: أي أنك ترضى بأن تشبع وتلبس يقال: كسي الرجل بكساء، إذا اكتسى، ولما بلغ الزبريقان قول الحطيئة (دع المكارم) استدعى اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إنه هجاني قال: أنشدني الذي هجاك فذكر البيت فقال عمر: ما أراه هجاك ولكنه مدحك فقال الزبريقان: اجعل بيني وبينه حسان بن ثابث، فلما أتاه، قال حسان يا أمير المؤمنين ما هجاه، ولكن سلح عليه، وذلك أن اسم الفاعل هنا قد يؤخذ على معنى اسم المفعول أي المطعوم والمكسوَ فيكون المعنى هجاء وقد يؤخد على ظاهره فيحتمل المدح.

والمتأمل في شروط التأويل يتبين له أنها ترتكز على فاعلية العقل وقدرته على ايجاد الأدلة والبراهين فيما يراد من تأويل أو تعليل.

التأويل السياقي المتسق

نعني بالتأويل المتسق ذلك التأويل الخاضع لمعطيات القراءة الفردية، التي تعتمد على انتقاء عناصر معينة من النص، أثناء جريان تلقي وحداته الدلالية واقتصاد عناصر أخرى من اجل إغلاق عالمه الدلالي،في معنى محدد يرتضيه قارئ فردي ما 1

وهنا ينظر الى القارئ كطرف مشارك في النص بفضل المعطيات الثقافية والإمكانات الفكرية، التي يقدمها كاليات متاحة لاستحضار الغائب وملء الفراغات التي تتخلل وحدات النص.

والتأويل المتسق في نظر فولفغانغ ايزر نوع من الإسقاط الذاتي يتم بواسطة خلق علاقات مابين دلائل النصوص المقروءة، تكون بديلا عن علاقتها المتشبعة ذات الطبيعة الاحتمالية ،وذلك لأن القارئ يهدف دائما من وراء قراءته الوصول الى خلق منسق منسجم العناصر ،يمكنه من اقامة تأويل متماسك يقتنع به كامل الاقتناع ويأخذ به على انه المعنى الفعلي الوحيد للنص.

لكن ينبغي التعامل مع بنية النص على أساس منطلق يتفق على عوالم ايحائية وإمكانات تدليل في كل الاتجاهات،لأن طبيعتها التخييلية تفرض هذا البعد المتعدد، كما تفرض هذا التباين الحاصل بين القراءات، وهذا ما يعبر عنه ايزر بشكل واضح في قوله:" هناك اذن على مستوى الحبكة درجة عالية من الإجماع التذاوقي، اما على مستوى الدلالة، فيجب اتخاذ قرارات انتقائية وهي قرارات ذاتية، ليس لكونها اعتباطية، بل لانه لا يمكن إغلاق نشاط ما (تأويل متسق) الا اذا تم انتقاء إمكانية واحدة، واقصاء البقية ،وسيعتمد الانتقاء على الاستعداد الفردي للقارئ وعلى تجربته"2

فالتأويل التنسق في نظر ايزر، تصور لحظوي يقتنع به القارئ باعتباره المعنى الوحيد، وهذا بداية الطريق السالك إلى بناء تخيلات في اطار الوهم، ولو على شكل حضور نسبي له فالوهم المشار اليه من طرف ايزر مرتبط بالذاكرة وقدرتها على التعامل مع مسارب الممكنة للتأويل

ويرى الباحث محمد بازي أن المعنى يتحدد من خلال عناصر أخرى مرتبطة بما يتعلق بالنص وظروف كتابته، وموازياته الخارجية من بيانات او حوارات حوله لماذا وكيف كتب3

وهناك عناصر وسيطة متعلقة بخصائص المؤلف، ومعاني الكلمات كما يستعملها أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه.

---

[1] وقد تحدث عن هذا النوع من القراءة الناقد الالماني فولفغانغ كتابه "فعل القراءة الى جانب هانس وروبرت ياوس

[2] فولفغانغ ايزر: فعل القراءة، تر: حميد لحمداني-منشورات مكتبة المناهل،فاس عن كتاب القراءة وتوليد الدلالة – محمد لحميداني ص 115

[3] محمد بازي" التأويلية العربية" منشورات الاختلاف ط1 2010 ص 53-54

فالمعنى تعبير باللفظ عما يتصوره الذهن، أو هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ.[1]

ثم إن احتمال اللفظ لذلك المعنى شرط في بناء مقصده، واذا كانت المعاني هي مجموع المقاصد آو ما يريد المتكلمون قوله عبر تلفظهم فان القصد إلى المعنى يحتاج الى شروط القبول وابرزها احتمال اللفظ لذلك المعنى، لذلك أنكر الجرجاني على المؤولين اسرافهم في التأويل وميلهم الى تكثير الوجوه انهم ينسون ان احتمال اللفظ شرط من كل ما يعدل به عن الظاهر، فهم يستكرهون الألفاظ على ما تقله من المعاني، يدعون المعنى السليم إلى السقيم ويرون الفائدة حاضرة قد أبدت صفحتها وكشفت قناعها، فيعرضون عنها حبا للتشوق أو قصداً إلى التمويه وذهابا في الضلالة"[2]

ويذهب الشريف المرتضى خلاف ذلك، لما ينادي بالتعدد الدلالي وبتكثير الوجوه يقول:" وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة، وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني فيجوز أن يكون المخاطب ازداد كل واحد منها منفرداً وليس عليه العلم بعينه، فإن مراده مغيب عنه"[3]

إن معرفة قصد، المنتج ليس بأمر ضروري في نظره، فالاهم عنده هو إيجاد الاحتمالات الممكنة للمعنى وتبريرها اعتمادا على المنظومة اللغوية واتفاقية لهذا نجده قدم تأويلات عديدة ممكنة لأبيات هو قائلها دون ان يقطع بتأويل بعينه لان اللفظ كما يرى يسير والمعنى كثير[4]

وهكذا تبدو سيمايئية التأويل قائمة على نظريات القارئ النموذجي وتبدو القراءة في ظلها محاولة بحث عن صورة القارئ التي يريد العمل تكوينها وبحث عن المعيار الضروري في النص لتقويم تمظهرات قصديات القارئ.

وهكذا يظل النص وانساقه الدالة معيار للدفاع عن مقاصد الكاتب، آو عن مقاصد القارئ، انه الحبل الذي يتجاذبه الطرفان كل لإثبات وجهة نظره.[5]

فبنية النص هي مرجعية خارجية تحيط بالنص ومرجعيات داخلية تعمل على بلورة المعنى ويحددها السياق الداخلي المؤلف من الوحدات الدلالية الموجودة في النص. [6]

---

[1] احمد الهاشمي جواهر البلاغة.
[2] اسرار البلاغة ص 393
[3] الشريف المرتضي"غرار الفوائد ودور القلائد: تجقيق ابو الفضل ابراهيم- دار الكتاب العربي-بيروت 1968. 326/1.
[4] انظر المصدر السابق
[5] محمد بازي: التأويلة العربية" ص 61
[6] القتءة وتوليد الدلالة حميد الحميداني ص116

ومن خصائص القراءة بالسياق الداخلي النظر في كل وحدة كلامية ساهمت بناء النص سواء كانت أسلوبية أو دلالية من جميع جوانب علاقاتها القائمة مع الوحدات الأخرى حتى يتمكن من تحديد طبيعتها الاسلوبية ونوعية الدلالة التي يتضمنها النص ومن آليات القراءة بالسياق الداخلي.

التكرار: إن النص يعمل في اغلب الأحيان على تأكيد حضور أي وحدة أسلوبية ودلالية من اجل إعطائها طابع الاستمرارية في النص وكذلك من اجل إبرازها أمام انتباه القارئ وتحديد نوعية الدور الذي تقوم به بين مجموع الوحدات الأخرى.

التضافر: ويقصد بالتضافر تلك العلاقات القائمة بين كل وحدة وما يحيط بها من وحدات اخرى مماثلة او مناقضة وهذا يساعد القارئ على التمييز بين مساندات الوحدة المدروسة من جهة ونقائضها من جهة اخرى.

وهذا يساعده على تحديد الطبيعة الاسلوبية والدلالية لتلك الوحدة ويتم هذا دائما في اطار الاحتمالية.

فالنص حدث قرائي ذو صبغة درائعية يتفاعل معها القارئ بشكل، كلي فلوضع التأويل المتسق للنص يتضافر السياق الداخلي بالسياق الخارجي يسد فجواته.

فلاسهامات القارئ في استحضار الغياب ،مرتبط بمخزون ذهني وبخبرات وافكار سابقة وظروف ثقافية واجتماعية ومؤثرات بيئية محيطة بظروف الحدث المشكل من عالم تخييلي وتمثيلي تغيب معه العناصر غير اللغوية التي تحيل على مرجعيات خارجية.

والقارئ روما يحاول ان يقيم نوعا من المماثلة بين البنية النصية والعناصر السياقية الخارجية.

والوقائع ان السياق الداخلي يعمل على وضع تأويل داخلي متسق يضبط موقع ووظيفة ومدلول العناصر التي بدت اساسية للقارئ بينما يعمل السياق الخارجي على منح النموذج النصي امتداد في الواقع او على الاصح امتداد في ما يتصور القارئ انه هو الواقع"[1]

إن عملية التأويل تستبين عن محاولة توظيف البنية الخارجية في تفسير البنية النصية الداخلية، لكن الأمر لا يتم بشكل منطقي وآلي من النص والواقع وانما العلاقة بين السياقين تتمحور بين النص وما يحرك فيه دلالات واحتمالات من اليات ذهنية واستقرائية التي تتكون لدى القارئ .

وتتباين هذه العملية بين القراء لأن فعل المقروئية يبقى افاقه ممتدة ومفتوحة على التعدد التأويلي.

---

[1] القراءة وتوليد الدلالة حميد الحمداني ص 117-118.

يقول المتنبي:[1]

ماذا لقيت من الدنيا واعجبه أني بما أنا شاك منه محسود

إني نزلت بكذابين ، ضيفهم .. عن القرى و عن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدي و جودهم .. من اللسان فلا كانوا و لا الجود

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمنٍ ... يسيء بي فيه كلبٌ و هو محمود

و لا توهمت أن الناس قد فقدوا ... و أن مثل أبي البيضاء موجود

بنية التكرار في النص:

لانعني بالتكرار عودة العناصر التعبيرية والدلالية بصيغة ثابتة/ اذ احضار البدائل والمماثلات، او مايعبر عنه غريماس بالنظائر يعد تمثيلا لبنية تكرارية لها دلالتها في النص و وظيفتها هي شد انتباه القارئ وجعله يفكر في دورها الاساسي الذي ينبغي مراعاته في أي تأويل محتمل.

في هذه الابيات نجد ثلاث بنى تكرارية اثنان منها خاصة بالذوات الفاعلة وبنية واحدة خاصة بالموضوع.

بنية التكرار الأولى:

وتتجسد في بنية الانا كما هو بين في ضمير المتكلم ت، في الصيغ التعبيرية التالية: ضمير المتكلم في لقيت والضمير انا في البيت الاول وفي صيغة اني ونزلت في البيت الثاني وكنت واحسبني وتوهمت في البيتين الاخيرين.

انه يمضي مسترسلا مخاطبا نفسه، مجسداً استمرارية الانا وبحضورها القوي والعنيف.

انها ذات الانا التي تقف ساخطة ورافضة لتقلب احوال الدنيا ليصبر العبد المسود متمردا ويسيئ للاخرين.

بنية التكرار الثانية:

[1] ديوان المتنبي: دار صادر بيروت لبنان ط3 2003 ص 327،328

وهي بنية الاخر وتتمثل في الصيغ التعبيرية التالية: الرجال الذين يقتصر جودهم على الكلام والتباهي بما ليس موجود الكذابين العبد ابي البيضاء

وهذه البنى تشكل بنية الآخر، وهي تمثل نقيض الذات، وتهديدا ، ورفضا لوجوده.

بنية التكرار الثالثة:

وتتمثل في الموضوع الذي تعبر عنه الذات المتكلمة وهو هجو كافور، الذي لا صلاح من وجوده إلا ليضحك ربات الحجال و البواكي.

فأبيات المقطوعة كلها تتجه إلى الموضوع نفسه، و المقصود الواحد. و يتجلى ذلك في البيت الثالث من القطعة الشعرية.

فالشكوى من الكذابين قليلي الجود و الكرم، تتصل بالشعور بالتذمر و اليأس، مما آل إليه وضع الشاعر، وهو بني قوم سوء، كما بين في البيتين الأخيرين.

إذ تظهر ذات الشاعر في صدمة و مواجهة مع ظرف غير متوقع

بنية التضافر:

و يقتضي التحليل في هذا المقام، تسليط الضوء على العلاقات القائمة بين هذه البنى المذكورة آنفا، و تقتضي بنية التضافر معالجة سياق الداخل، الذي يمكن من بلوغ فضاء التأويل.

وتتجلى مظاهر التضافر في ثلاث وضعيات يجسدها الفعل و الإنفعال و الحالة.

فبنية الذات في بداية القصيدة، هو الإحساس باليأس و المرارة، وهو شعور سلبي، ولد لدى الذات، رغبة في إظهار موقف صريح، يعلوه السخط، و الرفض، وما ينبغي أن يكون من تعامل جدي مع الواقع.

وكانت بنية الآخر عامل تحفيزي على إثارة بنية الآنا. وتتجسد هذه الدينامية الفاعلية في النص، في الشكل التالي:

الشعور باليأس ←(غضب وسخط شكوى) ←عدم الرضى بإمارة العبد.

ويمكن بسط هذه الحالات التي اعترت بنية التكرار، في الجدول االاتي:

بنية الأنا (الذات و الأنا) رد الفعل أو الحالة	بنية الآخر (المهجو) الفعل
الشعور بالتادي . و الشكوى	غدر الدنيا و تبدل أحوالها (تسليط الأذى على الذات)

ضياع الرغبة و تلاشي الأمل. آخر ما كان يتوقعه الذات. و آخر ما كان يتوهمه الذات.	نزلت بالكذابين ضيفهم عن القرى محدود وجودهم من اللسان. يسيء بي فيه عبد وهو محمود وجود أي البيضاء وفقدان الرجال

و يتضح من هذه المحاور التقابلية، أن الذات في وضع لا ينبغي أن يحسد عليه... وهو وضع تميز بطابع يثير الشجن و الحزن. وهو موقف سلبي، أوقعته عليها ذات الآخر.

و يمكن تلخيص البنية التضافرية الناظمة للسياق الداخلي في النص، وفق الترسيمة الأتية:

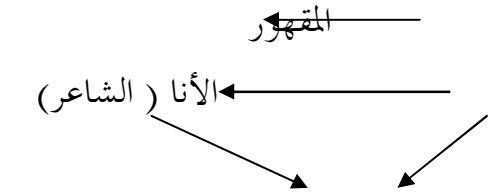

مخالفة نواميس الطبيعة .

ونظم الحياة.

إن العبد مطبوع على الطاعة، وخدمة سيده، ما أن يكون في المقام غير الذي وضع له، فذاك مناف للفطرة، وغدر من الدنيا، فوجود العبد سيدا، لن يحقق تكافؤا، وخدمة للناس.بل سينفتح الوضع على النقيض، على غير ما تؤول إليه متطلبات العادة.

إذ لا ينتظر من العبد، إن ساد سيده، سوى أن يبادر إلى الانتقام، بالإساءة و الأذى.

وهذه رؤية مرتبطة بذاتية المتلقي، الذي سيضفي طابع إثرائي ونفعي على بنية النص.حيث ستكون البنى السابقة التي ذكرناها قبلا، سوى عونا يقدم فائدة، ومعطى له وظيفة دفع القارئ إلى رحلة بحث استكشافية في متون النص، و بعث الأثر الامتدادي للنص.

فيكون النص بمثابة إطار تيمائي لواقع خارجي.

وقد يكون نصنا الذي تمثلنا به، أقرب إلى الواقع من نصوص أخرى، قد حملت من الكناية و الإستعارة،ما جعلت منه فضاء رمزي مفتوح على عوالم، قد تكون من التاريخ أو الواقع الحالي.

و لا يمكن أن نصف المقطوعة الشعرية الماثلة أمامنا، بأنها تحمل وظيفة إعادة إنتاج الواقع، كون الشاعر يصور حدث تاريخي عاشه المجتمع العربي في حقبة ما.

وحدث نفسي كابده الشاعر، وهو الإحساس بالمرارة، و الخيبة مع الذات الأخرى التي هي من حيث الواقع كذلك رمز تاريخي ثابت.

و لكن هذا لا يضيف من كينونة دلالات النص الإحتمالية، إذ تحمل شفرة النص، رسالة بها دعوى وتوجيه ونصح و إرشاد، وتمثل بعبرة.

إذ ينبه الشاعر إلى أن الحياة أدوار، وكل شخص خلق ليتمثل دوره، و أي اضطراب في تقليد هذه الأدوار، يوقع لا محالة، هلاك الإنسانية ودمار المجتمع، وهذا تأويل جائز، يمكن أن نأخذ به كمعنى شامل لبنية النص الكبرى التي تبقى ذات قابلية لتبني قراءات احتمالية، ممكنة الوقوع، لأن النص يتحدى الإغلاق و السكون، إذ يمكن عقد تماثل بين بنيته و أية بنية من بين الأحداث الواقعة في الزمن الماضي أو الزمن الحالي. ما دامت الأحداث تتوزع على ثلاثة محاور: قاهر ومقهور، وموضوع القيمة.

مع رحابة التأويل الذي يحيط بالقصيدة، حيث يبقى هامشا كبيرا للإجتهاد فيما يتعلق بالتفاصيل مع إقامة المماثلة بين محاور النص الداخلية وبنيات الواقع و أحداثه.

فتكون هذه المطابقة بين البنيتين من سياقين مختلفين، رهينة قوة نفسية، اندفاعية من القارئ لمشاركة المبدع في قضايا المجتمع، و هي صالحة لكل زمان،و لكل مكان.

و ما عبر عنه حميد لحمداني بالسياق الداخلي، يعبر عنه الباحث محمد البازي بالمساق، فيتحدث بإسهاب عن أثره في تقويض ذي الوجهين.[1] فللمساق، أو السياق الداخلي دوره الهام، في تحديد المعنى، و بخاصة فيما يتعلق بالصنف الأدبي المسمى بذي الوجهين، وهو ما احتمل تأويلين متناقضين.[2]

و يقول عنه ابن الأثير: " قليل الوقوع جدا، وهو من أظرف التأويلات المعنوية، لأن دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من دلالته على المعنى وغيره، مما ليس بضده".[3]

إذ يقصد المبدع معنى معينا، إلا أن كلامه يثير معنى آخر، قد يكون نقيضا.

و يفسر بول ريكور ثنائية المعنى في الخطاب الشعري بغموض في الكينونة ".....إن علة وجود الرمزية هي فتح تعدد المعنى على غموض الذات".[4]

ونتمثل هذه الفكرة في بيت المتنبي، يمدح كافورا، يقول:

فإن نلت ما أملت منك فربما

---

[1] -النصوص الأدبية المتصفة بالمرونة و الدينامية و التحول و بخاصة الخطابات الشعرية.

[2] - المثل السائر 64/1.

[3] - انظر كتاب: " التأويلية العربية" 17 محمد باري .ص: 78.

[4] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

شربت بماء يعجز الطير ورده.

إن معنى البيت يدل خارج سياقه النصي على الهجاء، وليس المدح، ذلك أن الشاعر يصف ما ناله من ممدوحه بالبعد و الشذود، فقد افتتح البيت بـــ "إن" الشرطية، وجوابها، رب الدالة في هذا المساق على التقليل، فهو إذا غير متيقن من أخذ الأعطية، فإن نالها، فلأنه قادر على الوصول إلى الموارد، التي يعجز الطير عن الوصول إليها.

فوجود البيت منفردا، قد يفتح دلالاته التأويلية على النقيض التام للمقصدية، ولذلك من الضروري ربطه بما قبله، وما بعده من أبيات، في نسيج نصي يتبدد معه الغموض.

وقد تنبه إلى هذه القضية الكثير من العلماء القدامى و المحدثين، محمد مندور، قد تفطن في كتابه:" النقد المنهجي عند العرب" لهذه المسألة ملحا على أهمية المساق الداخلي للبيت من أجل الظفر بدرجة من الفهم و الإفهام.

يقول المتنبي:

و أظلم أهل الظلم من بات حاسدا

لمن بات في نعمائه يتقلب.

فيعقب محمد مندور على البيت قائلا:" فإن الحاسد الظالم، هنا قد يكون المادح، وقد يكون الممدوح، ولكننا نبادر، فنقرر أن هذا المنهج في فهم الأبيات، منهج فاسد، لأن البيت مهما قيل عن استقلاله عن القصيدة العربية، لا يمكن و لا يجب أن يفهم إلا في سياقه، على ضوء ملابساته".[1]

فالبيت الواحد، لا يكون كافيا لبلوغ المعنى، الذي يريده الشاعر، و إنما ينبغي دمجه داخل مساقه من النص.

و مثل ذلك قول أبي الطيب:

فكم لظلام الليل عندك من يده تخبره أن المانوية تكذب

و المانوية أصحاب ماني، وهم أهل الثنوية، يذهبون إلى أن ظلام الليل، يكون الشر، وأن النور يكون الخير، و المتنبي يرد على هؤلاء الثنويين، فيقول: ليس الأمر على ما وصفتموه، بل قد أجد ذلك بالعكس، فإن الليل قد وقاني شر الأعداء، بأن وراني بظلامه، كقولهم: الليل يستر الويل، وقالوا: إتخذ الليل جملا، أي إركبه لحاجتك، وكذلك زارني الحبيب بالليل، فأخفى مزاره على الرقيب، وهذه أفعال الخير، فلم تنسبون إلى الظلمة الشر؟.

---

[1] - النقد المنهجي عند العرب" محمد مندور- دار النهضة مصر- القاهرة- ( ) – ( ) – ص: 240.241.

و لما قال: "فكم لظلام الليل عنك من يده، فسره في البيت الثاني، بقوله:

وقاك ردى الأعداء تسري إليهم

وزارك فيه ذو الدلال المحجب.

ولما حمد الليل بما أسدى إليه من الخير، وكذب المانوية بهذا البرهان أخذ في ذم النور،فقال:

و يوم كليل العاشقين كمنته

أراقب فيه الشمس أبان تغرب

أي أني قد أمنت من العداة بالليل، فسربت و أدللت، وخشيتهم بالنهار، فكمنت وتخبأت، وتلك كلفة ومشقة، وجهد على النفس لإخفائه، و ما أحسن ما اتفق له الاستطراد في هذه الأبيات: وقد يجوز أن يكون أبو الطيب في ذمة النهار، معرضا بسيف الدولة لبياضه، وفي حمده الليل متعللا بكافور لسواده، فإن كان قصد ذلك فهو ظريف، وإن لم يقصده فتوجيهنا له غريب".[1]

إن التعالق الدلالي بين الأبيات لم يكن كافيا لدى لابن سيده في بحثه عن قصيدة الشاعر، فاستعان بمرجعيات ثقافية واجتماعية وتاريخية، ليقيم موازناته بينها وبين النص المطروح.

ثم يستخرج من هذه المقاربات النصية تأويلا مفاده أن الليل دليل يحيل على كافور، و النهار إحالة على سيف الدولة ومع ذلك لا يستطيع الجزم بهذه التخريجة لما يقول:" إن كان قصده فهو ظريف، و إن لم يقصده فتوجيهنا له غريب".

إن إعادة بناء الوحدة الدلالية للنص ينبغي أن تقوم على عناصر داخلية و أخرى خارجية تمثلت الأولى في البنية التركيبية و التعبيرية والدلالية، ومعرفتنا باللغة و النحو ومجموع الأدب الذي هو مصدر الاستخدامات المعجمية.

أما العناصر الخارجية فتمثلت بكل ما يحيط بالنص، كظروف كتابية، و ما تقدمه الأخبار المتعلقة بالشروط الذاتية و الموضوعية التي كتب فيها و كذلك الظروف النفسية و الاجتماعية للكاتب، وحياته و معتقداته وقيمه واهتماماته ومذكراته وحواراته...[2]

---

[1] - شرح المشكل في شعر المتنبي لابن سيده، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد المجيد – الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1976- ص:269-270.

[2] - التأويلية العربية، محمد بازي- ص: 90.

فالتفكير و إعادة بناء معنى النص هو كتابة نص مكبر وموسع قادر على ضبط كلية المعنى في إطار تأويل معقول يكون أفضل رفيق النص عبر رحلته القرائية، وللقراءة التأويلية عند محمد بازي آلياته و أدواته الخاصة.1

و نلاحظ من خلال ما سبق من تعريفات، ونماذج تحليل تداخل الهيرومونوطيقا و السيمياء، ولذلك التداخل مجال وهو مجال استنطاق المعنى، وتوسيع حدود الدلالة في حين يطرح بول ريكور2 نقاط تمايز بين السيميوطيقا و التأويلية أو الهيرمونوطيقا إذ يرى أن مجال المفهوم الأول يبقى منغلقا، ضمن عالم العلامات، وما يحدث بينها من تبادل للدلالات، بما في ذلك إمكانية حصول التغيير المتبادل بين الدلائل.

فإن الهيرمونوطيقا، تتميز بنسق خاص يفتح عالم العلامات، فحدود الهيرمونوطيقا أوسع وممتد ليحتضن عالم التجربة المعيشة.

أما السيميائية فدراسة العلامة فيها، تعتمد على أساس لساني بنيوي، ضيق من حدود مجالاتها.

---

[1] - ينظر المرجع السابق.

[2] - إشكالية ثنائية المعنى" بول ريكور، ترجمة: فريال جبوري غزول- مجلة ألف – عدد خاص عن الهيرمونوطيقا و التأويل، عدد: 08-1988. ص:140.عن كتاب: القراءة وتوليد الدلالة – لحميد لحمداني- ص: 167.

المبحث الثاني

المعنى التركيبي ودلالات الثواني للنص الأدبي العباسي

(دراسة في تنويعات المعنى
في ضوء نظرية النظم)

المبحث الثاني

المعنى التركيبي ودلالات الثواني للنص الأدبي العباسي

(دراسة في تنويعات المعنى في ضوء نظرية النظم)

يعوّل الأديب على كثير من المرجعيات الأساسية في تشكيل معالم نصه، و من ذلك إخضاعه لمبادئ الاستدلال واللزوم، التي تتطلّب ضرورة إخضاع بنائه، إلى مستويات من الفهم. و بحكم التباين الحاصل في القراءات ، في المنطلق و الغاية ، يُحصر الفهم في نوعين هما : فهم لغوي بياني ؛ معاييره لفظية، وفهم عقلي استدلالي؛ معاييره منطقية.

يسعى المتلقي خلال هيرمونيطيقية[1] تتبلور بين علاقة البنية بمعناها الموضوع له في اللغة، وضرب آخر تختلف فيه البنية عن معناها، ممَّا يجعل الحاجة الى التأويل ماسة و ضرورة.

وذلك لاستخلاص منطق خفي للمعنى، يتم بواسطة الانتقال ببنية الكلمة ومعناها، من مستوى التخالف الى مستوى التشاكل

و يتضح لنا خلال المتّصورات الدخيلة، أو مقولات الغياب أنَّ النص خطاب مسنن[2]، يفتح مجالاً واسعاً للمتلقي للإضافة والإبلاغ. وإعادة بناء المعنى أو التجربة على حد تعبير أعلام الوظائفية من لسانيي زماننا.

إذْ لاَمزيَّة للوحدة التعبيرية خارج السياق، بل الفضل وَالمزِيّة، بما تُوخّي في نظم اللفظ وترتيبه.

فالجملة تحمل معنى تاماً، تشترك في أدائه جملة من الكلمات، يتم ترتيبها وفق نظام نحوي معين، يعتمد فيه معنى الجملة على معاني الأجزاء المكونة لها، إذْ ترتبط فيما بينها عن طريق علاقة توليفية ، ولهذه

---

[1]- الهيرومونيطيقية : هي فن التأويل ، اكتشفت في القرن الخامس عشر ، و هدفه هو ملاحقة الكينونة التعدّدية الدلالية للنص ، على مستولى تخييلي ، يمكن خلاله معارضة الحقيقة الدَّاخلية للنص ، و التي يفرضها المستوى الواقعي لتركيب العبارات ، و العلاقة المرجعية بين الدّال و المدلول.

يراجع كتاب "اللغة و التأويل" - مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية و التأويل العربي الإسلامي لعمارة ناصر– ص 31 – 32.

و ينظر كذلك كتاب :

L'art de comprendre

Gadamer Hans George . Trad : Pierre Fruchon et autres. Edit. Aubier , Paris 1991.

و يحصر جاك دريدا وظيفة الهرمونيطيقا في عزل المدلول عن الدَّال عن طريق التأويل و التعليق و القضاء على الكتابة عن طريق الكتابة الأخرى التي هي القراءة"

و ينظر كتابه

Jacque : « De la Grammatologie » : Edit Minuit , Paris, 1967,p 229.

[2]- الخطاب المسنن (texte codé) أي مشفر ، بشفرة سرية ، لا يفتح مقفلاتها إلا القارئ المتمرس ، أو قارئ طبقة الخاصة على حد تعبير الجاحظ.

العلاقة وجهان: وجه تركيبي نحوي ، له أثره في تنويع المعنى وهو معنى حرفي ، يتطابق فيه ما تعنيه الكلمة أو الجملة، وما يريده المتكلم.

ووجه خفي مجازي ، يُريد من خلاله المتكلّم أن يبلغ معاني غير التي تبوح بها الكلمة، أو الجملة من الناحية الحرفية، وهذا الضرب من التوليف، ينتج عنه معنى مجازي، يباين فيه قصد المتكلم المعنى الحرفي للكلمة أو الجملة[1] .

فمن الألفاظ ما هو غائب عن سلسلة التراكيب، و لكنه حاضرٌ معنى، تؤكده هذه القرينة أو تلك، مما يتيح للمفسر تقدير اللفظ، وفق ما تسمح به قواعد اللسان، وأصوله، و قد يكون قليل اللفظ حمالاً لكثير من المعنى، وذلك من بلاغة القرآن التي يستخدمها العرب القدامى؛ اللُّغويّون و النُّقَّادُ نموذجاً يحتذى عند كلّ صَنْعَةٍ أدبية.

إِنَّهُ النظم والتأليف، "فالألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه في الترتيب والتركيب"[2]

وهنا تبرز فكرة العلاقات بين الكلمات في ترتيبها الجملي ، أو التركيبي، فكلّما كانت العلاقة بين الكلمات محكمة النسج، متّسقة، متناسبة، بلغ الأسلوب شأواً عظيماً من التفنن والإبداع.

و قد قالوا : "لفظة متمكنة، مقبولة، وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق، بين هذه وتلك من جهة معناها، و بالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، و أنَّ الأولى لم تلق بالثانية في معناها ، و أنَّ السابقة لم تصلح أن تكون لفظاً للتالية في مؤداها" [3].

فالألفاظ لا تثبت لها فضيلة، إلا إذا كانت ملائمة في معناها لمعنى اللفظة التي تتلوها، مما لا تعلّق له بصريح اللفظ.

فانظر إلى قول البحتري:

وَ إنّي وَ إنْ بَلَّغْتَني شَرَفَ الغِنَى وَ أَعْتَقْتَ مِنْ رِقِّ المطَامِعِ أَخْذَعِي

فإنك تجد لكلمة أخذع مكانا لطيفاً، وموضعاً حسنا، لا تجدها في قول أبي تمام:

يَا دهرُ قَوّم مِنْ أخْذَعَيْكَ فَقَدْ أضْجَجْتَ هَذَا الأنَامَ مِنْ خُرفِـــا

---

[1]- أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ والمعنى في خطاب التفسير- للدكتور أحمد الوردني - ص 89.

[2]- أسرار البلاغة في علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجاني- تحقيق: محمد رشيد رضا – ص 02.

[3]- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني . تحقيق : محمد عبده ، و محمد محمود التركيزي الشنقيطي – علّق عليه السَّيّد أحمد رشيد رضا– ص 36.

حيثُ تَجِدُ لكلمة أخْذَعَيْكَ من الثقل على النَّفس، ومن التنغيص والتكدير ، أضعاف ما وجدت هناك، من الروح والخفة والإيناس والبهجة.

فتوخي التأليف في معاني الكلم، هو إحداث لدلالة يخرجها النظم إلى الفعل، فليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق، بل إذا تنافست دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.

و المعنى لا يُشْتَرَطُ فَهْمُه بظهور اللفظ، إذ يمكن للسياق وما ظهر من الخطاب إذا ما أحسن المتلقي التقدير، أن يَقُصَّ أثره حتى يظفر به بعد نظر وعناء.

و ممّا لا شكّ فيه أنّ النموذج الشعري ، الذي يتوفر على هذه الخصائص الفنية ، المتعلقة بجانب اللفظ و المعنى ، هو النموذج الذي يصب في مصب الخَلْق و الإبداع.

إنَّ طبيعةَ النفس الإنسانية توّاقةٌ إلى استكشاف الجديد ، و قراءة أفكار الخبيء، التي تُحيكه الألفاظ نفسها ، و التي ظلت و بقيت آلية في يد كلّ شاعر، يُحيك بها الأحداث و المواقف ، و المشاعر...

و خبرة أبي تمام أعانته في تشكيله لصوره الشعرية ، بتراكيب خاضعة[1] و حداها المعجمية لمعنيين ينتظمان وفق مستويين ، يتوخي خلاله الأداء الكلامي، معاني الكلم ، و ما تمليه الصور الأكوستيكية المترتبة في ذهن المبدع. و معاني النحو ، و ما تفرضه القواعد المعيارية المتواضعة عليها.

و يتجسد هذا التلازم في هذا التعبير الدقيق ، الذي يقول فيه أبو تمام ، و هو يصف مشيبه المُبَكِّرَ :

سِتٌّ وعشرونَ تَدْعُونِي فَأَتْبَعُهَا إلى المَشِيبِ وَ تَظْلِيمِيْ وَ لاَ تَحُبِ

فَأَصْفِرِي أنَّ شَيْباً لاحَ بِي حَدَثَا وَ أَكْبِرِي أَنَّنِي في المَهْدِ لَمْ أشِبِ

إنَّهُ يَعْذُرُ المشيبَ الذي حَلَّ بِهِ ، و هو في ستٍّ و عشرينَ سنةً من عمره، و هذا ليس بالأمر الغريب ، إشارة إلى مَا لَقِيه من خطوب و أهوال.

إنّها كلمات متّسعة الاستخدام ، و كثيرة التوظيف ، ستحملها تخريجات لغوية ، متعدّدة الأغراض. إلاَّ أنَّ ما يجعلها تتميّز ، و تحمل أغراضاً بلاغية و فنية، هو حسن الرصف الحاصل في البيتين ، مع دقة الترتيب الذي أُخضع له اللفظ ، فنَتَجَ – عن ذلك – تعلُّقُ كلِّ لفظةٍ بأختها ، فاكتملت الدلالة ، و تمَّ المعنى.

---

[1]- و قد عدَّ ابن الأثير معاني الشاعر المبتدعة ، فوجدها مَا يزيد عن عشرين معنى (انظر كتاب: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر) . تحقيق : محمد محيي الدّين عبد الحميد –322/1.

كما أنّ اللفظ قد يحمل معاني هامشية ، تعبّر عنه عَلاَقة الاختلاف بين ما يبوح به ظاهر اللفظ[1]، و ما يقتضيه منطق المعنى، لهذا يعود المتلقي إلى إحالة الاختلاف القائم على الاختيار والانتقاء.

فيسقط من اللفظ ما هو مطلوب في المعنى، فتتحتم على القارئ مجاوزة بنية السطح إلى بنية العمق لتطويق القصد، لأن وظيفة اللفظ هي العبور منه إلى إعادة بناء المعنى. أو التجربة وفق علاقات تركيبية، تحكمها أصول اللسان العربي.

و من هذا الإتفاق ، قول المتنبي:

غَضَب الدَّهرُ و الملــوكُ عَلَيْهَا فَبَنَاها في وِجَنــة الدَّهــرِ خَــالاَ

و مَجمع الحس، أن الشاعر جعل للدَّهر وجنة، وجعل البنية خالاً فيها، وموضع الأعجوبة في أن أخرج الكلام مخرجه الذي تراه في البيت، وأتى بالخال منصوباً على الحال من قوله فبناها. أفلا ترى أنَّك لو قلت: وهي خال في وجنة الدَّهر، لوجدت الصورة غير ما ترى.

فترى ارتياحاً، في النظم الذي تتحد معانيه النحوية، وتدقق في التصوير الجمالي، باعتبار أن هذه المعاني منطلق إلى المعاني الثانية، وطريق نحوها.

"فترتيب الألفاظ النحوي أو اللغوي، إنما يجيئ تاليا لترتيب المعنى في الذهن، وكلما كان ترتيب الألفاظ محكماً و دقيقاً، تربطه علاقات منطقية قوية، كان ذلك أدق، وارق في إبراز المعاني المعقولة وتصويرها وإخراجها في ثوب قشيب من الأسلوب[2] ".

فأنت ترى أن كلمة (خال) تشع على دلالات أخرى بشكل تزود تلك الكلمة بطاقة من الإيحاء، تخرج عن الدلالة الواحدة إلى الدلالات المصاحبة.

فالخال تدلّ على الشهرة والبروز والتميز، كما تدل على الجمال والزينة، وتدل على الرسوخ والثبوت وعلى القوة أيضا.

و هذا من الخصائص التي تتميز بها الكلمة، وهي مشدودة إلى باقي كلمات التركيب، فينتج عن ذلك تعدد المعاني ، فتُصبح الكلمة حمَّالة للدلالات. و من ثم تمتاز عن الكلمة ذات المعنى الواحد، بطاقة إيحائية هائلة، للمؤوِّل دَوْرٌ في كشف فروعها، والحفْرِ فيها عن الخبيء من المعاني.

فتعدد مسالك الاستقصاء، التي تتعامل فيها مع المعنى اللغوي تعاملاً وظيفيا، انتقائيا، يرجحه مَقْصَدُ المبدع من تركيبه.

---

[1]- أنظر كتاب : الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني – دراسة مقارنة للدكتور محمد عباس– ص 153.

[2]- من قضايا التراث العربي : النقد والناقد لفتحي أحمد عامر- ص 202.

و يشرح لنا هذه العملية الفكرية الدكتور أحمد الوردني، ويراها ركيزة لثلاث حركات، بقوله: "تتشابك في خطاب التفسير حَرَكات ثلاث لبلورة إشكالية المعنى: حركة اللغة، وحركة الزمن، و حركة المنطق، الموصول بتأسيس الفهم، وفق قواعد التفكير الصحيح، و هو تشابك يصل حد التشعب الذي يدق أحيانا على الناظر العجول" [1].

و بالتالي فكل معاني الكلمات الواردة في البيت، قد ساهمت في التركيب الدلالي للبيت، ذلك أن الكلمة، قد تحمل معاني متعددة، و هي خارج هذا البيت الشعري، و لكن بانحصارها في موضع، و بأخذها لترتيبٍ معين، فقد تحددت دلالتها التي تبقى ناقصة، و لا تتم إلا بوجود دلالات الكلمات الأخرى، التي تربطها معها علاقات على مستويات متعدّدة، خاضعة لقوانين الصناعة الفنية.

و هذا الترتيب يجئ ثانياً لترتيب المعنى في الذهن، وبتغيير بناء التركيب تتغير القيمة الفنية التي تحتويها.

فالمعاني النحوية، ما هي إلا دليل على المعاني العقلية، و أَنَّ الروعة كلّ الروعة في ترتيبها في اتساق ووفاق، حسبما ترتب المعاني في الذهن، و تنتظر وعاءها من التعبير، و لابدّ من مراعاة العلاقة بين كل لفظ وما يسبقه وما يلحق به، ليجيء التركيب في تضام أجزائه، وتجانسها، وتوافقها مُعيناً تماماً على تجلية المعنى في أجمل صورة[2].

لقد تفطن نقادنا القُدامى، عبد القاهر الجرجاني، وقبله الجاحظ[3]، الى أن اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات، و هذا هو المنهج اللغوي التطبيقي، الذي سار عليه علماء الغرب.

فمعاني النحو، وفق هذا المنهج، تصبح بما يسمى بالنحو البلاغي، الذي يقصد منه المبدع، ترتيب العبارة بطريقة تؤدي معاني زائدة عن المعنى المباشر، هي معانٍ ثوانٍ، تفهم عن طريق اختيار اللفظة و نظمها[4] .

فالمعنى غير مرتبط بدلالة الكلمة، أو دلالة الجملة ، إنما هو يقترن بمقاصد المتكلّم، وهذا مايؤكد أهمية التعبير المجازي، الذي يحمله الملفوظ، المتكلّم به.

و المعاني اللطيفة الشريفة ، لا بدَّ فيها من بناءٍ ثانٍ على أوّل ، ورد ثانٍ إلى سابق.

---

[1]- أصول النظرية النقدية القديمة الدكتور أحمد الوردني - ص57.

[2]- أنظر كتاب : قضايا النقد بين القديم و الحديث للدكتور محمد زكي الحشماوي – دار النهضة العربية – بيروت – (د.ط) – 1990 - ص 283 – 284.

و كتاب : نظرية اللغة و الجمال في النقد العربي – لتامر سلوم – ص 225.

[3]- الحيوان للجاحظ تحقيق : فوزي عطوي –90/4.

[4]- من قضايا التراث العربي (النقد و الناقد) – د. فتحي أحمد عامر- ص 207 (يتصرّف).

"... و المعنى لا يحصل لك إلاّ بعد انبعاث منك في طلبه و اجتهاد في نيله" [1].

و صَنْعَةُ البحثِ عن المقصد هنا، نستطلعها في هذه التموجات الشعرية ، لأبي تمام ، التي تطالعنا بسيل دَفِق من الاكتناز المعرفي ، الذي تفرّد به أبو تمام ، فالقارئ يتيه أمام قصائده ، و يعيش مع الشّاعر أحداثا تاريخية، و حكايات عديدة ، اختزنتها ذاكرته.

و قصيدة عمورية شاهد إثبات على ذلك ، يقول :

لَبَيْتَ صَوْتَا زَبطرِيًّا هَرَقْتَ لَـــهُ كأس الكَرَى وَرُضَابَ الخُرَّد العُرُبِ
عَدَاكَ حُرُّ الثُّغُورِ المُسْتَضَامَةِ عَنْ بَحْرِ الثُّغُور و عن سَلْسَالِهَا الحَصَبِ
لَمَّا رَأى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تُوفِلْسٌ و الحَرْبُ مُشْتَقّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرْبِ
وَلَّى وَ قَدْ أَلْجَمَ الخَطِيُّ مَنْطِقَـــهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأَحْشَاءُ فِي صَخَبٍ

فزبطرة بلد فتحه الروم ، و هو البلد الذي سُبيت فيه المرأة التي طلبت النجدة من المعتصم، و تُوفِلْسٌ أَحَدُ قادة الروم ، الذي لم يصمد كثيرا ، فولى خائفا هارباً من بطش المعتصم و قوّته.

إنّ غياب الثقافة التاريخية لدى المتلقي ، تمنعه من الوقوف على المعنى الذي يُشكله فكر الشاعر، و إذا فقدت الصورة الأدبية وضُوحَها، و سترَ معناها تُصبح أمام الذهن، موضعا لكثير من التساؤلات ، التي قد يرفضها العقل ، و يتردد في قَبول بعض جزئياتها.

لقد استطاع الشاعر أن يستوعب الأفكار الجديدة ، التي زخر بها مُجتمعه من فلسفة و ألوان مختلفة من العلوم ، ليمهرها ، و يصُوغها في شعرٍ و فن ، يُعبّر عن فكر عميق ، فترى الإبداعَ و الخَلْقَ تمزج بالتاريخ و ألوان أخرى من الثقافة.

و يُعبّر عن ذلك صاحبا كتاب "نظرية الأدب" فيقولا : "لكن الشاعر، قد يُريد أحيانا أن يقول ما يستحيل قوله في ألفاظ ، فثمّ ضروب من الخيال الجامح ، تُحطّم حدود الألفاظ ، ثمَّ تلوذ بالفرار ، لأنّ طبيعتها تأبى عليها السكينة و القرار"[2].

و كان أنصار أبو تمام يرددون عنه قولهم : إنّ الشّاعر – العالِمَ – خيرٌ من الشاعر، و لو كان فحلا ، فيقولون : "... فقد أحرزتم لأبي تمام بالعلم و الشعر ، و الرواية ، و لا محالة أن العلم في شعره أظهر منه في شعر البحتري ، و الشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم"[3].

---

[1]- أسرار البلاغة - ص 123.
[2]- روني ويلك ووان "نظرية الأدب" ترجمة : محيي الدين صبحي – ص 202.
[3]- الموازنة للآمدي – تحقيق : السيد أحمد صقر – ص 11.

و هذا عمل محمود في نظر النقاد ، لأنّه عمل فني يزيد من روعة الشعر ، و قيمته ، و هو ينمُّ عن قدرة عجيبة في جلب البعيد ، و استقراء. لأنّ الإبداع إنّما يقع في معنى غريب لم يطرق ، و لا يكون ذلك إلاّ في أمرٍ غريب لم يأت مثله[1].

و هذه الخاصة الفنيّة، يصطلح المدعو أدونيس على تسميتها "بالإحداث الشعري"[2] و هو ابتكار لم تعرفه الشعراء قبلا.

و من ذلك أيضا قوله :

إليكَ أَرَحْنَا عَازِبَ الشِّعْرِ بَعْدَها تَمَهَّل في رَوْضِ المعاني العَجَائب

غَرَائبُ لاَقَتْ في فِنَائِكَ أُنْسَهَـــا من المَجْدِ فهي الآنَ غيرُ غَرَائبِ

يتوجّه إلى ممدوحه قـــائلا لـــه : إليك صَرفنا مَا كانَ تعزّب من الشعر بعد ما كان تمهّل ، أي تقدّم في روض المعاني ، لا روض النبت ، يُريد أن الفكر عمل المعاني العجيبة ، ما سيقت إليك ، فهي معاني غرائب لم يفهمها غيرك ، فلما بلغتك ، علمت أنّها وقعت موقعها.

وقد أمكننا التوصل الى أن معظم نقاد العصر العباسي، و الذين أتوا بعدهم، قد حرصوا على الاستشهاد بالنص العباسي، فيما يتعلق بالقضايا البلاغية، والبيانية وما يشملها من حديث يغطي جوانب عدة من علوم العربية، و ذلك لزخم الانزياح اللغوي، الذي حملته الوحدات التعبيرية، يتجاوز فيها المبدع الدلالة الوصفية للألفاظ. بدلالة أخرى طارئة، تحمل وجوها من التأويل وَ بُعْدَ النظر[3]. فللمجاز دَوْرٌ في اخصاب معاني الكلمات، بحملها على وجوه مختلفة، تتمثل مظاهر عدول عن قواعد المواضعة الأولى، سواء على صعيد العلاقة بين الكلمة ومعناها، أم على صعيد العلاقة بين الكلمات فيما بينها، فالمعاني لاتحد، أما الألفاظ، فعددها محصور، لأن المعاني مبسوطة الى غير غاية، وممتدة الى غير نهاية[4]، وأسماء المعاني مقصورة محدودة، ومحصّلة محدودة[5].

و من ذلك أيضا قول أبي العتاهية، في هذه الأبيات من قصيدة له يمدح فيها المهدي:

أَتَتْـــهُ الخِلافَـــةُ مُنْقَـــادَة إِلَيْه تُجَـــــــرِّرُ أذيَـــالَهَا

فَلَـــمْ تَـــكُ تَصْلُـــحُ إلاَّ لَـــهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُـــــــحُ إلاَّ لَهَـــا

---

[1]- المثل السائر 333/1.
[2]- الشعرية العربية ، علي أحمد سعيد– ص 43.
[3]- العمدة لابن رشيق القيرواني 122/1.
[4]- أصول النظرية النقدية القديمة لأحمد الوردني ص 197.
[5]- البيان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون 76/1.

وَلو لم تُطِعْــهُ نياتُ القُلُوبِ لَما قَبِـــــــل اللهُ أعمالَــهــا

إنَّ الملتقي، لا يعول هنا، على اللفظ المباشر في ملامسه الدلالة، ورسم المعنى، إذْ يستوجب الأمر، استعاضة هذه البنية الحاضرة (الخلافة) ببنية غائبة أخرى (جملة من الخصال التي تطبع شخص الخليفة، وتعزز أحقيته في امتلاك زمام الخلافة).

إذْ لا يمكن الوصول الى الدلالة الثانية، إلا عبر مسلك غير مباشر، على نحو من الفنيّة الاستدلالية التي تحكمها معايير منطقية.

إذ يمكن بسط الدلالة غير الوضعية، أو الدلالة الاستدلالية على الظاهرة البيانية، الى تناول مختلف القول، الذي يحتمل ضروراً إلى الفهم و التأويل.

و يرى عبد القاهر الجرجاني، أن المعنى الأول، مثلا في البيت الأول ، لم يعد دالاً على المعنى الوضعي، الذي تصل اليه بغير واسطة بل اصبح يتضمن القرائن الدالة على الأغراض، والمحققة لها في القول. و هذا الأمر يشترك فيه بناء الكلام على ظاهر اللفظ، وبناؤه على ما يخالف ظاهر اللفظ[1] إنه اهتداء الشاعر إلى مسالك متجددة في تنميق تراكيبه بجديد العلاقات النحوية، التي تُفْضِي إلى بديع الصور، ومطرف الدلالات، و هذا هو سر الابداع اللغوي والشعري و الجمالي الذي يميز النموذج الفني العباسي.

فعملية بناء الدليل عند تكوين الدلالة، وعملية الاستدلال على المعنى المراد، عند تأويل الدلالة.

بحيث يكون المدلول هو المعنى الأول المقصود، الذي يمثل غرض المتكلم، والدليل هو المعنى الثاني المنطوق به.

وآلية البناء هي ما يلحظه المتكلم من ملازمةٍ بين المعنيين، تجعله يقدم الظاهر من الملازمة، ويضمر الخفي منها.

أما تأويل هذه الدلالة، فيقوم على عملية عكسية، منطلقها الدليل المنصوب، وهدفها الوصول الى الغرض المقصود[2].

و هنا يكمن سِرُّ امتاع النفوس، القائم على تخريجٍ خفي، و إيتيانها بصريح بعد مكني.

و لا شك أن كتاب أسرار البلاغة هو مجال للتطبيق فيما يتعلق بهذه النماذج الفنية، التي حصلت في تضاعيفها هذه القيم الجمالية التي حققتها لها تخريجاتٌ تركيبية، نسجتها العبقرية الشعرية التي تفرد بها

---

[1]- الاستدلال البلاغي لشكري المبخوت – ص 57.

[2]- أنظر المرجع السابق ص 44 - 45.

الشاعر العباسي، الذي استطاع أن يقترن لديه نشاط الافكار، بنشاط الألفاظ، التي تبحث عن كلمات تجسد هذا الرقي، في تزايد المعنى مع التأويل و تجدده، بتجدد قارئيه.

الخصائص التركيبية للنص الادبي

التقديم والتاخير: بعد التقديم والتاخير من المجاز الذي كانت العرب تعمد اليه للدلالة على قوة الملكة في صياغة الكلام، وعلى اصابة المعنى وتحقيق الغرض.

وهو اعادة ترتيب لبناء الجملة، فيتقدم ما يريد التنبيه عليه.والالتفات اليه.. ويتأخر ما لم يرد فيه ذلك.

وللتقديم والتأخير اهمية كبرى في رسم التصوير البياني البليغ

فلدواعي المقام يكون ضروري ابقاء التقديم لما رتبته التقديم اصلا، فالمسند اليه رتبته التقديم احيانا، لأن تقديمه يكون اولى من تأخيره " لكون ذكره اهم اما لانه الاصل ولا مقتضى للعدول عنه، واما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا اليه"[1]

كما ان الداعي الى تقديم المسند هو الداعي الى تأخير المسند اليه وذلك لتحقيق مراد المتكلم وتوضيح المعنى وتثبته في ذهن السامع، ومن أمثلة هذا النوع قول أبي العلاء المعري:

والذي حارث البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

فالمسند اليه قد تقدم، واتصل به ما يدعو الى العجب، ويشعر بالغرابة، وهو " حارث البرية فيه" وهذا أمر يشوق النفس، ويثير فضولها الى معرفة الخبر المتأخر.

وتقديم المسند على المسند اليه يكون لإفادة الاختصاص تارة والاهتمام بالتقدم تارة اخرى ومراعاة نظم الكلام، كما يخبرنا ابن الأثير في كتابه المثل السائر، ويتمثل للنوع الاول بقوله: تعالى " بل الله فاعبد، وكن من الشاكرين" تقديم الله وجب اختصاص العبادة به دون غيره.

يمثل للنوع الثاني بأية الفاتحة" اياك نعبد واياك نستعين"

وقد يتقدم المفعول على الفعل والفاعل، كما يتقدم الظرف والحال على الفعل، والخبر على المبتدأ، وخبر كان على اسمها والمستثنى على المستثنى منه، كما تتقدم بعض متعلقات الفعل عليه، ويقع ذلك كله في الاثبات، كما يتقدم النفي على الفاظ العموم " كل و حميم... و يتحقق التقديم والتأخير في الاستفهام

[1] القزويني:"الايضاح في علوم البلاغة "دار الجيل-بيروت د ط ص 33

بانواعه وانماطه، سواء اكان استفهاما حقيقيا ام تقريريا ام انكاريا، ام نكرة تقدمت على الفعل او الخبر في الفاظ بعينها،" مثل: وغير " وانما" ومن امثلة تقديم الخبر على المبتدأ قول المتنبي:[1]

و " فيك اذا جنى الجاني "اناة" تظن كرامة وهي احتقار

فقد تعين تقديم المسند، للتنبيه على انه خبر لا نعت.

ومن امثلة النفي بين الفعل والفاعل بحيث تكون دلالة الكلام في كل ذات مغزى يختلف في الأولى عن الأخرى، بحيث يتضح فرق مابين قول القائل: ماذهبت وقول الاخر: ما أنا ذهبت. في ان الاول ينفي عن نفسه فعلا غير ثابت الوقوع، اما الاخر فينفي عن نفسه فعلا ثابت الوقوع، فتقديم الاسم" الفاعل" لاشك- مقتضي وقوع الفعل وثبوته، ومن ذلك قول المتنبي:

وما انا اسقمت جسمي به ولا انا اضرمت في القلب نار[2]

والمعنى (ان السقم ثابت موجود، وليس القصد بالنفي اليه، ولكن الى ان يكون هو الجالب له، ويكون جره الى نفسه" وكذلك قوله:

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

ومما يلحقه التقديم والتاخير، نفي العموم وعموم النفي.

---

[1] راجع كتاب التقديم والتاخير
[2] دلائل الاعجاز ص 126

فمن عموم النفي قول القائل: كل هذا لم افعله وهو ينفي الاثبات الخاص، بحيث لايصح قوله اذا فعل بعضه، واما نفي العموم كقول القائل:" لم افعل كل هذا" ولا ينفي قوله اثباتا خاصا بحيث يصح قوله:" لم افعل كل هذا بل بعضه "

وان تقدم حرف النفي اداة العموم سمي: سلب العموم، وان تأخر عنها سمي: عموم السلب[1] ومن سلب العموم قول المتنبي:

ما كل مايتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فالنفي في سلب العموم او نفي الشمول، ليس عاما وشاملا لكل الافراد، بل يفيد ثبوت الحكم لبعض الافراد، ونفيه عن البعض الاخر، كما هو بين في هذا البيت:

فالانسان لايدرك كل امانيه، انما هو يدرك بعضها ويفوته بعضها الاخر.

ومن التقديم، تقديم مثل وغير. وتقديم مثل وغير من ادق وابرع وسائل البلاغة والبيان، يقول عبد القاهر الجرجاني:

" فأنت اذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يقدمان ابدا على الفعل اذا نحي بهما هذا النحو... وترى هذا المعنى لا يستقيم فيهما اذا لم يقدما "[2]

ومن ذلك قول المتنبي:

---

[1] ينظر كتاب التقديم والتاخير ص 39
[2] دلائل الاعجاز ص 140

مثلك يثنى الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه

وقوله ايضاً:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جنبوا او حدثوا شجعوا

وهو يريد في البيت الاول ان كل من كان في صفات عهد الدولة ومكانته، فإنه يستطيع ان يثنى الحزن ويتغلب عليه، اما في البيت الثاني فهو لايريد بتقديم "غير" انتقاض احد، ووصفه بأنه يغر ويخدع، وانما اراد نفي الانخداع عن نفسه،كما صنع ابو تمام في قوله:

وغيري يأكل المعروف سحتا وتشحب عنده بيض الايادي

وغرضه من ذلك ان ينفي عن نفسه ان يكون ممن يكفر النعمة ويلؤم.

ان للخاصية التركيبية: التقديم والتأخير تعد ميزة بلاغية هامة تمكن المبدع من اصابة وتحقيق بلاغة الجملة من خلال اعادة توزيع الالفاظ بما يتناسب مع الدلالة السيميائية التي يفرضها السياق، اذ كل تغيير في النظام التركيبي للجملة يتجه تغيير في دلالته، فتتنقل من مستوى الى اخر، ومن خصائص التركيب الخبر والانشاء.

ويحدد الشكاكي الخبر بأنه ما اشمل الصدق والكذب، فإذا كان مما يفيد المخاطب حكما سمي " فائدة الخبر" واذا كان الخبر لافادة ان المتكلم يعلم فحوى الخبر سمي لازم " فائدة الخبر" ويقسم الخبر باعتبار الاسناد الى ثلاث اقسام هي: الخبر الابتدائي، والخبر الطلبي، والخبر الانكاري[1]

ويعرف الاول بأنه: ما افاد المخاطب حال افتقاره الى فحوى الخبر، وهو ما اسماه " خالي الذهن " ويستغنى في هذا القسم عن المؤكدات، اما القسم الثاني وهو الخبر الطلبي، فهو ما يلقي الى مخاطب متحير، ولكي ينفذه المتكلم من حيرته، فلابد من ان يؤكد الخبر باللام، او

الفصل الثاني:

النشاط الروائي

و

الأطروحات النقدية للقدامى.

[1] مفتاح العلوم للشكاكي ص 170

الفصل الثاني:

النشاط الروائـــــــــــــــــــي

و الأطروحات النقـــــــدية لقدامـــى.

المبحث الأول: الأنظمة اللغوية للوحدة الإفرادية في النص الأدبي العباسي

المبحث الثاني : المناهج المعتمدة في دراسة الأدب

المنهج السيميائي لدى الجاحظ نموذجاً

المبحث الأول

الأنظمة اللغوية

للوحدة الإفرادية

في النص الأدبي العباسي

إن النص إطار فني منتظم، تتفاعل في ثناياه، وحدات لغوية، ترتبط فيما بينها بواسطة علائق متباينة، على مستويات متنوعة لتحقق وظائف عديدة، أرادها المبدع، أن تتجسد في نصه الابداعي، وهي لاشك تتحقق في التوظيف الصحيح للفظة المفرده، في مساق يربطها بباقي عناصر التركيب، في سياق تعبيري ،يخضع لمعايير وقوانين تكتمل بها الخصائص الافرادية للنموذج الفني.

لقد ذكر علماء اللغة أن للألفاظ المفردة خصائص وهيئات تتصف بها، وقد اشار ابن الأثير الى ذلك في حديثه عن الفصاحة والبلاغة. ففي المسألة المتعلقة بالبنية الصوتية[1]، ذكر أن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منها فهو الحسن، و ما كرهه ونبا عنه فهو القبيح. فَسِرُّ استخدام العرب للألفاظ الحسنة، راجع إلى خصائص وهيئات وعلامات توفرت فيها[2].

و يعرض ابن سنان الخفاجي صفات الألفاظ، ويقسمها الى عدة اقسام:[3]كتباعد مخارج الحروف: فمعظم كلام المدونة العربية دائر عليه، لان الواضع قسمها في وضعه الى ثلاثة اقسام: ثلاثياً ورباعياً وخماسياً، وأكثرها استعمالا، الثلاثي ثم الرباعي الذي هو وسط بين الثلاثي والخماسي، في العدد والاستعمال، أما الخماسي فهو الأقل، ولهذا أسقطت ألفاظ كثيرة تتقارب فيها مخارج الحروف. فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين، كذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاي والسين.

كذلك ينبغي ، أن يجتنب في التركيب على الحركتين المتواليتين، إذا توالى حركتان ثقيلتان ، في لفظة واحدة. استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو، والكسرة على الباء، لأن الضمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان كالجُزُع .[4]

وميزان هذه الاحكام هو حاسة السمع، فهي الحاكمة في هذا المقام، بحسن ما يحسن من الالفاظ، وقبح ما يقبح منها.

ومن اوصاف الكلمة ان تكون مؤلفة من اقل الأوزان ، تركيبيا، وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه سر الفصاحة[5]، وذلك مثل لفظة: سُوايداواتها.

---

[1]- انظر كتاب المثل السائر لابن أثير
تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- القاهرة (دط) 1939-148/1.
[2]- راجع باب الفصاحة والبلاغة من المصدر السابق.
[3]- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان 1982 ص60.
[4]- المثل السلئر 191/1
[5]- سر الفصاحة: ص 81.

ويرى ابن الاثير أن الاصول من الالفاظ لاتحسن إلا في الثلاثي، وفي بعض الرباعي واما الخماسي من الاصول فإنه قبيح[1]، اذ ينبغي تجنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها، سواء اكانت طويلة أم قصيرة كقول امرئ القيس: غَدَائرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ الى العلا....فهي كلمة يقبح استعمالها، لأنها تثقل على اللسان، ويشق النطق بها.ومن الخصائص الجوهرية الأخرى، علاقة اللفظ بالمعنى اذ ينبغي حصول علاقة تناسب بين الفعل ومعناه، من حيث بنية الصيغة ودلالتها على المعنى الافرادي لذات اللفظ.

مثلاً: صر (صوت الجندب) ثلاثي مضعف العين، فتضعيف الراء الناشئ عن التشديد فيها ،ينتج عنه نوع من المط والاستطالة، ينشأ عنه سمة التكرارية التي تتسم بها الراء وهذا في نهاية الكلمة ما في صوت الجندب من مد واستطالة فالمناسبة هنا ظاهرة بين أصوات هذه الكلمة ومعناها الذي تدل عليه.[2] وقد التفت الخليل وسيبويه الى اثر زيادة المبنى في زيادة المعنى ، كما قد التفتا الى الغرض من تلك الزيادة، كما هو الشأن في التوكيد والمبالغة، فقالوا: اعشوشبت الأرض، يريدون ان يجعلوا ذلك كثيراً عاماً، قد بالغ [3].

وقد عقد سيبويه لذلك بابا في كتابه، وسماه " ماجاء على مثال واحد، حين تقاربت المعاني" [4].

فزيادة المبنى في هذه الصيغة، قد ناسب زيادة المعنى، وهو إرادة المبالغة[5] وابن جني أخذ اشارات كل من الخليل وسيبويه في هذا المجال، وأولاها عناية فائقة، إذ أخذ يعلل ويبين وجه مناسبة تلك المصادر لمعانيها تعليلا جيداً بقوله :

"فقابلوا بتوالي حركات المثال (أي الصيغة) أو البنية توالي حركات الأفعال" [6].

كذلك تطرق علماء اللغة الى أهمية نظم الحروف، ودلالات الأصوات التي يعطيها لها السياق،وابن جني ينتبه إلى القضية، ويمنحها عناية كافية. كما يتبين من خلال قوله لما رأى أن "دلالة الكلمة باعتبارها

---

[1]- المثل السائر 188/1

[2]- الخصائص لابن جني تحقيق الد: عبد الحميد هدداوي-دار الكتاب العلمية-بيروت-لبنان 2003 ط2 18/1
و انظر كتاب الاقتراح في علم اصول النحو للسيوطي تحقيق: محمد حسن اسماعيل الشافعي- دار الكتاب العلمية-بيروت لبنان ط1-1998 ص 17.18.19

[3]- الكتاب لسيبوبه-المطبعة الكبرى لأميرية ببولاق-مصر المحمية 241/2.

[4]- المصدر السابق 219/2 و 214/2. 216

[5]- الخصائص 152/2.

[6]- المصدر السابق 52/2

تركيباً صوتياً له بنية وهيئة بعينها بحيث يبحث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة، ومناسبة ذلك التركيب، وتلك الهيئة للمعنى، الذي وضعت له الكلمة[1].

لقد أهتم ابن جني بدراسة الدلالة الصوتية، على هذين المستويين[2] في باب (امساس الألفاظ أشباه المعاني) حيث يقول: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم وواسع[3].

لقد برزت مسألة صلة الأصوات بمعانيها أمام علماء العربية في القرن الثاني للهجرة، إذ مالوا إلى القول بالصلة الطبيعية بين اللفظ و مدلوله لما رأوا في اللغة العربية من مميزات قلما توجد في غيرها من اللغات.

يقول ابن جني:" واعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته جماعـــــــة بالقبول له و الاعتراف بصحته، قال الخليـــــــل:" كأنهم (العرب) توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا: صرصر".[4]

وفي مثل هذا الباب يقول سيبويه : " ... ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: الترّوان و النقزان و القفزان، وإنما هذه أشياء في زعزعة البدن و اهتزازه في ارتفاع، ومثله العسلان و الرتكان ... ومثله هذا الغليان لأنه زعزعه و تحرك، ومنه الغثيان لأنه تجبيش نفسه وتثوره...".[5]

فنلاحظ هناك مطابقة بين الصيغة و ما تؤديه من مدلولات و يعني وجود صلة بين اللفظ و معناه، فالمصادر التي هي على وزن (فعلان) تؤدي دلالة على الحركة المصاحبة للحدث.

---

[1]- المصدر السابق 20/1

[2]- المستوى الأول من ذلك كان النظر الى صفة الحرف ومخرجه وهذا مايصطلح بـ:(phonetique).

[3]- المصدر السابق 157/2

[4] - الخصائص 152/2.

[5] - الكتاب 218/2.

وقد نص هذا المذهب ابن دريد في القرن الرابع الهجري، في كتابه الاشتقاق آخذا فيه بالصلة الطبيعية في تفسيره للعلاقة بين اللفظ ومدلوله، ففسر تسمية العرب لأبنائهم تفسيرا يستمد على هذا المنطق، قائلا: " واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سموه تفاؤلا على أعدائهم نحو: غالب وغلاب، وظالم...

و منها ما سمي بالسباع ترهيبا لأعدائهم، نحو: أسد، وليث وفراس، وذئب...، ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض وخشن لمسه وموطنه، مثل: حجر، وحجير، وصخر،و فهر...".[1]

و يبقى رأي ابن جني جدير بالاعتبار، لما فيه من توسع ومنطق نظري، إذ يمكن الأخذ في الدراسات الحداثية للغة الابداعية، عن طريق دراسة إيحاءات اللفظة و أبعادها، لإغناء النص بدلالات تغني النص و القارئ معا.

فللصوت وظيفة لغوية تكمن في بناء مركبات صوتية أكبر، فالفونيم، وهو أصغر وحدة صوتية، يساهم مع غيره في بناء وحدة صوتية أكبر من الفونيم، وهي المورفيم، فيحدث من خلال ذلك، تغيير معنى الوحدة الصوتية أو العلامة اللغوية جاعلا منها صيغة صرفية جديدة، بمعان مكتسبة، ومختلفة تتطابق وما تدل عليه.

ففي صيغة (فَعلاَن) تلمح المناسبة بين تلك الحركات المتوالية التي جعلت تلك الصيغة، بذلك التركيب الصوتي وبتلك الهيئة مناسبة أتم المناسبة لمعناه الدال على الحركة والاضطراب.

متلاً في المصادر الرباعية المضعفة، تجدها تأتي للتكرير نحو: زعزعة، و القلقلة، و الصلصلة، و القعقعة ...

[1] - الاشتقاق لابن دريد تحقيق: عبد السلام هارون – ص:5.

فهي كلها تدل على التحريك، إذ تستشعر روابط من التناسب بين البنية الصوتية لهذه المصادر، ومعناها يقول ابن جي" إن هذه المصادر بما اشتملت عليه من تضعيف وتكرير تناسب ما تدل عليه معانيها.

من التكرير المشترك بين ألفاظ تلك البنى مما يضيف الى معناها المعجمي، معنى أخر تضيفه دلالتها الصوتية" [1].

ومثل ذلك أيضا صيغة (الفعلى)، وما تدل عليه من معنى السرعة والتتابع و توالي الحركات.

أما الافعال المجردة فهي تدل على المفاجأة للسمع بالإخبار عن الحدث دون التمهيد بأحرف تسبقه مثل: خرج، دخل ... فهي اخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت.أما التي تقدمتها الزيادة على الأصل التي جاءت على وزن (فعلل) كأحسن ، أكرم، فهنا يدل على سعي، تسبب وتعمل.... فتشعر في هذه الصيغ بما تقدم الفعل من سعي وتسبب وتعمل، فأحرف الزيادة التي تتقدم الأصول هي بمثابة مقدمة لها، والمؤدية إليها.

وتكرير العين في المثال، دليل على تكرير الفعل مثل، كسّر، قطّع....فكان اللفظ دليلا على معناه فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابله قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما ومحفوفة بهما وفي هذا يقول ابن جني:" فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل "[2].

و في صيغة استفعل جعلت في أكثر الأمر للطلب: نحو: استسقى، استصرخ ...

و في نحو: صرصر، حقحق، فهي دليل على تقطيع الفعل[3].

وهذه ظاهرة واضحة في كل اللغات وهي ماصطلح على تسميتها onomatopoeia وهي الالفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة [4].

فترى أن الدلالات الفنية، وليدة السياق وخليقته فالسياق هو الذي حمّل الصوت هذا المعنى، إذ الحرف خارج النظم يحمل دلالات حينية تتغير وتتبدل لما يُلحق بسياق الحروف الأخرى المشكلة للفظ. فيحصل تفاعل دائب بين السياق والتشكيل الصوتي فالمبدع يختار من الأصوات، مايتناسب والمعنى المعبر

---

[1]- المصدر السابق 22/1

[2]- المصدر السابق 24/1.

[3]- المصدر السابق 155/2

[4]- أنظر كتاب دلالة الألفاظ لابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية –ط6 1991 ص 68-69
ودي سوسر من أشهر المعارضين لاصحاب الصلة بين الالفاظ والدلالات إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق او نظام مطرد.
انظر كتاب دروس في الألسنة العامة: ترجمة صالح الفرماويوغيره الدار العربية للكتاب 1985.

عنه، في سياق يمنح للفظة دلالات فنية ايحائية تحمل علاقات خفية بين السمات الصوتية والمعاني الدالة عليها [1].

والعلماء القدامى كالخليل وسيبوبة قد تطرقوا الى هذا الجانب الخاص بالمستوى الفونولوجي للبنية المفردة وهي جهة تنظر الى التراكيب الصوتية داخل البنية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها، لكن ماأضافه ابن جني يفوق بكثير ما أشار إليه هؤلاء.

ومن صفات الافراد، التغيير، وما يلحق اللفظة من لواحق تهدف الى بناء الكلمة للتعبير عن معان أخرى، تعني بالدلالة الزمنية وهي دالة على حدث يقترن بزمن وتحصل ايحاءات دلالية ناتجة عن مادتها، وهيئتها التي بنيت عليها، وعن استعمالاتها المختلفة.

وهذا التلوين يختص بالفعل في التركيبة الثلاثية وغير الثلاثية وفي عناصرها الصحيحة، والمعتلة، وفي وظيفتها المتعدية واللازمة.[2]

وللصيغ الافرادية دلالات تتغير بتغير البنية، من حيث الحروف والحركات مثلا صيغة فَعَلَ قد تأتي للدلالة على حالات عديدة ففي قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكـــــــل

دلالة الفعل هنا على الأخذ،

أو دلالة فَعِلَ على العلل والاستقام، كما قال ابن الحاجب وفَعِلَ تكثر فيه العلل نحو: سَقِمَ، مَرِضَ....[3].

ومثل: فَعُلَ التي تدل في الغالب على طبائع، طبع عليها الخلق، ودلالته جعلته لا يكون إلا لازماً لأن الغريزة تكون لازمة لصاحبها ولا تتعداه الى غير وهذا ما أكده سيبويه حين عده ضرباً رابعا لايشركه فيه ما يتعداه وذلك فعُل يفعُلُ نحو يكرُمُ وليس في الكلام فُعُلتُهُ متعدياً"[4] نحو شرُف و ظرُف فتغيرُّ حركات الصيغة المكونة من أصول ثلاثية أساسية أدت الى تغيير دلالة اللفظ فالكسره والفتحة والضمة التي لحقت المكوّن الوسط للبنية قد أثرت على دلالة البنية الواحدة، وشملت ايحاءات متنوعة.

---

[1]- يراجع كتاب الخليل من احمد، وكتاب سيبوبة، وكتاب ابن حني، وكتاب ابن الاثير، وكتاب ابن فارس هؤلاء النفر من العلماء تحدثوا عن دلالة الصوت ومناسبته لمعناه

[2]- أنظر الكتاب لسيبوبة 38/4.

[3]- شرح الشافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر العربي- بيروت لبنان 1975 71/1.

[4]- الكتاب لسيبوبة 38/4

كما أن الزيادة على الأصول تحدث تغيراً دلاليا واضحاً وقد تلحق أحرف الزيادة affexation على الأصول الثلاثية تصديراً أو توسيطاً أو تدبيلاً فتمنح الصيغة معاني جديدة. ونستطيع أن نسمي الصيغة بالمكّوِن التركيبي المكون من المكّوِن الأساسي، أي البناء الأصلي والمكّوِن التحويلي أي الزيادة المضافة ودلالة المكّوِن التركيبي وهو ما يسمى بالمكّوِن الدلالي. فدلالة المكّوِن التركيبي افعل يشير الى دلالات متنوعة كالتعدية مثلا قولك:أجلستُه الذي يتضمن معنى التصيير كما يأتي للدلالة على التعريض كقولك أبعته: أي عرضته للبيع سواء أبيع أم لا.

وقولك أيسر يشير الى الدلالة على الصيرورة، وقد يأتي للتعبير عن دلالات أخرى، وهذا بالنسبة للمكون التحويلي الذي يتصدر الأصول.

أما إذا توسط أو كان دليلاً للمكون الأساسي فهنا تتغير الدلالة و تتباين[1].

فالزيادة تشمل صيغا عديدة ستختلف دلالتها باختلاف عدد حروف الزيادة التي تلحقها.

فالوحدات الصرفية المحولة هي الوحدات التي أحدث استعمالها توليد صيغ جديدة يحدد سمياؤها التركيب الدلالي الذي وظفت منه وهنا يكمن دور المبدع في تحريك نظام الأنساق الدلالية وفق ما يتطلبه تحقيق مقاطع التواصل بين النص و المنافي.

فتوليد الصيغ وزعزعة نظام الدوال و المدلولات و تحقيق معان إضافية و علامات تسبح في فضاء النص على امتداده. من الطروحات السيميائية التي يترع إليها المبدع – طمعا.

في التميز و التبرز ومن أمثلة ذلك ما نلحظه في شعر البحتري، من دلالات توظيفه لصيغة " فعيل" كما في قوله:

و بديع كأنه الزهر الضا & حك في رونق الربيع الجديد

وقوله:

نذيرا لكم منه، بشيرا لكم به & و مالي في هاتين قوله كاذب

[1]- راجع كتاب الدلالة الايحائية للصيغة الافرادية د.صفية مطهري طبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003 ص 80.

و قوله: فهل لابني عدي من رشيد & يرد شريد حلمهم العزيب

فالصيغ المحولة:

- (ومبدع كأنه الزهر بضاحك).
- (منذر لكم منه، مبشر لكم به).
- (فهل لابني عدي من مرشد يرد شريد حلمهما العزيب).

فهذه الأمثلة تظهر لنا أن البحتري كان أمام إمكانين للتعبير، ففاضل بين الصيغ و اختار بحسب مبدأ الانتقاد وحسن التخير لصيغة فقيل: بديع، نذير – رشيد و هي وحدات جاءت في البينات السطحية بمعنى اسم الفاعل " مفعل" ومرد هذا الاختيار هي راجع إلى ما يتطلبه مستوى التركيب و ما يقتضيه من حسن و التوزيع.

وما يتطلبه من تقصي نظام التماثل بين الوحدات و التوافق الصوتي في الإيقاع، وهذه هي الشعرية التي تتجلى في حسن إسقاط محور الإدراج على محور التعاقب. [1]

و لصيغة " فعيل "صور، ودلالات بلاغية أخرى نحو قوله:

نصيح أمير المؤمنين وسيفه & وما مضمر غشا كام ناصح

وقوله:

نذيرا لكم منه بشيرا لكم به & و مالي في هاتين قولة كاذب

و قوله:

[1] - هذه ترجمة الباحث الحاج صالح لمصطلحي Axe syntagmatique (المحور الادراجي) و Axe paradigmatique (المحور التحاقبي) وينظر كتاب اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري لرابح بوحوش.

كأن لها على قلبي & رقيبا من الصد المبرج

بنية الصيغ المحولة:

" ناصح أمير المؤمنين

" مبشر لكم به...

" كان لها على قلبي مراقبا

وفي هذا الوصف يتبين تغاير الصيغ كالآتي:

نصيح ناصح

بشير مبشر

رقيب مراقب.

إنه إجراء يكشف عن الممارسة الانتقائية التي لجأ إليها البحتري، لإحداث فنية شعرية ،عذبة ورقيقة،لأن توليد الصيغ وتبديل في مكوناتها الخبر هو عمل تحريري يهدف إلى إطلاق الوحدات المقيدة بالنظام الصرفي كي تتحول إلى سفن شامخة في فضاء الخطاب الشعري، فتستحيل علامات سيميائية لها قوة التأثير و الإيحاء.

أما من جهة المنافي، فنجده هو الآخر يأنس بهذا الاختيار و يتفاعل معه فينجذب إلى الوحدة (تصيح وبشير ورقيب) و ينفر من صيغ (ناصع و مبشر و مراقب).

فالوحدة " فعيل"[1] كانت هذه الاختيارات نواة شعرية تنوعت استعمالها و أحدثت جاذبية يغمرها لذة الرونق ونشوة السحر.

إنه محور تتحرك فيه الوحدات الكلامية في إطار محور التأليف الأفقي[2] الذي يعتمد نظام المجاورة وحسن الاتساق بين كلمات العبارة بحسب قوانين النظم و التمالق، لأن الكلمات وفق هذا التحرك تؤسس وظائفها على علاقتها بمحاورتها لما سبقها و ما لحقها من كلمات.

و من الخصائص الاخرى التي تضاف الى الصيغ الصرفية:دور المورفيم في تحويل الصيغة من المفرد الى المثنى الى الجمع وتحديد الحالة الاعرابية كوجود الواو والنون أو الألف والنون في حالة الرفع بالنسبة للجمع والمثنى.

كما يحد المورفيم زمن الفعل أو تحويله من الماضي الى المضارع أو المستقبل او الماضي المستمر او المضارع المستمر او المبني للمجهول بدلا من المبني للمعلوم وهناك مورفيمات عدة لتحويل الفعل زمنيا، فنقول من جلس: يجلس، اجلس، نجلس، تجلس، اجلس، سيجلس، جالس مع الانتباه الى ان بعض هذه المورفيمات وهي في الغالب إما ياء او تاء او همزة والسين التي للتسويق ،سوف تحدد في الوقت ذاته نوع الفاعل وجنسه.

فالهمزة للفاعل المتكلم، والنون للجمع المتكلم والياء للغائب، والتاء للغائبة وهمزة وصل في اول الفعل الساكن الاخر للمخاطب المذكر.أما كلمة جالس فهي تدل على الفعل المضارع المستمر ومن وظائف المورفيم: التصغير وهو اضافة ياء بعد الصوت الثاني من اصول المكون الاساسي المجرد من المكونات التحويلية مثل: نهر ، نُهَيرْ [(3)].

و المورفيمات انواع حرة ومقيدة.مثلا: المورفيم الحر (مسلم) لو اضفنا له مورفيماً مقيداً (ات) يمنحنا (مسلمات) صيغة جمع المؤنث السالم، فمورفيم الجمع (ات) (sufix) يعد لاحقة اضيفت للجذر وفي قولنا رجل ورجال، جاء المورفيم في وسط الكلمة فهي (داخله) (infix).

وقولنا الرجل المورفيم (ال) جاء في أول اللفظة (prefix).

---

[1] - راجع كتاب " التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة" محمد عكاشة- ص:71.

[2] راجع كتاب " اللسانيات وتحليل النصوص" الدكتور رابح بوحوش- جامعة عالم الكتب الحديث- عمان – الأردن.ط-2007. ص: 46-47.

[3]- ينظر كتاب في اللسانيات ونحو النص للد: ابراهيم خليل- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (دط) 2007 ص 78.

وهناك المورفيم الصفري، وهو المورفيم المغّيب الذي يقدر المتلقي وجوده وهو أن تتغير دلالة الجذر أو معناه أو استعماله من غير حاجة الى المورفيم مثل: عجوز أو قولنا: اذهب بعيداً فإننا لا نحتاج الى ذكر الفاعل، وهو ضمير المخاطب.

و للمورفيم الاشتقاقي دور في تغيير المعنى كقولنا شفي وأشفى أو أن يؤدي الى تغيير صنف الصيغة الصرفية فيحول الفعل الى اسم أو الاسم الى فعل أو أي صيغة أخرى بديلة[1].

فللمورفيمات أهمية في تنويع دلالات اللفظ العربي فتدل على التكثير والمبالغة مثل: علاَّمة ونسابة وعلى التمييز بين الجمع والمفرد والنون في أواخر بعض الأفعال تنم على أن الفعل فاعله أكثر من شخص أو مفرد أو مؤنث.

وهكذا نخلص إلى أن النص نتاج سلسلة من المركبات التعبيرية التي ترتكز على خصيصة جوهرية تعد اللبنة الأساس في تشكيل هذا البناء اللغوي للنموذج الابداعي وهي الأصوات والوحدات اللغوية الصغرى المكونة للبنية المفردة جاعلة منها إشعاعاً إيحائياً متشظيا يبلغ الآفاق.

إنه المخزون المعرفي الذي يستقر في الحس اللغوي للمبدع فيعمل على توجيهه ويدله على اختياره وعلى مستويات مختلفة بطريقة لاشعورية أقرها لديه السليقة العربية والموهبة الصافية التي ميزت العربي عن غيره.

و للصوت أهمية في إبراز البعد الدلالي و القصدي للتركيب:

فالوحدة الصوتية إذا خضعت للعلاقة الاستبدالية وفق المحور الرأسي، فإننا سنقف عند حدود لا بأس به من المعاني و هذه النظرية تعرف بثنائيات الأزواج الدنيا. [2]و تهدف هذه النظرية إلى إبراز هذه الوحدات بموازنة ثنائيات من الكلمات، التي استبدلت وحداتها الصوتية بوحدات أخرى، تغير معنى الكلمة.

و يتحقق هذا في الإستخدامات التجنيس، الترصيع و التطريز....

---

[1]- ينظر المرجع السابق في المبحث الخاص بنظرية المورفيم.

[2] ينظر - Andre martinet elements de linguistique generale- p:20.
و ينظر جورج مونان معجم اللسانيات لرابح بوحوش – ص: 49.(phonologie).
و ينظر كتاب " البنية اللغوية" لبردة البويصري"
consonneالصوامت:
voyelleالصوائت:

يقول البحتري في هذه المقطوعة:

كم بالكثيب من اعتراض كثيب & وقوام غصن في الثياب رطيب

فكيف وهو يسوق الليل في زجل & من عسكر مالشيء غيره زجل

جرى في نحرها من مقلتيها & جمان يستهل على جمان

أبرز الوحدات الصوتية التي شكلت نظام التجنيس:

الثنائيات: (كثيب/كثيب)، (زجل/زجل)، (جمان/ جمان) هي وحدات صوتية مميزة اتفقت في البنية- و تشكالت في كل صواتمها متفقة في البنية و النطق إلا أنها اختلفت في الدلالة.

فكثيب الأولى دالة على التل من الرمل،و كثيب الثانية استعيرت للدلالة على ردف المرأة فارتبطت الحسيات بالحسيات لتقريب الصورة من مدركات المتلقي قصد إثارته وتحريك عواطفه.

و يرتبط هذا الحسي بالحسي و الثنائيات (زجل/زجل) و (جمان/جمان)، فيرتبط الزجل الدال على الجلبة بالزجل الدال على الطرب ويرتبط الجمان الدال على الؤلؤ بالجمان الدال على حبات العقد فالتحم الحسيات في الأصوات و الحسيات في الصور، ليعقد اللقاء مع المتلقي، ويبلغ الرسالة كاملة.[1]

---

[1] - الكثيب: التل والرمل.
صفة استعارية لردف المراء
الزجل: الجلبة.
الزجل: الطرب والغناء.
النحر: أعلى الصدر.
الجمان: اللؤلؤيقصد به قطرات الدموع.
الجمان: حبات العقد.

1- الفتور
2- الغنج: الدلال
3- المسعد: المعني.
4- الصد: الإعراض.
5- بمعنى الحداد: وهو ترك حزينة والحزن.

وهنا تتطابق حروف المباني في أصول الدال و المدلول لكن المعنى يظل هي النسق التركيبي الذي توجه معناه ما تم اختباره من مونيمات لتحديد القصد.

وسنجد تكرار أصول الدال دون المدلول ويتحقق هذا في الجناس اللاحق و المضارع و المصحف.

وفيه تختلف الوحدات الصوتية في الأول كما رسم البحتري.

وما كان صدك إلا الدلالا والملال وإلا الغنج.

هل مغرم يعطي الجوى حق الهوى & منكم فينفد دمعه أو مسعد.

ظلالالها- ماذا أرادت إلى الصد & ونحن وقوف من فراق على حد.

له البأس يخشى و السماحة ترتجى & فلا الغيث ثانيه و لا الليث عاشره.

فالنسيج السوي نحيكه براعة التجنيس: (الدلال/الملال) و (و الهوى)، (الصد و الحد)، (الغيث و الليث) و هي تمثل ثنائيات الأزواج الدنيا الخاضعة للنظام الصوتي الاستبدالي، فالدال والميم في (دلال/ملال) مختلفان في المخرج ، إذ الدال أسناني لثوي، والميم شفوي وهو اختلاف أدى إلى التباين في الدلالة لأن الأولى دالة على التدلل والغنج والثانية دالة على الفتور و الجيم و الهاء في (الجوى/الهوى) مختلفان في المخرج إذ الجيم لثوي حنكي و الهاء حلقي و مختلفان في الدلالة لأن الدلالة الأولى دالة على شدة الحزن و الثانية دالة على الميل والعشق.

كما أن اختلاف الضاد والحاء في المخرج أدى إلى اختلاف في الدلالة فالأولى لثوي و الثاني حلقي و الصد بمعنى الإعراض و الحد بمعنى الحداد و الحزن.

أما الغني الذي هو أقصى حنكي و اللام الذي هو لثوي أسناني في الثانية (الغيث/الليث) فقد أدى اختلافهما في المخرج الصوتي إلى التباين في الدلالة فدلت الأولى على المطر الخاص بالخير و دلت الثانية على الأسد.

و لعل الملفت للنظر ما ورد في البيت الرابع من خلال الدور البارز الذي قام به الجناس إذ ربط القوة بالحلم في سياق شحنت لمبالغة في التعظيم معانيه وهو إجراء قصده للفت الانتباه المتلقى إلى ممدوحه الذي انفرد بسماحته حتى إن الغيث لا يلحق به فيكون تالياله، و أن بأسه لم ينل الليث عشره.

أما عن اختلاف الوحدة الصوتية في وسط اللفظات فقوله:

أعادل ما نيلي مكان الكواكب & بأبعد عني من وصال الكواكب.

و الوحدة الصوتية سواء أكانت في أول اللفظ أم في وسطه سيبقى هي النواة – في بناء الكلمة و إضفاء حيوية تنامي وتوالد الدلالات.

و اختلافها في بنية الأزواج الدنيا(كواكب/كواعب) أدى إلى التباين في الدلالة فدلت الكواكب على نجوم السماء و دلت الكواعب على الجواري النواهد.

و يختلف الوحدة في الصدارة وفي وسط الكلمة و آخرها مؤدية وظائف بنوية ودلالية وبلاغية.

سنان أمير المؤمنين و سيفه & و سيب أمير المؤمنين و نائله.

إننا نجد في آخر الكلمة الوحدات الصوتية قد تباينت (سيف/ وسيب) فاختلفا في المعنى، فدل السيف على الحسام ودل السيب على العطاء و الجود.

وقام هذا التغيير في الصواتم بوظيفة ربط القوة بالسماحة و العطاء ليوهم المخاطب على عادة الثراء في المبالغة و التعظيم عند المدح من أن ممدوحه كامل الخصال و الصفات إذ هو في الحرب سيف و في السماحة جود وعطاء.

فالوحدة الصوتية الصغرى تؤثر في الدلالة السيميائية للكلمة، فإختلاف الصوت في هذه الكلمات المتشابهة في الأمثلة السابقة أدى إلى اختلاف الدلالة.[1]

فالحرف الذي يحل محل الآخر يسمى " مقابلا استبداليا" أو substitution counter لهذا الحرف الآخر.

إذ تسبب بحلوله محل الحرف الآخر في تغيير معنى الكلمة، ثم أصبح يحمل على عاتقه " بضعة " من تبعية المعنى الجديد وفي هذا الحال يكون للحرف معنى وظيفيا باعتباره مقابلا استبداليا، يحاول حل محل حرف واحد أو أكثر في النظام الصوتي.[2]

كما قد يستخدم اللفظ في سياق سيميائي لا يستخدم في آخر للدلالة عليه، كما يؤدي إختلاف موقع الصوت في الكلمة إلى اختلاف دلالتها و مثال ذلك ما أجراه ابن جني من تقليبات صوتية لجذر واحد أو مجموعة أصوات واحدة، فاستخرج منها مجموعة كلمات ذوات معان، واستبعد المهن، ومن هذه الأمثلة "ملك" يمكن أن يبني من تقليب أصواتها: ملك، كمل، كلم.[3]

و لكل من هذه الكلمات دلالة خاصة ناتجة عن تنوع ترتيب وحداتها الصوتية في الكلمة.

---

[1] -انظر كتاب " التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة –محمود عكاشة- دار النشر للجامعات – مصر ط1 -2005- ص: 30-31.

[2] - اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان – عالم الكتب – القاهرة – ط 3 – 1998.ص:76.

[3] - الخصائص.146/2.فوظيفة الصوت الدلالية هي التي دفعت اللبس لتحقيق التمايز بين الألفاظ.

المبحث الثاني
المناهج المعتمدة
في دراسة الأدب
المنهج السيميائي لدى الجاحظ نموذجاً

المبحث الثاني
المناهج المعتمدة في دراسة الأدب

المنهج السيميائي لدى الجاحظ نموذجاً

لقد استغل الجاحظ هذا الجانب إسيميوطيقي عن دراسته للخطب والنصوص النترية المختلفة، إذ غالبا ما نجده يربط وضوح الدلالة بالإشارة، "وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الإختصار،... يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أتفع وأنجح."

وقوله: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائته من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أخيها، وهي التي تكشف لك عن أعياف المعاني في الجملة. ثم عن حقائقها والتفسير، وعن أجناسها، وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السمار والضار، وعما يكون منها لغوا بهرجا، وساقط مُصَرَّحا" [1].

و المفهوم الإشارة في هذا السياق، يعني أيضا أن صورتها غير لغوية "فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب..." [2].

"و الإشارة و اللفظ شريكات ، و نعم العون هي له ، و نعم الترجمان عي عنه ، و ما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، و تُغْني عن الخط"[3].

فهي إذن – علامة ذات مفهوم عام تدل فيه الحركات الجسمية على معنى جيء، ولهذا جاء في الخطابة "لأرسطو" "واللطيف الرشيق من الأمثال ما يوحي بمعنى أكثر مما يتضضه اللفظ."، وربما كانت فكرة الإبانة، التي يلح الجاحظ في إبرازها كمفهوم وغاية للدلالة من وراء إهتمامه بالوسائل الناجحة، في أداء هذا الدّور، فـــ "مبلغ الإشارة، أبعد من مبلغ الصوت"[4] كما تمتاز به من "الدّلّ. والشكل والتفتل والتنى، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور"[5].

ويكشف الجاحظ بها عن السر الذي، كان ينطوي عليه استخدام الإنسان للإشارة في مراحل حياته الأولى، حيث كانت الإشارة أولا في الدلالة على ما كان يريدُ ممن يلتمس تفهيمه، إذا كان من

1- المصدر السابق 76/1
2- المصدر السابق – الصفحة نفسها.
3- المصدر السابق – الصفحة نفسها.
4- المصدر السابق – الصفحة نفسها.
5- المصدر السابق – الصفحة نفسها.

يلتمس تفهيمه بحيث يبصر إشارته، ثم استعمل بعد ذلك التصويت، فيجعل لكل مشار إليه محمدود تصويتا ما محدودا[1].

فالفكرة سابقة على التعبير، والإشارة سابقة على التصويت، ومن تطور التصويت تنشأ اللغة.

لكن الجاحظ لم يحذف هذه المرحلة، من حياته الإنسان، بل جعل الإشارة شريكا للفظ، في أداء الدلالة. وجعل "حسن الإشارة باليد والرأس، ومن تمام حسن البيان باللسان"[2].

فالبيان لديه على أربعة أقسام: لفظ وحظ، وعقد وإشارة. لأن كل واحدة من هذه الأربعة علامة تعدُّ مرجعا للمعنى الذي تختزنه.

و يجعل الجاحظ الإشارة، كما هو ملاحظ في الدّرجة الثانية لأصناف الدلالات. وجعل الإشارة في الدرجة الثانية، بعد اللفظ بإعتبار الإشارة وسيلة الاتصال الأكثر، دورانا بين الشعوب المبائية، والأكثر مصاحبة للغة الملفوظة حتى عند الشعوب الحديثة الغربية التي تعد التعبيرات الإشارية عندهم جانب مكملا للغاتهم.

ثم جعل العقد (ضرب من الحساب بأصابع اليدين) في السلم الثالث للإشارات، لأن هذا النوع من الحساب ينجز بواسطة اللغة البصرية فقط، وكان التقرب القدامي يتقنونه إتفاقا عجيبا. وقد ألفت فيه أراجيز وكتب[3] ثم كان الخط وهو الرمز الدّال على تفتيق معاني الكلمات وذكر الخط هنا ليس خطأ، لأنه علامة اصطلاحية تبينُ أنواع كلّ خط على حده، الخط المسماري، والخط المسند وغيرهما. فهذان الخطاف علامات دالة متواضع عليها، وليس إشارات طبيعية[4].

ثم كان ما أسماه بالنصبة (بكسر النون)، ويقصد الجاحظ بالنصبة " الحال الناطقة بغير السد"[5].

وقال بعض العرب القدامى: "إني لأعرف في العين إذا عرفت، وأعرف فيها إذا أنكرت، وأعرف فيها إذا لم تعرف و لم تذكر، أما إذا عرفت فتخوّاصّ، وأما إذا أنكرت فتحجظ، وأما إذا لم تعرف ، و لم تنكر، فتسجوا"[6].

فهذه البداية الأولى للدرس اليميولوجي، وكانت هذه الإرهامات تعتمد أساسا على البداهة والفظنة والحذق.

---

[1]- اسا طبقا الإشارة لمصطفى السعدني – ص 15 (بتصرف).
[2]- البيان 79/1.
[3]- الحيوان 33/1.
[4]- انظر كتاب : عبد الجليل مرتاض – ص 104.
[5]- المصدر السابق – الصفحة نفسها.
[6]- المصدر السابق – الصفحة نفسها.

فالعربي وسائل وآلات كان يصطحبها معه لرجل التلويح والإيماء، وامتدحت العرب هذه الآلات كالمخاصر والعصي، التي كان الخطيب يستعين بها في خطابته، أو المطرق، أو المطأطئ المفكر في جلسته وخلوته، ولذلك كانت العرب تخطب والمخاصر في يدها. وتعتمد على الأرض بالقسي، وتشير بالقسي والعصا.

وكان لشعراء العرب يمتدحون هذه الآلات المختلفة، التي لم تك تكاد تفارق أيدي الملوك ولأمراء في مجالسها، ومعافيها ولذلك قال العززوق، ماسحا هسام بن عبد الملك:

في لحفّـــــه خيزران ريحه عَبقُ بكفِّ أروع في عرنينـــه شَمَمُ

وقال شاعر آخر:

مجالسهم خفض الحديث وقولهم إذا ما قضوا في الأمر وحيُ المخاصر

و قال الأنصاري في المجامع ذاكرا المخاصر:

يصيبـــون فصل القول في كل خطبةٍ إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

وقال الحطيئة في المخاصر و العصي، وفي خدوجه الأرض بالعصي:

أم مَنْ لخصم مضجعين قسيمهم صفـــــر خدودهم عظام المفخر

بل قال بل هؤلاء لبيد بن ربيعة في ضدوجه الأرض بالعصي والقسي:

نشينُ صِحَاح البيد كلّ عشيَـــة بعوج السَّراء عند باب مُحجَّب.

فالقرب تُعدُّ أصحاب العصا والميل عليها من أسمى الكمال والفخار[1].

حتى أنهم رَاحوا يقسمون الإشارات إلى أنواع: فيقولون أشار بيده، وأومأ برأسيه، غمز بحاجبيه، رمز بشفتيه لمعَ بتوبه، ألاحَ بكمّه وإذا أشرت نحون فلان بأصبعك مفتابا، قبل لك: صبع بفلان، وعلى فلان[2].

ثم يتفقون النظر، وبتعمقون في التركيز على دراسة الحركات الإشارية، وأشكالها، وإيجاد لكل حركة اسمًا لائقا بها.

"... إذا نظر إنسانٌ إلى قوم في الشمس، فالصق حَرْف كفه بجبهته، فهو لاسْتِكفافٌ، فإنْ زاد في رفع كفِه عن الجبهة، فهو لإستشفاف، فإن كان أرْفع من ذلك قليلا، فهو لاستشراف، فإذا جعل كفيه على المعصمَيْن فهو لإعتصام، فإذا وضعهما على العضدين فهو الإعتضاد فإذا حرَّك السبابة، وحدها فهو الإلوَاءُ..." [3].

و يستمر الثعابي في ذكر أنواع الإشارات بمختلف الحركات، ويعقب تفسيره أحيانا بذكر أبيات شعرية لشعراء قدامى. وللجاحظ القول المستفيض في هذا المقام، وسنأخده بالشرح والتفسير – إن شاء الله..

و اهتمامهم بهذه المسألة قادهم طبيعها بعد ذلك إلى الإشارات البلاغية، التي تحجُّ بها النمانج الفنية التي تركوها لنا في مجال الشعر والأدب.

---

[1]- عوج : جمع عوجاء ، و هي هذا القوس.
و الشراء : شجر تُعمل منه القسيُّ.
الشرح من متن البيان و التبيين 372/1.
و هو لا يعني بالباب المحجب الأباب الممدوح الملك الذي كانَ الناس يتلاقون عنده ، فيتفاخرون ، و يخطون بما لديهم من وسائل في أيديهم ، فَتُؤثر في الأرض خطوطا.

[2]- فقه اللغة للثعالبي – ص 223.

[3]- المصدر السابق – الصفحة نفسها.

فهذا الفو رشيق يقول: "الإشارات من غرائب الشعر وملحه، وبلاغته عجيبة، تداح على بعد المرمى، وفرط المقدر، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرزّ، والحانق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، وانتصار وتلويح يعرف مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه"[1].

و اعتبر بعضهم الآخر كقدامة بن جعفر، ائتلاف اللفظ والمعنى تابا من الإشارة، وعرّفها بقوله: "وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة، بإيماء إليها، أو لمحة تدل عليها. كما قال بعضهم، وقد وصف البلاغة، فقال: هي لمحة دالة، وذلك مثل قول امرئ القيس: على هيكل يعطيك قبا سؤاله: أفانين حبري غير كز ولاوان. فقد جمع بقوله: أفانين جَرَى، على ما لو عُدَّ لكان كثيرا وضم" إلى سؤاله، أي يذهب في هذه الأفانين طوعا. من غير حث، وفي قوله: غير كز ولاوان، ينفي أن يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة. والوني من قبل الاسترخاء والفترة" [2].

فالإشارة إلى هذا التعريف أصبحت مرادفة الإيجاز القصر، لهذا فإنَّ الدكتور شوقي ضيف ترى أن قدامة هنا "يفسر ما جاءَ في كلمة ابن المقفع، إذ قال إذا البلاغة هي الوحي في الكلام، والإشارة إلى المعنى، وورد الجاحظ مرارا أنّهم يمدحون الإيجار والكلام، الذي هو كالوحي الإشارة"[3].

و لقد أخذ الشعراء في مدحهم وهجاهم، يتنافسون في هذا الباب. فيعرضون بالخصم، ويلوحون إلى المصدوح، ويكون ويرمزون.... وربما كان لهذا الباب جذور، لا تزال خفية في نشأة بعض المذاهب الأدبية الحديثة. وسنفصل في هذه المباحث لاحقا. ودراسة العلامة اللغوية، تمتد أيضا إلى ما جاءنا به ابن سنان الخفاجي، في حديثه عن دلالة الألفاظ على المعاني. إذ قسم ذلك إلى ثلاثة أقسام: أحدهما: المساواة، والثانية: الإطناب، والثالثة: الإشارة، وهي "أن يكون المعنى زائدا على اللفظ، أي أنّه لفظ مُ,جز، يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة"[4].

فاللفظ الموجز كالإشارة الخاطفة في التعبير عن المعنى الكثير.

فالإشارة علامة غير لغوية تومي، وتوحي، في حين تنبئ اللغة عن نفسها، لكن التلاحم بينهما في الحديث بين: " أخذة أعناق بعضه بأعناق بعض."

---

[1]- العمدة لابن رشيق المسيلي القيرواني: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – 1963- 302/1

[2]- نقد الشعر لقدامة بن جعفر – تحقيق: كمال مصطفى. مطبعة السعادة – القاهرة (دط) 1963- ص: 174.

[3]- البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف – دار المعارف – مصر – (دط) ردت)- ص 79. وانظر البيان 155/1.

[4]- نسر الفصاحة لابن سناب الخفاجي، تحقيق عبد المتعال الصعيدي – مكتبة مطبعة محمد على صبح وأولاده ينطا 1929. ص 199

فالإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان، ولكنها قد تنوب عن اللفظ في مواضع تكون هي فيها أقدر على التعبير، وإنْ كانت اللغة هي أكثر أنظمة التعبير تعقيدا وأشدها خطرا في التعبير عن كينونة الإنسان، وهي أكثر هذه الأنظمة اكتمالا وملاءمة بما تحمل من مراد في الدلالة.

يقول بنفست: "إنَّ اللغة في النظام الوحيد الذي تتحقق دلالته على المستويين، بينما لا تملك الأنظمة الأخرى سوى بعد دلالي واحد، وإما بعد سيميوطيفي بلا سيمانطيقا (مثل التحيات). وإما بعد سيمنطيقي بلا سيميو طيقا (مثل أشكال التعبير الفني). وتكمن ميزة اللغة الكبرى في أنها تشمل دلالة العلامات المفردة، ودلالة القول في آن واحد. ومن هنا تستمد قدرتها الفائقة على خلق مستوى ثان من القول، يمكن من صياغة الكلام دال حول الدلالة نفسها، ونجد في هذه الملكة الميتا لغوية أصل علاقة التفسير التي يجعل اللغة قادرة على استيعاب الأنظمة الأخرى."

إنّ الإشارة اللغوية ذات دلالة مزدوجة تجتمع بين السيميوطيقي (sémiotigue)، والسيمانطيقي (sémantique)، أو (الدّال) و (المدلول)، كما أسس دي سوسر.

ويقابله في التراث العربي قضية اللفظ والمعنى، التي تعدُّ المؤسس الأول لكثير من اشكاليات المعرفة.

واللفظ ذا الجسد بمادي هو وسيلة إشهاد المعنى وتجسيده والدّال مادي، والمدول فكري[1].

فالطرح الإشاري شيء مدرك يظهر شيئا آخر، يقول الجاحظ: قال بعض جهابذة الألفاظ وفقاء المعاني: المعاني قائمة في صدور النَّاس، المقصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، الحادثة عن فكرهم، مستورة خفية وبعيدة وحشية، ومحجوبة، مكمونة، وموجودة، ومعدومة... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه، والمعارف ل على أسوره، وعلى ما يبلغه من حاجات نفسية إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني. ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا"[2].

فالمعنى بحسب نص الجاحظ نمطاف: أمهما: فطرة جُبلت عليها النّفس بوحي من الله، وثانيهما: حادث مكتسب رسبته التجربة في العقل، وكلاهما موجود في ضمير صاحبه، فانّ الشيء، كما يقول

---

[1]- ترجمة سيزا قاسي عن مجلة فصول –المجلد الأول العدد 1981- ص 83.

[2]- البيان 75/1.

الغزالي: "وجودا في الأعيان ثم في أدهان، ثم في الإلفاظ ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى، الذي في النّفس، والذي في النفس هو مثال الجودة في الأعيان" [1].

و عليه فالمراتب أربع يحتل اللفظ عنها المرتبة الثالثة لأنه هو الذي يجعل "الخفي ظاهرا" و"الغائب شاهدا" والبعيد قريبا" فالمعنى هو اسم للصورة الذهنية، وليس للموجودات الخارجية، أو هو الصورة الحاصلة في الذهن عن الأشياء الموجودة في الأعيان: "فكل شيء له وجود خارج الذين، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذين تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية في أفهام السّامعين، وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر، من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضح رسوم من الخط. تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني، فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها" [2].

فاللفظ هو الوعاء الذي يستوعي الصورة الذهنية التي ينقلها إلى الأذهان السَّامعين، ويقرّ بها من أفهامهم، فيصير للمعنى وجود آخر. فالألفاظ ما هي إلا أداة لتجسيد ما يجول في الذهن، فاللغة هي الوسيلة لكشف ما في الضمير من أحاسيس مخبوءة، ومعاني مستورة، فالألفاظ لا تقصد لذاتها، وإنما هي أدلة تبين عن مراد المتكلم إذ "لولا حاجة النفس إلى المعاني، وإلى التعاون، وإلى الترادف، لما احتاجوا إلى الأسماء"[3].

و "بأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان"[4].

ويتعين المتكلم أن يطلب نطاحا يرصف فيه ألفاظه، ويتحرى أن تكون تلك الألفاظ متساوية في الترتيب مع المعاني، التي هي في النفس، لأن التركيب مؤسس على قصد منشئه.

و الألفاظ المفردة "لم توضح لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائدها"[5].

و الضم هو مجال التعليق النحوي، والنحوية الخاصة فيما يرى عبد القاهر، هي المجال الذي تنجلي فيه الفروق ، بين قصد وقصد، وكلام وكلام، يقول: "أعلم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة، ولكن حيث توخى فيها "النظم"

---

[1]- معيار العلم للغزالي – ص 35-36 عن كتاب استيطيقا الإشارة – المصطفى السعدني – الإسكندرية – (دط) – (دت) ص20.
[2]- المنهاج : ص 18 – 19.
[3]- الحيوان للجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون – مؤسسة الخانجي – القاهرة (دط) 1969.
[4]- البيان 76/1.
[5]- دلائل الأعجاز لعبد الرجاني. تحقيق: محمود شاكر – مكتبة الخانجي – القاهرة – (دط) 1984 – ص: 539.

الذي بين أنه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم... وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر بقائله" [1].

إذا الوظيفة الأساسية كما بين أنها الإبانة والإفهام وهذا معناه أنها شيء محسوس، يمكن يمكن أن يحل محل المعنى أو يكون بديلا عنه. يقول الدكتور مصطفى السعدني: "وإذا أطلنا التأمل في الوظيفة العميقة للإشارة، تبين لنا أنّها تأسيس للوجود، عبر إعادة إشهار الكينونة من خلال مستويات عدّة، يصبح الغائب فيها حاضرا، والصّامت حيًّا والواقع فكرا، فالإشارات تنسرب في شرايين حياتنا الإنسانية فتجسد خبرتنا بالكون والحياة، وتستوعب مشاعرنا نحو الله"[2].

فالإشارة إذا هي الوسيط بين كل هذه الموجودات، بها يدرك الوجود، وتفك شفرته، وبها يترجم الوحي، وتتأكد ماهية الإنسان كإنسان.

الفصل الثالث

[1]- المصدر السابق – ص 362.
[2]- أستاطيقا الإشارة دراسة بلاغية سيميوطبقية – لمصطفى السعدني ص 25.

مقاربـــــــات بين النظرية النقدية القديمة و المعاصرة

المبحث الأول: نظرية معنى المعنى بين الجرجاني و رولان بـــارت

المبحث الثاني: نظرية التعليق بين الجرجاني و جون كوهين

المبحث الثالث: نظرية فائض المعنى بين الجرجاني و يفاتيـــــر

المبحث الأوّل:

معنى المعنى بين الجرجاني ورولان بارت.

معنى المعنى بين عبد القاهر الجرجاني ورولان بارث إن الخوض في قضايا المعنى وظلال المعنى، من الأمور، التي تستدعي منّا التركيز، وقراءة عن عمق، في تنايا المعنى، وتضاعيف تركيباته، ذلك أننا سنكون أمام مواجهة بين شيء يحاول – دائما – الإنحجاب عن الظهور. و لإنفلات من الفهم، والتملص من الإدراك فليس من السهل الوقوع عليه، إذ يحتاج من المتلقي أن يكون الثقافي، وبمجزون علمي غزيز، يُهيّنه للتعامل مع أنظمة المعنى، فيفك أغواره، ويستنطق أسراره، ويستكشف خبيئه. الذي يبقى دائما من المقاربات التأويلية، التي ترتكز أساسًا على مرجعيات معرفية، يشترك فيها النّص، وقارئ النّص على السّواء. وترقي إلى القصد والممكن والإحتمال.

ومعنى المعنى، من عني يعني، ومعنى لما ليس فيه معنى، فهو عنوان يدل على شيء آخر، له معنى آخر، غير ظاهر في معناه الأول، فهو المعنى المغيّب و المقصود. وهو الصورة الذهنية التي تقصد من اللفظ كما يُشير إلى ذلك الشريف الجرجاني وكتابه التعريفات. حيث يقول: "المعاني هي الصورة الذهنية صب حيث إنّه وُضع بإزائِها الألفاظ،...".[1]

فالألفاظ دَلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان، لهذا السبب، يقال: الألفاظ تدل على المعاني، لأنّ المعاني، هي التي عناها العاني، وهي أمور ذهنية. فالمعنى ينبني على دلالة متبانية، وعلى قصدية دورانية، إذ إنَّ البنية الأنطولوجية، التي يتوي فيها معنى مخصوصا، تعمل دون استرجاع فوري للقصود المترادفة، على ترجيح الدلالة، من حيث هي اختلاف لحظي للصورة الذهنية المشتركة في قدر من الإقتراب الخيالي.... إنها أثر بين فعل اللفظ، وفعل الفهم.[2]

ونشأة فكرة معنى، تعود إلى تلك المصنفات، التي وضعت في تفسير إعجاز القرآن الكريم، إذ عملت الجهود التأويلية في الثقافة الإسلامية على تحصيل المعاني الإقترابية من التزود بقاعدة إيمانية، تختزل كل جهد موجه لفهم الذات الإنسانية.

كما تعود بدايتها أيضا إلى الدراسات النقدية، والبلائية التي خاولت البث في العلاقة بين اللفظ والمعنى. وتشكلهما في تركيب تعبيرية، عن طريق البحث عن البؤر الدلالية، التي تستجمع المعنى، وتجعل

---

[1]- التعريفات للجرجاني. ص 111.

[2] أنظر كتاب اللغة والتأويل. لعمارة ناصر ص33، وص134.

منه نواة لتوليد المعاني الأخرى، فالنص تأليف، وتأويله تأليف يقول الأستاذ عمارة ناصر: " و ما يفهم من التأويلية[1]. العربية الإسلامية، أنّها أنتجت المعنى من المعنى أي أبعادًا من الحقيقة ذاتها، وهو اشتغال دَوَرَاني يفرق معه كل محاولة لاستحضار الذات القارئة، كنص حي مؤسس، ومنه عالما مفتوحا للغة خصية." [2]

و للفظ والمعنى أهمية في بلورة نظرية معنى المعنى. وكان أوّل من تعرَّض لهذه الإشكالية، سيبويه في الكتاب، إذ كان يقابل بين اللفظ والمعنى، فيضع الرمز الصوتي، وصيغته الصرفية من جهة، ويضع مدلوله الجزئي في الجهة الأخرى. كما قال: "ذلك أن الكلم ينصرف إلى اسم وفعل وحرف جاء المعنى." [3]

و يتناول الجاحظ مشكلة اللفظ والمعنى، فيقول: "والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي. وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّر اللفظ، وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك." [4]

و يقول أيضا في شأن الألفاظ والمعاني، وعلاقة هذه بتلك، "قال بعض بها بذة الألفاظ. ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس، والمتصوّرة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم.... وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها..." [5]

و يتناول ابن جني (ت 392 هـــ) موضوع الدّلالة اللفظية والصّناعية والمعنوية. ويفاضل بين الألفاظ و المعاني، ويقرّر أن الألفاظ خدّم. للمعاني والمخدوم أشرف من الخادم، إلا أنّ إبراز المعاني وتوضيحها، لا تتم إلا من خلال العناية بالألفاظ.

يقول: "وإصلاح الألفاظ وتهذيبها، ومراعاتها أمر يحتمه التعبير، لأن الألفاظ عنوان المعاني... فالألفاظ المزخرفة، المنمّعة، تحصل بالضرورة في طياتها معنى شريفا، فخما، وهذا المعنى الشريف الفخم، يتعذر الحفاظ عليه، والاحتياط له، إلا إذا حملته ألفاظ موشاة مدبّجة حظيت من الجمال بقسط وافر." [6]

وحاول عبد القاهر الجرجاني تصحيح هذا الفهم، فانتقل بالعلاقة بينهما من النظر إليها بوصفها علاقة بين اللفظ والمعنى، إلى النظر إليها بوصفها علاقة بين الألفاظ بعضها ببعض. فالجمال والبيان، ليسا

---

[1] المرجع السابق ص 109 و ص 112.
[2] المرجع السابق ص 123.
[3]- الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون – دار القلم – 1966. 12/1
[4]- الحيوان 557/3.
[5]- البيان. تحقيق: عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بمصر – ط 2 – 75/1-76.
[6]- الخصائص 98/3.

في اللفظ وحده، أو المعنى وحده، بل في إتحادهما معًا، ذلك لأنّ اللفظ، موجود بوجود معناه، فاللفظ بلا معنى ليس شيئا، والمعنى بدوره يحتاج إلى ألفاظ، تجسِّدُه، وتقربه. [1]

و المعاني أفكار و أغراض ومقاصد، فهي ما تدل عليه الألفاظ المفردة. وهي رؤية عقلية في التعبير، بينما المعاني، كما نظر إليها عبد القاهر الجرجاني، هي المعاني الناتجة عن النظم، وهي رؤيا فنية في التعبير، فالمعنى الأدبي ليس مجرّد تفسير، أو توضيح اللفظ...

... فالنظم هو ترتيب الألفاظ والمعاني معًا، والتعليق والبناء. بحسب قوانين النحو، ... وقد ردّ على القائلين بامتياز الألفاظ على المعاني، ووصف كلامهم بأنّه "يوهم" فانتهى إلى أن "المزيّة من حيّز المعاني دون الألفاظ، وأنّها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك. وتستعين بفكرك، وتعمِلُ رؤيتك."[2]

فكل لفظ يحمل طاقتين: الأول دلالية محدّدة، والثانية إيجابية بلا حدود، الدلالية هي المعنى الأصلي، والمعجمي للفظ، وإيحائية هي تعدّدُ المعنى الناتج عن الرمز والمجاز والإشارة =، ومن ثمّ فالمفهوم الجديد للمعنى، هو العلاقة بين اللغة والأفكار لأنّ الكتابة هي نشاط الأفكار، ومثلما هي نشاط الألفاظ، فالأفكار تبحث عن كلمات، والكلمات تجهد لشرقي إلى مستوى الأأفكار بحسب رأي الجرجاني، أن المعاني تتزايد وتعطي معنى المعنى الذي يولدُه مُجرد اللفظ، بل معنى اللفظ، وموضوعه في اللغة فإذا كان المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ، ونصل إليه بغير وساطة، فمعنى المعنى هو الذي يتولد من الأوّل، ويولدُ مَعَأني غير محدّدة، ومعنى المعنى هو مدَار اهتمام الجرجاني عن أسرار البلاغة. وهو موضع الجمال والفن والبيان.

"إذا رأيتهم يجعلون الألفاظ، رانية للمعاني وجلية عليها، أو يجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها، وكالوشي المحبّر واللباس الفاخر والكسوة الرائعات، إلى أشباه ذلك. ممّا يفخمون به أمر اللفظ، ويجعلون المعنى ينبُل فيه، ويشرف، فاعلم أنهم يصفون كلامًا، قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكني وعرّض ومثلَ، واستعار ثم أحسن فأصاب." [3]

---

[1]- عن مقال: التعبير والنثر الصوفي في الموقع: .http.www.a.dan.org

[2]- المصدر السابق ص:271.

[3]- دلائل الإعجاز ص: 184.

و يعبر الجرجاني عن أهمية المعنى في النص الشعري بقوله: "وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة، وهي الفرض المعنى و معنى المعنى، نعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ، الذي توصلهُ إليه بغير واسيطة. وبمعنى المعنى أن تعقد من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر." [1]

و يُبيّن الجرجاني أن الغموض يكون المعنى الثاني، غير الحقيقي وتقصد به مستوى الفن الجمالي، والذي يتمثل في العمل الأدبي، ولا فرق في هذا أن يكون العمل الأدبي شعرًا أو نثرًا.

القول عن دلائل الإعجاز:

و هكذا يظهران أن اللفظ ما هو إلا أدّاة ووسيلة يمرر من خلاله المعنى. الذي يبقى لصيق المحور التركيبي من خلال تفاعل دلالات الكلمات والمعاني صورة قابلة للتشكيل، وتتحدّد ملامحها. وتتجسد بناء على وجود اللفظ.

ذيوعز الجرجاني للمعاني مزية. ويراها ذاتية، فهي كالجوهر فهي كالجواهر، ليس للفظ فيها أثر من التوشية والتحسين وأنها كالجوهر المنفردة بالحسن يقرّ لها بالجودة والسبق ومن ثم فإنّ المؤثر المقال والنظر ليس مضمون السباق ولا الفكرة المجرّدة، وإنما آخر، يفوّق فيه القاهر في مفهومه للمعنى، وبين المادّة التي يصاغ منها هذا المعنى، مسميّا هذه المّادة الأصلية، باسم المعنى الأصلي، أما ما يتفرّغ عنه من دلالة، فهو معنى المعنى الذي يعدُّ المؤثر الفعال على النظم. "الكلام على ضر بين.... نذكر قوله. ص 254-255 (دلائل الإعجاز).

لمصطلحي (معنى) و (معنى المعنى) علاقة بمفهومي الكفاية اللغوية، والكفاية التخاطبية[2]. لما له من صلة مباشرة بالألفاظ نفسها، وفقا لمفهوم المواصفة. يتوقف فهم الثاني على استنتاج المتكلم، ومدى المامه بعادات العرب، وثقافتهم، وكل ما لهُ علاقة بالسياق الخارجي، وباستخدام اللغة، عن المواقف الفعلية. وهو ما يدخله في إطار البحث التخاطبي، وهذا هو شأن المجازات والكنايات، التي تحتاج دائما إلى قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقي، وهكذا يصير مصطلح معنى المعنى لدى الجرجاني. ما يراد به مصطلح الإيحاء والدلالة الهامشية أو المعنى لإمتنتاجي في مقابل المعنى الحرفي[3].

---

[1]- دلائل الأعجاز ص.

[2]- الكفاية اللغوية: معرفة المحادث المتكلم السامع للفته، وهذه مصطلحات تشومسكي، أي معرفته الكامنة بقواعد لغته، وقائمة وحداتها المعجمية. والكفاية التخاطبية، وهي المقدر على استخدام اللغة على صياقاتها الفعلية التي تتجلى فيها. أي المعرفة المتطلبة لتحديد ما تفسيه مثل هذه الجمل، عندما يتكلم بها بطريقة ما في سباق معين.

[3]- المعنى وظلال المعنى لمحمد محمد يوسف علي. ص:204 ، 206.

كما يظهر في قول بعضهم: بلغني أنّك تقدّمُ رجلا وتؤخر أخرى، حيث قصد إعلام مخاطبه بأنّه قد عرف تردده في أمر البيعة، وقولهم: هو كثير رماد القدر، وطويل اشجاد وهي نؤوم الضحى: "إنّك في جميع ذلك، لا تفيد عرضك، الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على السبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك، لمعرفتك من (كثير رماد القدر)، أنه مضياق ومن (طويل النجاد) أنه طويل القامة، ومن (نؤوم الضحى) في المرأة أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها من أمرها." [1]

تطابقها مَعَ العقل (وكونها تفريقا من مأثور الحديث. أو القرآن فقول الشاعر: وكل امرئ يوحي الجميل محبّب).

ليس للشعر عن جوهره وذاته، نصيب وإنّما له ما يلبسه من اللفظ ويكسوه من العبارة وكيفية التأدية من الاختصار وخلافه إن عبد القاهر الجرجاني يبدي اهتمامًا زائدا بهذه المسألة، ومردُ هذا الاهتمام، هو ارتباط هذا الموضوع بنظرية النظم والتي تعدُّ من أبدع ما جاد به فكره التقدي.

ومن الشواهد الدّالة على قيمه ما وصل إليه. قول أبي تمام: لا تذكري عطل الكريم من الغنى: فالسّيل حرْبٌ للمكان العالي. [2]

ومعنى هذا، أنّ عدم شراء الرجل النبيل، عالي الهمة يرجع إلى أن نبله يمشعه من كتر المال، في الوقت الذي يوجد فيه كثير من المعوزين والفقراء، الذين هم في أمس الحاجة إليه ولذا فإن مثله وصمته العالية يحجلانه يترك ماله الأولئات المحتاجين، حيث ينتال عليهم، انتيال الغيث من القمم العالية.

و هذا قيامى شعري، قائم على التخيل والبعد النظر، على استقراء ما هو مثيل وشبيه للموقف المراد تجسيده في أحسن صورة.

"فالعلة في أن السيل لا تستقر على الأحكمة العالية، أن المال سيال لا يثبت إلا إذا حصل في موضع له جوانب. تدفعه عن الانصباب، وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والمال، شيء من هذه الخلال." [3]

إنها صورة بيانية تكشف عن جمال وناشي بياني أخاد وتبرز بذلك معنى المعنى. أو الدلالة الورانية التي تحملها الدلالة الأولى. التي حملتها دلالة اللفظ وحده. يقول: "وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى

---

[1]- دلائل الأعجاز. ص 184.

[2]- من لاميته التي يمدح فيها من رجاء ديؤنه 675/3 دار المعارف. معنى المعنى

[3]- أسرار البلاغة ص 382.

الفرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه، الذي يقتضيه مَوْضوعه في اللغة، ثم نجد لذلك دلالة ثانية. تصل بها إلى الفرض ومَدَار هذا الأمد على الاستعارة، والكناية ولتمثيل." [1]

ثم يوضح هذا بقوله: "وإذا عَرفت هذه فهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بالمعنى إلى معنى آخر، كالذي فسرت لك." [2].

و يبدو واضحًا أن المجاز هو لمطية التي ينتج عنها بلاغة التعبير. وهي الأداة الأمثل للدّخول المباشر لمواقع قصود النص. وهي تلك المفاتيح التي تتاح للمتلقي بعد القراءة الأولى. لفتح مقعلات. القراء الثانية.... فالفضيلة على ملاءمة معنى اللفظة، لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ." [3]

و يبدو عبد القاهر على موضعا آخر، معدًا بتأثير المعنى وبلاغة الخطاب وهو يصدر مناقشة قضية الفصاحة لما قال: إن الفصاحة والبلاغة، وسائر ما يجري في طريقهما أوضاف راجعة إلى المعاني، وإلى ما يدل عليه بالألفاظ. دون الألفاظ أنفسها لأنّه إذا لم يكن في القسمة إلا المعاني والألفاظ. وكان لا يعقل تعارض في الألفاظ المجردة. لم يبق إلا أن تكون المعارضة من جهة ترجع إلى معاني الكلام المعقولة، دون ألفاظه المسموعة." [4]

واضح من هذا النّص أن المفاصلة بين تعبير وتعبير تتوقف على حُسن الصياغة، لا على موضوعها أو معناها المجرّد، إنّ ترى معنى المعنى تعاملا مَع المستتر، وريضا للعصي الدّفني، وذلك انطلاقا من أسس يكشف بها الملتقى لمستور، ونميط بها عن هذا المحبوء، مستدلا بالإشارة والإيماء. يقول الجرجاني: "ولم أنزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء من معنى الفصاحة =ظن والبلاغة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرّمز والإيماء والإشارة. في خصاء وبعضه كالتنبيه على مكان الجنيء ليطلب، وموضع الدّفين ليبحث عنه فيخرج." [5]

---

[1]- دلائل الأعجاز ص 173

[2] م.س. ص 173 - 174.

[3] دلائل الأعجاز – تحقيق محمود شاكر.ص 46.

[4] م.س ص259.260.

[5]- دلائل الأعجاز – تحقيق محمود محمد شاكر – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط 1 – 140- 199 ص 34.

شيئا شيئا، ويكون معرفتك معرفة الصانع الحاذق الذي يعلم كل خيط من الإبريسم الذي في ديباح...." [1]

ونوضح القول وفق المخطط التالي.

النظم (المعنى) الثاني ← النظم (المعنى) ←

التركيب + النحو + حركة إبداعية صناعة النص ← اللفظ ثم الحركة الإبداعية التي

تتجه في صناعة النّص من اللفظة، حتى تبلغ به النظم البليغ، تقابلها الحركة المعاكسة والمتمثلة والمتلقي، الذي يتعامل مع النّص على أوّج إكتماله، ولا تستغله الألفاظ، ولا تموضعها الجزئي، بل هو ينظر إلى تعالقها، أو كما قال الجرجاني إلى انتظامها فيما بينها.

و يرى أيضا أن تغييب شأن المتلقى في القيام بالعملية المعاكسة، ليس بالأمر المرجو لما قال: "ترى كثيرا منهم لا يرى له – أي على البيان – معنى أكثر مما يرى الإشارة بالرأس والعين، وما يجده للفظ والعقد، يقول: "إنما هو خير واستخبار، وأمر وهي ، ولكل عن ذلك لفظ قد وُضِعَ لهُ، وجُعِلَ دليلا عليه... لا يعلم أنّ معنا دقائق وأسرارًا طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها ودلوا عليها." [2]

فالغياب أو الغموض الذي يطبع النّص، ويجعله أداة للدخول وأعماق المتلقي. فالغموض يجعل من النّص الإبداعي العادي نصا إبداعيا متميزا، له فضل على ما يشابهه من النّصوص، التي لا تحمل هذه الصفة.

فالغموض هو الذي يشير الدّهشات والاستفزاز للمتلقي، فيبحث القارئ على مشاركة المبدع في لذة اكتشاف المعنى والغموض طريقه المجاز، أو إستراتيجية ما بعد الفهم، كما يسميها بعض الباحثين المعاصرين،[3] بل ويجعلون لنظرية المعنى محاور، لابُدَّ ترتكز عليها النظرة. وهي:

1- إقامة رصد دقيق، ومتطور للخصائص والعلاقات الدلالية الخاصة بلغة من اللفات.

2- اكشف عن جوهر "المعنى" الذي ترتكز عليه التجليات الخاصة على اللغات، وذلك بالتركيز على المبادئ العامة، فعل النظرية العامة، أن تربط أكبر عدد من الظواهر الدلالية بقوانين خاصة، تكون مجموعة منسقة تحكمها مبادئ عامة تنسحب على كل اللغات." [4]

---

[1]- المصدر السابق ص: 82.

[2]- المصدر السابق ص 76.

[3] اللغة والتأويل لعمارة ناصر – ص 18..

[4] مدخل إلى الدلالة الحديثة – دار طوبقال للنشر – المغرب – ط2 - 2000 – ص:09

وقد سبق الجرجاني هؤلاء المفظري المعاصرين على استكشاف أصول نظريته وقواعدها فيبرز خصائصهذه الظاهرة. فيرى أن الصياغة في التعبير، أمم ركزة تقوم عليها نظرية معنى المعنى. وهذه الأداة ما هي إلا صورة من صورة المجاز، أولونا من ألوان الكناية أو الرمزٍ. [1] وهو الوسيلة الإستراتيجية التي تساعد على أنتاج مواقع قصود جديدة. [2]

و يشمل عنصر الصياغة والتعبير مبدأ آخر يضاهي أهميته المبدأ الأول، وهو إثبات المغرع وجودته. ويتضح هذا من فحوى قوله: "فينبغي أن تعلم. أن ليست المزايا، التي تجدُها لهذه الأفباس على الكلام المتروك على ظاهره، والمبالغة التي تحسها في أنفس المعاني، التي يقصد المتكلم بخبره إليها، ولكنها في طريقة إثباته لها وتقريره إياها." [3]

فإذا كان حسن الصياغ، يتوقف على طريقة إثبات المعنى، لا على أداة الإثبات من استعارة أو تشبيه أو كناية، فيجب أن نضع على الاعتبار أن ذلك كله لا يتحقق إلا بفضل المثبت للمعنى، وطريقة صياغته له وهذا هو سر تفاوت الأدباء على التعبير

و مثل هذا قول المتبني الذي يصيغ عبارة تتردد كثيرا على ألسنتنا. وهي قولنا: "الطبع لا يتغير". فيأخذ الشاعر المعنى ويصيغه صياغة جميلة مفايرة تماما، يقول:

يـــــرادُ من القلب نِسْيَانكم وتـــــــأتي الطباع على الناقل[4]

و أنت ترى ما بين المعنيين من فروق دقيقة في الصياغة والأداء التعبيري، بحيث يبدو كل معنى من هذين مغايرًا للمعنى الآخر، مع أنهما يتناولان غرضا أو معنى عامًا واحدًا. وكأننا أمام معنيين، وليس معنى واحد، وقد لاحظ الجرجاني هذا، فقال: لا يكون لاحدى العبارتين مزية على الأخرى، حتى يكون لها المعنى تأثير، لا يكون لصاجدتها، فإن قلت أفادت هذه ما لا تفيد تلك، فليستا عبارتين عن معنى واحد، بل هما عبارتان عن معنين اثنين." [5]

---

[1] دلائل الأعجاز – ص:262-263

[2] اللغة والتأويل لعمارة ناصر – ص:18

[3]- المصدر السابق ص: 447

[4]- دلائل الأعجاز. ص: 422

[5]- دلائل الأعجاز. ص: 257

وهناك مثبتات أخرى، غير لغوية تدخل في صناعة هذه الصياغة، كالعوامل النفسية، التي تتعلق بالانفعالات المصامة لنقل المعنى والمناخ النفسي، الذي تنتشأ في ظله، لأن المبدع، لا ينقل المعنى فحسب، وإنما ينقل إحساسه والانفعالات المصاحبة له. [1]

و يتين فكرة عبد القاهر الجرجاني، العديد من اللغويين العزب منهم رولان بارث، الذي راح يبلو الفكرة، ويحصرها فيما أسماهُ بالتحرية الدّالة، التي تساعد في بناء منظومة تركيبية للنّص. والجوهر على ذلك هو الدّال، الذي يتجسد الاصقارة وهي الاستجابة الفعلية للحالة ، لما هي ير مباشر في إطار التفسير والتوضيح أو الارتفاع عن المعنى، ومن هنا تختفي الاصقارة، إضافة إلى التقنية الجوهرية. التي تعني عند بارت كشف المغطى في الخطاب. وهذا يحتم استقلالية الدّال، ورفض المعنى وهذا لا يتحقق إلا والنّص المكتنز بالعلامات.

و رولان بارت يركز على التجربة الدّالة، والتي تتقدم أعماله بشكل عام وهي "الإشكالية الجوهرية" فيما يسمى "لذة النّص. فنحن أمام قوّة انفجارية.

بامتياز على مستوى الاستعارة، وتشكل السرد والاستجابة المستمرة للجوهر، على محاولة لرفع المعنى. وترى على الدليل شريحة إصائية أو بصرية ذات وجهين ما يُشير إلى أن كل نظام دلائلي يحتوي على صعيد العبارة (ع) وصعيد المحتوى (أو المضمون) (ص)، وأن الدلالة تتطابق مع العلاقة (ق) الرابطة بين الصعيدين (ع ق ص).. فالصعيدين (صعيد العبارة والمحتوى) نظامين يتداخل ويتشابك أحدهما مع آخر.

فيصير النظام الأول (صعيد التقرير). ويشكل النظام الثاني (وصوتو مع للأول / صعيد الإيجاء)

يقول بارث: "إن النّظام الموحي connoté نظام يتكون مستواه التعبيري ذاته من نظام للدلالة. بديهي أن تألف الحالات الإيجائية العادية من أنظمة معقدة تشكل اللغة المتمفصلة نظامها الأول (تلك مثلا هي حالة الأدب). أما الحالة الثانية الانفصال (المناقضة الأولى) فيصير النظام الأوّل (ع ق ص) فيها صعيدًا مضمونيا أو مدلولا للنظام الثاني، وليس صعيدا تعبيريا." [2]

و يرى أن اللغة على تطور دائم، ومستمر وبالتالي فمعاني الأنظمة الثانوية هو الآخر وتطور ممئد، ومتواصل وأساسه النظام الأول الذي تقدمه له اللغة البشرية وتحتوي الإيجاء باعتباره هو نفسه نظاما على دوال ومدلولات وعملية توحد أولاء بأولائك (دلالة)

---

[1]- في النقد العربي القديم عثمان سلمان. ص: 253 – 254 - 255

[2]- مبادئ وعلى الدلالة لرولات بارت – ترجمة: محمد البكري – الدار البيضاء – المغرب (ط2) ص 135 – 136.

و يسمى بارث دوال الإيجاء بموجيات من أدلة (دوال ومدلولات مجتمعين) النظام المقرّر. يقول: "بديهي أن تجتمع أدلة مقرّرة عديدة لتأليف موج واحد فيما إذا كان متوفرا على مدول إيحائي واحد، أو بعبارة أخرى، ليس لوحدات النظام الموحتي بالضرورة نفس الحجم الذي يكون للنظام المقرر.

فالموحيات تكوِّن دائما في نهاية المطاف، أدلة منفصلة (تافهة) يقع تطبيعها من طرف الرّسالة المقرّرة التي تحملها. أما فيما يخص مدلول الايجاء فان له طابعا عاما ومتاملا ومنتشرًا في الوقت نفسه." [1]

ثم يركز على مكونات دوال النظام الثاني، في الدلالة الايحائية، ويراها تقوم على أدلة النظام الأول، وهي لغة اصطناعية ودلالة علمية وعملية. تتحمل على عاتقها لغة أولية، باعتبار هذه الأخرة نظامًا ثانيا (أو لغة – موضوعا) [2].

و هكذا لا تزال فكرة المعنى من القضايا الفكرية، المتعلقة بنظام الرمز المادي، ويتعلق الأمر أيضا، بفكرة تحليل المعنى على الأدب أي هي المنهجية المناسبة للنقد الأدبي. ودراسة هذا الجانب من الأدب وهذه فرصة لا تراء المفاهيم، في هذا المجال رغبة على مقاربة المعنى من خلال استحضار كلّ ماله علاقة بواقع العبارة، وقوفا على دلالات متنوعة، ومثرية للإبداع الفني

---

[1]- المرجع السابق ص 137

[2]- المرجع السابق. ص138

الفصل الثالث

نظريات الفكر النقدي العربي القديم و النظريات الأجنبية

الفصل الثالث

نظريات الفكر النقدي العربي القديم

و النظريات الأجنبية

المبحث الأوّل : نظرية معنى المعنى

بين الجرجاني و رولان بارت.

المبحث الثاني : نظرية التعليق

بين الجرجاني و جون كوهني.

المبحث الثالث: نظرية فائض المعنى

بين الجرجاني و ميشال ريفاتير.

قبل الولوج في هذه الدّراسة المقارنة بين آراء عبد القادر الجرجاني و النقاد العرب المعاصرين حول قضية المعنى. لا بدّ أن نعرف معنى المعنى أولاً.

فالمراد بالمعنى القصد و الحال ، الذي يصير إليه الأمر. قال الأزهري : (ت 370 هـــ) ، قال الليث ، و معنى كلّ شيء و محنته ، و حاله التي يصير إليها أمره ، و أخبرني المنذري من أحمد بن يحي قال : المعنى و التفسير و التأويل واحد" [1].

و قال ابن فارس (ت 395 هـــ) في باب معاني الألفاظ العبارات، التي يعبر بها عن الأشياء : فأما المعنى فهو القصد و المراد. و يقال : عنيت الكلام كذا ، أي قصدت و عمدت"[2].

و نستطيع أن نستخلص من استعمالات اللغويين و البلاغيين و النحويين لهذه اللفظة ثلاثة أنواع من المعاني و هي :

1. المعنى الذي يرتبط بالكلمة أصالة ، أي ما وصح للفظ في الأصل. و يصطلح عليه بالمعنى الحقيقي.

2. المعنى الذي يستجد للفظ بالاستعمال و التطوّر اللغوي ، أي تتولّد للفظ معانٍ أخرى غير المعنى الذي وُضِع لهُ في الأصل، و هو ما يختص بدراسة علم البيان.

3. المعنى الذي ينشأ من تركيب الألفاظ بالاسناد أو الإضافة ، و هو ما يصطلح عليه بالمعنى الوظيفي.

و للمعنى في الدّراسات اللغوية الحديثة ، تقسيمات كثيرة أهمها تقسيم المعنى إلى المعنى الأساسي أو الأوّل أو المركزي[3] ، و يُسمى أحيانا التصويري أو المفهومي، و هو المتصل بالوحدة المعجمية ، لما ترد منفردة.

2. المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو التضمني ، و هو المعنى الّذي يملكه اللفظ عن طريق ما يُشير إليه ، إلى جانب معناه التصويري الخالص. و هذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي ، و ليس له صفة الثبوت ، و الشمول، و يتغيّر بتغيُّر الثقافة أو الزمن.

---

[1]- تهذيب اللغة : 213/3 - 214

[2]- الصاحبي . ص 192 - 193

[3]- علم الدلالة ، لأحمد مختار عمر : ص 36 - 41

3. المعنى الأسلوبي : و هو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الإجتماعية و المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها.

4. المعنى النفسي : و هو يُشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد ، غهو بذلك معنى فردي ذاتي.

5. المعنى الإيحائي ، و هو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء[1].

[1]- أنظر كذلك كتاب : "نظرية المعنى في الدّراسات النحوية" لـ كريم حسين ناصح الخالدي – دار صفاء للنشر و التوزيع – عمّان - ط 1 – 2006 – ص : 12.

المبحث الأوّل

نظرية معنى المعنى

بين الجرجاني و رولان بارط

إنّ قيمة العمل الفني لدى بارت تكمن في تلك الخصوصية النوعية ، التي تميّزه عن باقي الأعمال ، و تمنح التفوّق لصاحبه. إنّها طاقة الكلام ، التي تصنع من القواعد اتخذت في غيب الكاتب، منطقها الرموز و الأشكال العظيمة التي تسمح بالكلام ، الذي يُوحى بمعاني مختلفة.

و تتجسد رؤى الناقد في هذا الخضم في كتابات عدّة ، فما S/Z بالنسبة للتحليل البنيوي إلا اسهاماً أثري و عزّز موقف الناقد من نظرية معنى المعنى.

و الأدب الذي ينبني على قواعد هذه النظرية ، هو الأدب الذي يدهش و يُضع ، و يبحث اللّذة[1].

و النّص الأدبي هو اللاتناهي الدينامي من الشفرات التي يسمح لعبها بإنتاج مجلد لغوي مفتوح على تعدديه المعاني.

فالعمل الأدبي ، يتحدَّدُ بوصفه نقطة التفاء عدّة ذوال معّقدة يُنتج كداخلها تعددية المعاني. "فالنّص هو تقاطع اتباحي للشفرات".

و قصة بلزاك المخللة في S/Z ، بحسب بارت ، تتبيّن في خمسة شفرات.

1. الشفرة التأويلية : و هي الوحدات التي تتحدّد وظيفتها في تمفصل لغز أو حلّه.
2. الشفرة السيمية : هي مجموع دوال إيحاء، قمينة بتكوين حقول موضاعاتية.
3. الشفرة الرمزية : تتقسم إلى منافذ تراجعية و متعدّدة الوظائف ، حيث يتم تسميع صوت الرمز.
4. شفرة الأعمال : و هي عبارة عن خطة (عداد وفق لقطات أفعال و سلوكات الشخصيات) .

---

[1]- رولان بارت و الأدب – لفانسان جوق . ترجمة : محمد سريرتي – ط 1 – 1994 – ص 6.

5. الشفرة الثقافية : و هي شبكة من الأحكام الجماعية و المجهولة الإسم ، و المؤسسة على سلطة علمية أو أخلاقية. يقول بارت عن تلك الشفرات : "تُشكل الشفرات الخرع ما يُشبه الشبكة، المكان المشترك الذي يمر عبره النص كله"[1].

و كلّ شفرة نسقا دالها ، أي نص. فإنّ النص ما هو إلاّ نسيج من النصوص الأخرى.

و أكثر النصوص لديه – حملاً للشفرات ، هو النص الأسطوري فهو نسق سيميائي ثانٍ ، يتكوّن إنطلاقاً من نسقٍ أوّلٍ للدلالة التي يتكفّل بها لقول شيء عنها : إذن فهو في الوقت نفسه إيحاء (لغة كان دالها مسبقاً لغة) ، و ما وراءَ لغة (لأنّه لغة نائية ، فيها يتم الكلام عن الأولى).

فالأسطورة "تفتح اللغة على تقديم المعنى بمضاعفات المستويات الدلالية"[2].

و نظرية معنى المعنى ، أو المعنى الثاني ، يكمن في المعنى الإيحائي (cannoté) و هو المعنى السيميولوجي ، الذي لا يسمح بتحليل المعنى على نحو منعزل ، و هو الذي يتشكل في مطبخ المعنى ، في حضور عدد هائل من الزقائع المتنافرة (تاريخية ، و نفسية ...) و إيديولوجيات متعدّدة[3].

فالنص لديه ليس منتوجاً جمالياً ، بل ممارسة دالة ...

و لا هو "مجموع أدلة مغلقة" لإذا معنى ينبغي الإمساك به ، و لكن كتلة أثار متحوّلة"[4].

و في إجابته عن سؤاله : متى تبدأ دلالة الشيء".

يُجيبُ بأنّها تتم بمُجَرّد ما ينتج الشيء ... أي بمُجرّد ما يُصنع و يُقنّن[5].

و ترى أنه لكل دليل (حداثيتان ، أو تعريفات ، أولى الإحداثيتين ، ما يُسميه بالإحداثية الرمزية ، إذ لِكل شيء إذا ضح التعبير خلفية مَجازية. فهو يُحيل إلى مدلول.

أمّا الإحداثية الثانية ، فهي ما يُسميه بالإحداثية التضيقية أو الإحداثية الصنافية (الصِّنَافَة) Taxinomie و هي علم التضيق.

و الإحداثية العميقة ، هي الإحداثية الرمزية ، و الإحداثية التصنيفية هي الإحداثية السطحية.

---

[1]- S/Z p 27

[2]- أنظر كتاب رولان بارت و الأدب لفانسان جوق – ص 48 – 49.

[3]- المغامرة السيميولوجية لرولان بارت – ترجمة : عبد الرحيم حذل – دار تنمل للطباعة و النشر – مراكش – ط 1 – 1993 – ص 52.

[4]- المرجع السابق – ص 13.

[5]- المرجع السابق – ص 40 – 41.

و يرى أنّه مي نُفك النظام الدّلائه للإحداثية العميقة. و نحصر المعنى ، لا بُدَّ من تجاوز عائق البداهة. فإذا أردنا دراسة معَاني الأشياء لزمنا أن نُخضِع أنفسنا لخلخلة و تفكيك ليتسنى لَنَا توضيح الشيء و بنية دلالته[1].

و لا يزال يغوص في مفاهيم هذه النظرية ، فيجعل من الأدب ضرب من فن العرافة (Mantéïa) على حد تعبيره. إذ يقول : "لأنَّ الأدب خاصة عرافة، فهو معقول و تيسالي صامت، و متكلّم ، ملتزم بالعالم عن طريق المعنى الذي يُعيد إقامته بمساعدته ، إلاَّ أنّه معفى من المعاني المحتملة ، التي يُحضرها العالم"[2].

و لعلّ بارت يحلم بالنص المثالي ، الذي لا يكون دلالته سوى حفيف ، طجيج لا يتصور لتلاشي الضجيج المعنى المستحيل و المتحرّر ...

فالحفيف صوت إوالية في حالة إشتغال جيّدة ، و لا شيء يستطيع توقيف جودة اشتغالها ، يسغدو النص الذي يضج هو النص غير المستلب ، النص ذو الدلالة الحرّة، التي ليس لها سياج[3].

فالنّص يستمد من المعجم ، ليس القدرة التعريفية (المغلقة) و حسب ، بل يستمد منه البنية اللانهائية[4] و يمكن اختزال هذه الأراء وفق الترسيمية التي جاءنا بها.

ت : مستوى التعبير.

م : مستوى المحتوى.

ع : العلاقة القافية بينهما.

فكل معنى تم انتاجه هو دال لمداليك جديدة.

و بالتالي فالصيغة الحقيقية لصيرورة الدّال ليست : ت ع م

(ت ع م)

بل : ت ع م1 + م2 + م3 + ... إلى ما لا نهاية ∞[5].

فالنص مشرب كله و مغلق بالتدليل ، و أنّه يَجدُ نفسه مغموراً من جانب إلى آخر بنوع من تداخل المعاني اللانهائي ، الذي يمتد بين اللغة و العالم.

---

[1]- انظر المرجع السابق – ص 42 - 43

[2]- رولان بارت و الأدب لفانسان جوق – ص 76.

[3]- انظر المرجع السابق – الصفحة نفسها.

[4]- S/Z - p 126 - 127

5- ينظر مجلة السيميائيات ، مقال : S/Z رولان بارت. مقال للأستاذ جامعة وهران – العدد 02 – 2006 – ص 125 و المرجع السابق – ص 86 و ينظر كذلك ككتابه + مبادئ في علم الأدلة" – ص 135.

يقول بارط : "إنّ النِّظَام الموحي (Cannoté) نظام يتكوّن مستواه التعبيري ، ذاته من نظام للدلالة ، بديهي أن تتألف الحالات الإيحائية العادية من أنظمة معقدة ، تشكل اللغة المتمفصلة نظامها الأوّل (تلك مثلا في حالة الأدب). أمّا الحالة الثانية للانفصال (المناقضة للأولى) فيصير النظام الأوّل (ع.ق.ض) فيها صعيداً مضمونياً أو مدلولاً للنظام الثاني و ليس صعيداً تعبيرياً.

أو بكيفية أخرى ع ق (ع ق ض) إنها حالة كل اللغات الإصطناغية و اللغة الإصطناعية نظام يتكوّن صعيده المضموني ذاته من نظام للدّلالة أو أنّها دلائلية ، تُعالج دَلائلية أخرى ، هتان في طريقتا توسيع الأنظمة المزدوجة[1].

و تكمن لا نهائية النص في لا تحديدية مؤَلِّفه ، و من ثمّ فإنّ فلوبير يُعدُّ في نظره من أعظم الكتاب ، و لا شك يقول عنه بارط : "لا يُعرف أبداً هل هو مسؤول عما كتب (و هل يُوجد موضوع خلف لغته) ، لأنّ كينونة الكتابة (معنى العمل الذي يكونها) هو الإمتناع دوماً عن الإجابة عن هذا السُّؤال : من يتكلَّم ؟"[2].

و حامل هذه الكينونة هي الشفرة التي يقول عنها بارط : "إنّها ترسم حجوم المعنى خطوطاً ، و تؤسس التباسات ، لا معنى واحداً"[3].

فالخطاب الأدبي لدى بارث هو الخطاب غير المتوقع الذي ينسف الطبيعة الوظيفية العفوية للّغة و يَرْفض الكاتب إخضاع كلامِه للاستعمال الإيديولوجي و الإجتماعي ، و بذلك و بصفة دقيقة ، كان العمل الأدبي ثورياً.

1- ينظر المرجع السابق – ص 136

2- S/Z - p 126 - 127

3- ينظر رولان بارت و الأدب لفانسان جوق – ص 94.

و يُقسم محمد سويري أراء بارت حول التوزيع الأدبي للشفرات ، وفق التخطيط الآتي :

خارج شفرة	شفرات					تصنيفيه
	رمزية	سيمية	تأويلية	أعمالية	ثقافية	
+						**النص الممكن قبوله**
	+	+				**النص القابل للكتابة من جديد**
	+	+	+	+	+	**النص القابل للقراءة المتعدّد الدلالة**
		+	+	+	+	**النص القابل للقراءة الأحادي الدلالة.**

واضح أنّه على مستوى الشفرة الرمزية تتحقق الحرية الأدبية ، لعمل أدبي ما ، و في الطرف الأخر من الجدول ، فإنّ الشفرة الثقافية هي الشفرة السلبية ، و من أجل تحديد القيمة الدقيقة ، لنص ما ، ينبغي في الواقع ، إيجاد المعدل الثقافي و الرمزي ، الذي يتضمنّه ، و هكذا ، فأنّ النّص المقابل للنسج ، تالامزي و اللاثقافي ، أكثر أدبية من النص المتعدّد الدلالات الرمزي و الثقافي في الوقت نفسه.

و يأتي النص الإحادي الدلالة. النص الثقافي بصفة حصرية في المرتبة الأخيرة. و أمّا فيما يتعلّق بالنّص الممكن قبوله ، فإنّه ضرب من الطوباوية ، البارطية للنص[1].

و ينحاز بارت إلى النظريات الكريستيفية حول النص فيضطر إلى أن يأخذ بعين الإعتبار مقاييس أخرى في تثمينه للأدب ، فمنذ أن يتحدّد النّص بوصفهِ تقاطعاً (نتاجياً للشفرات ، فلن تكون قيمة غلاّ متناسبة مع التَّعدُّد الذي يتضمّنهُ ، و على هذا النحو تصير التعدّدية و اللا تحديدية الخاصيتين المكونتين للأدب ، و يكتسب النص قيمته كلما ارتفع عَدَدُ الشفرات التي تنسجه[2].

ضمن ما يُسميه بظاهرة الإيحاء ، و هي لديه : "نمو نظام من المعاني الثانية، أو إذا أمكن القول ، نظام طُفيلي بالنسبة للّسان ، بالمعنى المضبوط للكلمة. هذا النظام الثاني بدوره عبارة عن "لسان" تنمو و تتطوّر بالنسبة إليه وقائع الكلام ، و اللّهجات الشخصية و البنيات المزدوجة[3].

---

[1]- المرجع السابق – ص 62.
الطوباوية عكس الواقعية : و هو تلغيز الواقع بنقله إلى مستوى الكتابة.
[2]- انظر المرجع السابق – ص 60 – 61.
[3]- مبادئ و علم الأدلة لرولان بارت – ص 56.

و يحتوي الإيحاء ، باعتباره هو نفسه نظاما على دَوال و مدلولات و عملية توجد أولائك بأولائك (دلالة).

و تتكوَّن د,ذال الإيحاء التي سنسميها موجيات من أدلة (دوال و مدلولات مجتمعي) النظام المقرَّ [1].

بدهي أن تجتمع أدلّة مقرّرة عديدة لتأليف مُوحٍ واحد فيما إذا كَان متوفراً على مدلول إيحائي واحد.

و الموحيات تُكَوِّنُ دائما ، أدلة منفصلة و تائِهة".

و تتكوَّن دوال النظام الثاني في الدلائلية الإيحائية ، من أدلة النظام الأوّل، و العكس يحدث في اللّغة الإصطناعية (métalangage) ، إذ أن مدلولات النظام الثاني هي المكونّة من أدلة النظام الأوّل[2].

و لوسائل التعبير الإيحائي أهمية كبيرة كالكنائي أو تزييع المعنى كما اسماها بارت. فالمعنى عنده ليس جوهراً مكنوناً[3] ، أو مفهوماً معرضا أو قصداً يعبر عنه بالأدوات اللغوية. فالملفوظات أثرها في انتاج المعنى، و توليد الدلالة. و للنّص سلطة مقابل ما أراده المؤلف. و ما راح يقصده ذلك أن الكاتب عندما يعبر عن مُراده للمعنى لا يقطفُ المعاني البكر ، أو يلتقط الدلالات الأولى البريئة، و لما يستخدم اللغة التي هي كناية عن توضيفات مجازية ، و تراكمات دلالية تاريخية.

فإذا أردنا مقاربة المعنى ، سواء من جهة العلامة ، أو من جهة الدلالة ، لا نصل أو يستحيل أن نصل إلى ماهية ثانية ، و لا نقع على هويات متطابقة ، بل ما نقع عليه ، وقائع خطابية ، مستقلة عن إرادة المؤلف ، و هي تحتاج إلى تفكيك علاقتها للكشف عن معناها ، و فك رموزها[4].

و يتحدّد الإيحاء تحليليا عبر فضاءين : فضاء متواليات ، و هو عبارة عن تسلسل نظام ، فضاء خاضع لتنامي الجمل التي يتناسل المعنى طوالها بفعل الترقيد، و فضاء تكتلي[5] .

و هذا هو الغرض من الآلية السيميولوجية ، التي لا تفترض وجود مدلول نهائي ، مما يعني أن المدلولات هي دائما دوال بالنسبة لمدلولات أخرى ... إذ أمام أي مُركب لغوي ، سنجد أنفسنا بصدد سلاسل من مجازات ، لا تنتهي. يكون مدلولها دائما شاغراً ، أو يغدو بدوره ، دالا[6]. يقول : "...

---

[1]- ينظر رولان بارت و الأدب لفانسان جوق – ص 94.
[2]- مبادئ و علم الأدلة – ص 137 – 138.
[3]- المغامرة السيميولوجية – رولان بارت – ص 45.
[4]- المرجع السابق – ص 25
[5]- مجلة سيميائيات – جامعة وهران – العدد 02 – 2006.
[6]- المغامرة السيميولوجية – رولان بارت – ص 61.

اتساع المدلولات لا ينتهي ، بصورة ما ، فنظرياً لا يمكن أبداً حصر الدليل عنه مدلول أخير ، و الحصر الوحيد ، الذي يمكن أن نخضع له دليلا ما عند قراءته"[1].

و هذه المدلولات اللانهائية ، هي التي تضح للأدب في القوة الثالثة ، كما قابل بارط[2].

إنّ هذه الإشارات التي قدّمنا لنا في هذا المبحث لتؤكد مدى تأثر الناقد الفرنسي رولان بارت ، فيما درسه عن نظرية معنى المعنى ، بأزاء و جهود عبد القاهر الجرجاني في مصنفاته النقدية و العلمية. فجعل لنظريته أصول و قواعد ترتكز عليها. و هي تعود إلى ما جاء بين الخطاب النقدي العربي التراثي.

فقد فهم الناقد الفرنسي الأراء اللغوية و الأفكار النطقية لعبد القاهر. و توسع فيها ، فالمعنى المبسوط في معجمات اللغة ، فما هو إلا الكلمة النواة التي تتفجّر حولها طائفة من المعاني الثانوية التي منعبها الخيال.

كما أن الأشياء لا تترابكط إلاّ في شكل واحد للنظام (onnexion) هو الترادف (parataxe). أي المجاورة الخالصة و البسيطة للعناصر ، مثلا : كل ما يوجد في الغرفة من اثاث. فتأتيت الغرفة يتضافر لإعطاء معنى نهائي (أسلوب معنى) بالإقتصار على المجاورة بين العناصر.

و لا يرتبط مدلولات أنظمة الأشياء بباث الرسالة ، بل على متلقيها ، أي القارئ. و الوافع أن الشيء متعدّد الدّلالات (polysémique) ، أي يمكن لقراءات عديدة ليس من قارئ إلى آخر و حسب ، بل و لدى قارئ بعينه ، أحيانا ، و بعبارة أخرى ، يجد الإنسان في ذاته ، قواميس عديدة ، و دخائر كثيرة للقراءة ، تبغا لعدد المعارف و المستويات الثقافية... [3] ليصير النص فعالية قرائية إبداعية. و يصير القارئ هو صانع النص.

و يشبه المدلولات بالكائنات الإسطورية التي تكون عادة غامضة للغاية. و أنّها تصبحُ داعيا ، و في أية لحظة دوال عن شيء آخر، ... [4]

و كأن النص في هطا الوضع يرفض الثبات، و يسمح في المقابل بالتحول و التجدّد ، غهو أمر مفتوح لكلّ تموقع رُوايوي ، يؤدي إلى توسيع آفاقة ، و هذا ما يصر عليه رولان بارت عن حركية النص ، و تعذُّر مراعاه. يقول عنه جون ستروك بأنه : "يُصِرُّ على إبقاء ذهنه في حركة دائبة ، و على أن لا

---

[1]- م.س – ص 75.
[2]- رولان بارت و الأدب – ص 104.
[3]- المغامرة السيميولوجية – رولان بارت – ص 47.
[4]- المرجع السابق – ص 59

يسمح لنظراته الثاقبة المتنوعة ، و مشروعاته المختلفة لتفسير النصوص الأدبية بأن تتجمد في مذهب ثابت المعالم و الحدود" [1].

[1]- جون ستروك : رولان بارت – ص 75 ، عن كتاب "فلسفة القراءة و إشكالية المعنى" د. حبيب مونسي – دار الغرب للنشر و التوزيع (دط) – (دت) – ص 192.

المبحث الثاني

نظرية التعليق

بين الجرجاني و جون كوهني

إنّ التعليق الّذي قصر النظم عليه ، هو أساس النظم عنده. فهو الذي ينشئ بواسطة القرائن النحوية و اللفظية و المعنوية و الحالية ، العلاقات بين المعاني النحوية ، و يُحدّد معاني الأبواب في السياق ، و يُفسّر العلاقات بينها على هيئة أفضل ، و أكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النَّحوية[1].

لذلك وُرد استعماله كثيراً ، لأنّه مبدأ أساسي من مبادئ نظرية النظم عند الجرجاني.

فالكلام رهن هذه الشبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته، و كلّما كانت هذه العلاقات مطابقة للمعاني النحوية ، كان الكلام فصيحاً، و كلّما فسدت فسد ، و خَرج عن أن يكون فصيحاً[2].

فالتَّعليق إذاً الذي قصده الإمام الجرجاني هو تعلق فيما بين معاني الألفاظ، لا فيما بينها كالألفاظ[3].

فلتحقيق النظم ، الذي هو مدار البلاغة ، ليس مجرّد ترتيب المعاني في النَّفس ، بل لا بُدَّ من العلم كمواقع هذه المعاني المرتبة في النَّفس، كما يُفهم من قوله : "وَ أن العلم بمواقع المعاني في النَّفس ، علم بمواقع الألفاظ الدَّالة عليها في النُّطق"[4] متى إذا مَا عبَّر عنها صَادف كل لفظ موقعه ، و رتبته تبعاً لموقع معناه، و رتبته في النفس بحيث : "لا يجد المعنى في لفظه إلاَّ مرآته الناصعة ، و صورته الكاملة ، و لا يجد اللفظ في معناه إلاَّ وطنه الأمني ، و قراره المكني"[5].

و حتى إذا مَا "وَجَبَ المعنى أن يكون أولاً في النَّفس وجب للفظ الدَّال عليه، أن يكون مثله أولاً في النطق"[6].

و في هذا ما يبدو إشارة إلى ضرورة الارتباط بين المعنى و المبنى. فالكلمة لا تُحَدِّدُ وظيفتها ، و لا تأخذ قيمتها النَّحوية في الجملة ، إلاَّ بموقعها الأَّخص منها"[7].

و اللّغة أساساً هي طريقة نظم الكلام ، أي توفي وضع الكلمات في المكان المناسب. و بالتالي فإنَّ النظم فكرة ضارية بجدورها في القدم[8]. و مثال ذلك ما قل به النومني (ت 392) أنّ اللّغة ما هي إلاَّ

---

[1]- اللغة العربية معناها و مبناها ، لتمام حسان , ص 188 – 189.
[2]- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين اسماعيل ، ص 237.
[3]- دلائل الإعجاز – ص 311 - 359
[4]- المرجع السابق – ص 44
[5]- البناء العظيم – نظرات جديدة في القرآن – محمد عبد الله دراز – دار القلم – الكويت – ط 4 – 1977 – ص 92
[6]- المصدر السابق – ص 43.
[7]- الألسنة التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية. ميشال زكريا – المؤسسة الجامعية للدّراسات و النشر و التوزيع بيروت - ط1 – 1983 – ص 48.
[8]- راجع كتاب – نظرية المعنى و الدّراسات النحوية – لكريم حسين ناصح الخالدي – دار صفاء للنشر و التوزيع – ط 1 – 2006.

معانٍ في الأذهان ، تُجسد بالألفاظ. ثمَّ تُرتَّب هذه المعاني حسب ترتيبها في الذهن مع المراعاة المقام: " لما كانت الألفاظ و المفردات مجرّد رموز للمعاني و الأشياء ، التي لها بد أنّ يعرف المتكلِّم و السامع معانيها أصلا ، فلا تتم إذا الفائدة بهذه الألفاظ دون تعلقها ببعضها و بطريقة عقلية يقتضيها حال السَّامع و حامة، فإنَّ أيّ تغيير في وضع الألفاظ ، بجانب بعضها لا بدَّ أن ينشأ عنه تغيير في المعنى المقصود..."[1].

إنَّ صياغة القول مَدَى لصياغة العقل المدَبِّر في العلائق اللاحمة لمعاني الكلمات. و بالتالي إعتبر هذين المستويين الإخباري و الإنشائي ، العدد و مجر الزاوية في كلّ طاقات اللغة[2].

و يعرج عبد القاهر على ظروف التلقي أو ما يُسميه "المقام" الذي تؤشر عناصره على المقال دلاليا و تركيبيا.

و هذا يشمل العلاقة بين المتخاطبين في موقف التلقي.

فقد أشار عبد القاهر و حديثه عن النظم إلى فعل القول و هو المستوى الدّلالي الذي تُرتّب فيه المعاني المجرّدة في نفس المتكلِّم، و مستوى التركيب الذي تتعالق فيه المعاني حسب قواعد اللغة التركيبية ، ثمّ البعد الصةتي حيث تتخذ تلك المعاني مدلولات أو ألفاظا من معجم النّسق اللغوي ، و فعل الخطاب ثانيا. و هو يرتكز على عنصرين مهمين : عنصر الغرض الذي يرمي إليه المتكلِّم من استفهام و تبشير و إنذار ... و التأثير الذي تركه في الملتقى ، ثمّ عنصر التضمنات. و من بينها العناصر المقامية التي تتحكم في عملية الترتيب و التركيز و التأكيد. ففي المقال : "ضرب عمرو زيدا" التضمن هو "ضرب إنسان ما زيداً" و الجزء المؤكد هو عمرو و علامة تأكيده هو تقديمه.

أمّا في المقال : "ضرب زيداً عمرو" التضمن هو ضرب عمرو إنسانا ما. و الجزء المؤكد هو (زيداً) و علامة تأكيده ، تقديمه. و به تَّحي في النظم الفواصل بين اللفظ و المعنى ، و تتعزز العَلاقات التي تربط بين الأسماء و الأفعال، أو بين الأسماء و الأسماء، أو بين هذه و تلك. و مكملاتها من الحال و التمييز و التوابع و النجرورات تتكامل بها نظرية النظم. و العلاقات بين أجزاء النظم ، في شكل من أشكال اللبلاغة النحوية أو النَّحو البلاغي، فعند القاهر الجرجاني يتطوّر بمفهوم العلاقات بين أجزاء النظم ، فلا يقف بها و بالنظم عند مجرد الترتيب و التنسيق و حسن الآداء ، و إنّما يريد لفكرته أن يصل الكلام عن طريقها إلى الحدّ الذي تُحسن فيه الدّلالة ، و تتم ، ثمَّ تظهر في صورة أنيقة، معجبة[3] ، لها أثرها في نفسية المتلقي.

---

[1]- الخصائص – 147/1.

[2]- اللفظ و المعنى في التفكير النقدي و البلاغي عند العرب. للأحضر جمعي – منشورات اتحاد كتاب العرب – دمشق – 2001 – ص 107 – و انظر ص 205.

[3]- أنظر دلائل الإعجاز – ص 222 – 248.

يرى الجرجاني أنّ تهدي المتلقي إلى النظم البليغ لا يتم إلاّ بالتّعالق النَّحوي ، الذي ينسج العلاقات بين أجزاء التراكيب ، منظوراً إليها من زاوية المعنى المتبوع ، لا اللفظ التّابع في "لا نظم في الكلم ، و لا ترتيب ، حتَّى يُعلّق بعضها ببعض ، وَ يُبنى بعضها على بعض ، و تجعل هذه بسبب من تلك ...

و إذا نظرنا في ذلك علمنا أنَّ لا محصول لها غير أنّ تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً ، أو تعمد إلى اسمين ، فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أو تتبع الإسم اسما ، على أن يكون الثاني صفة الأوّل أو تأكيداً له ، أو بدلاً منه ... و بات بذلك أن الأمر على ما قلناه من أنَّ اللفظ تبع للمعنى في النظم ، و أنَّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس، و أنَّها لوخلت من معانيها حتّى تتجرَّدُ أصواتا و أصداء حروف ، لما وقع في ضمير ، و لا هجس في خاطر ، أن يجب فيها ترتيب و لا نظم"[1].

فالنظم عند عبد القاهر يعني ضم عناصر الكلام بعضها إلى بعض ، ضماً معيّنا يُسميه عبد القاهر بمُسَميات تُوحي كلَّها بالارتباط القائم على التناسب و الانسجام كالتالي و التركيب ، و الترتيب ، و النظم ، و النظام ، و النضد ، و النسق و التصوير و التسج و التجير[2].

و ما نصّ عبد القلهر المشهور "فليس النظ إلاَّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه على النحو ، و تعمل على قوانينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت. فَلا تزيغ عنها ، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها"[3] إلاّ قاعدة تحكم تلك الشفرة المخصوصة بين المبدع و المتلقي ، حتى لا يفقد الأخير سبل التَّهدي إلى مقاصد الأوّل ، و تتشعب به احتمالات القراءة.

و لعلّ مبحث الفصل و الوصل عند عبد القاهر من أوّل المواضيع التي تتبيّن فيها خصوصية التلقي ، و من ذلك كون الجملة الأولى لها محا من الإعراب[4].

فجميع صور الفصل و الوصل من كمال الإنقطاع و شبهاء ، و كمال اتصال ، و شبهه ، و توسط بين الكمالين تدخل في هذا التّعالق النَّحوي. و قد عقد عبد القاهر فصلاً كاملاً للتأكيد على هذه العلامة النحوية في الفصل و الوصل.

فترك العطف يكون إمّا للاتصال إلى الغاية ، أو الإنفصال إلى الغاية. و العطف كما هو واسطة بين الأمري ، و كان له قال بين حالين.

---

[1]- المصدر السابق – ص 55 – 56.
[2]- المصدر السابق – ص 3 و أنظر ص 80.
[3]- المصدر السابق – ص 81
[4]- المصدر السابق – ص 222 – 248.

كما أرجع عبد القاهر الجرجاني كلّ أنواع المجاز إلى معاني النّحو و أحكامه.

و اعتمدت نظرية النظم على أسس أربعة هي :

- الأساس الأوّل : دلالة مصطلح معاني النحو و ما يقتضيه.
- الأساس الثاني : أن مكونات النَّحو متعلقة بالمعاني.
- الأساس الثالث : الربط في أثناء التأليف بأجزاء الكلام.
- الأساس الرّابع : هو السيّاق أو مراعاة مقتضى الحال في أثنماء التأليف، و يتبع كلّ ذلك الإعراب إذ أنّ الوظائف النحوية ، تمدّنا بالمعنى الأساسي ، ثمّ تنتقي المفردات لتشغل الوظائف النّحوية ثّم تتفاعل العلاقات الدلالية بين الوظائف النحوية، و تلك المفردات المنتقاة. و يتبع كلّ هذا السياق بضروبه سواء أكان سياقاً لغويا أم غير لغوي[1].

فعلى الرغم من أهمية المفردات ، إلاَّ أنّها لا تقوم بالدّلالة بمفردها ، لأنّ الدّلالة هي نتاج لضم الكلم بعضها إلى بعض. و سبيل ذلك توفيّ معاني النحو و أمكامه فلا "نظم في الكلم و لا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، و يبين بعضها على بعض. و تجعل هذه بسبب من تلك"[2].

فصحة النظم أو فساده ترجع إلى ترتيب الكلمات ترتيباً مخصوصاً ، و تلك هي معاني النّحو، فمعاني النّحو ليست الألفاظ أو المفردات القاموسية ، و إنّما هي قيمة التركيب النحوي وَ مراعاة كل شروطه "و ليس القصد معرفة قةاعد النحو وحدها ، و لكن ما تحدثه هذه القواعد، و ما سيتبعه من معنى و يتولد عن النظم من مدلول"[3].

إذ أنّ الغرض ليس "بنظم الكلام إنْ توالت ألفاظها في النّطق، بل أن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[4].

فالنَّحو و الدَّلالة مرتبطان مثلا : كتب الحزوف الدَّرس. فالجملة الصحيحة من حيث البناء ، و من حيث الحركات الإعرابية ، أي من حيث الوظائف. لكن من حيث الدّلالة الجملة خاطئة ، لأنّها خرجت من منطق اللّغة، لأنّه يجب أن يكون هناك ما يُسمى القبول القواعدي و الدَّلالي[5].

---

[1]- انظر كتاب النحو و الدلالة للد. حماسة عبد اللطيف – ص 46.
[2]- دلائل الإعجاز – ص 55.
[3]- انظر كتاب : "علم الدلالة" نور الهدى لوشن – المكتب الجماعي الحديث – الأسكندرية (د ط) 10 – 2006 – ص 45.
[4]- المصدر السابق – ص 49 – 50.
[5]- المرجع السابق – ص 86.

إذ يجب توفي بأرادة معنى كل لفظ في موضعه ، مع توفي معاني النَّحو ، مثل : قول أبي تمام في وصف القلم : لُعابُ الأفاعي القائلات لُعابهُ، و رأيُ الجني اشتارته أيدٍ عوَاسِلُ بقول الجرجاني : "إن تقدير لعاب الأفاعي" مبتدأ ، و "لعابه" خبر يُفسد الكلام. لأنّ المراد : لعابُه أي نداد القلم ، لُعاب الإفاعي ، فلُعابُه مبتدأ.

إنّ تقديم ما حقّه التأخير ، و تأخير ما رتبته التقديم ليس بالأمر الجزاف أو الإحتباطي – كما يقال – و لكن للتقديم في موضعه ، و في رتبته أغراضاً و معاني التزم بها التركيب ، و التزمها النظم ، ثمّ ضارت قواعد مقدّرة ، فمعاني النّحو و أصوله ليست قوالب جامدة ، بل إنّها مع كونها تقوم على أسس عقلية و منطقية ، فإنّها ترعى الجوانب الفنية ، و الأحوال النَّفسية لدى مَنْ يُنْشئ الكلام. وَ تعتد بتقدير المنشئ لحال من يتلقى عنه ، و يأخذ منه ، و هذا ما يُعرف بمراعاة مقتضى الحال. فكلّما كان تقدير منشئ الكلام لحال من يتلقى عنه أكثر إصابة ، و أكثر توفيقاً[1].

إن الإعراب أقوى سلطاناً في الكلام. فهو قرين النظم و سليل التركيب، بل هو دليله الأظهر في الألفاظ المفردة ، و لا سيّما الأسماء. و ما يُضارعها من الأفعال. و من أجل فوائده ، و أعظم مزاياه، أنّه يفسح لمنشئ الكلام حرية الإستزادة من المعاني ، معاني النّحو التي تقوم اللّغة على أساسه بوظيفة الإتصال.

إنّ هذه القوانين التي تحكم مستوى الألفاظ و التراكيب (معاني النحو) هي القةانين الفاعلة على كل مستويات الكلام ، و لهذا يختلف أساليب الكلام و يختلف النظم باختلاف الناظمين. و من هنا تكمن تلك الفروق المحدّدة للقدرة و الآداء[2].

فالنّظم البليغ ، لا يتمّ إلاّ بالتّعالق النّحوي ، الذي ينسج العلاقات بين أجزاء التراكيب على مستوى معيّن ، يُسميه عبد القاهر بمسميات توحي كلّها بالإرتباط القائم على التناسُب و الانسجام كالتأليف و التركيب ، و الترتيب و النظم و النّظام ، و النضد ، و النسق ، و التَّصوير ، و النسج و التجيز[3].

---

[1]- نحو المعاني للد. أحمد عبد الستار الجواري ، المؤسسة العربية للدّراسات و النشر– (دط) – 2006 – ص 25 – 26 – 36.
[2]- راجع محاضرات و علم اللغة البدراوي زهران.
[3]- أسرار البلاغة – ص 03 – دلائل الإعجاز – ص 80.

المبحث الثالث

نظرية فائـــض المعنى بين الجرجاني

وميشال ريفاتير

إنَّ التحليل الذّي قدّمه عبد القادر الجرجاني عن علم معاني النّحو ، الّذي يفرّق بين أساليب الكلام يُعدُّ سبق مهم في علم الأسلوبية ، الّذي هو الضَّرب من النظم و الطريقة فيه.

و كانت هذه الدراسة محلّ إهتمام الناقد العربي ميشال ريفاتير ، الذي اهتم بالمستوى المنهجي للظاهرة الأدبية ، التي تفرض جدلية بين النّص و القارئ، إذ يقول في كتابه : "بحوث في الأسلوبيات البنيوية"[1] : "الظاهرة الأدبية ليست النّص وحده ، بل هي أشكال إدراك القارئ للنّص أيضاً"[2].

و يقول في كتابه "دلائليات الشعر"[3] : "الظاهرة الأدبية بين النص و القارئ"[4] . فيهتم بهذا الجانب و يفضل أن يستغرق جهده فيه ، كما يقول : "ركزت على القصيدة بصفتها كلها ، ما دام قد بدَ لي أن وحدة المعنى الخاصة بالشعر هي كيان النّص التّام المغلق ، و أنّ أفيد مقاربة لفهم للخطاب الشعر في دلائله و ليست لسانهِ"[5].

و يرفض ريفاتير بعض النُّعوت الموظّفة في التعبير عن اللغة الماورائية ، التي يضمح المتلقي إلى الوقوف عند حدودها ، أو بعض من ذلك ، كمقولة المرجع و المقصد، و المعنى الحقيقي و المجازي ، و المعنى الظاهر و الكامل ، مقولات غير ملائمة ، إن لم تكن فاسدة لحد ما من وجهة نظر الدلائلية[6].

يصف ريفاتير تصوره الدّلائلي المقترح بأنّه وصف متماسك لبنية المعنى، لأنّه ينطلق من مسلمة بسيطة. هي أنّ الدّلالة الشعرية غير مباشرة، لأنّ القصيدة تقول شيئاً ، و تعني شيئاً آخر ، و هو ما يشير إليه بمصطلحي : المعنى و الدّلالة[7].

---

[1]- Michael Riffaterre, essais de stylistique structurale – Présentation et traduction par Daniel Belas, Coll Bouvelle bibliothèque scientifique , Ed. Flammarion, Paris, 1971

[2]- المرجع السابق – ص 70.

[3]- Riffaterre, semiotics of poety, Methuen, London 1978 (Trad. Fr. Sémiolotique de la poésie. Trad. Par Jean Jacques Thomas Coll poétique, Ed. Seuil, 1983.

[4]- المرجع السابق – ص 04 . و كان ريفاتير أوّل الأمر في تناوله الظاهرة الأدبية لساناً بنيوياً ، عندما انصب اهتمامه على بنية الخطاب الشعري السطحية ، أي الأسلوب ، و هذا التوجه هو الذي يشمله كتاب " بحوث في الأسلوبيات البنوية" . ثمّ صار فيما بعد دلائليا ، عندما اهتم ببنية ذلك الخطاب العميقة ـي الدالة ، و يتجلى هذا الإنتقال في كتابه التنظيري الثاني دلائليات الشعر.".

[5]- المرجع السابق – ص 5.

[6]- أنظر المرجع السابق – ص 55.

[7]- دلائليات الشعر – مايكل ريفاتير – ترجمة : محمد معتصم – مطبعة النجاح – الدار البيضاء – ط 1 – 1997 – ص 70.

فهو يُميّز بين المعنى القاموسي ، و المعنى السياقي. و يرى أنّ السِّمة المميّزة للقصيدة وحدتها الشكلية و الدلالية في آن واحدٍ. و هي وحدة تحتوي قرائن اللامباشرة. و الإنتقال إلى الوحدة الدلالية و الشكلية للنص ، يتم عن طريق القراءة و التأويل ، لأنّ علاقة النص بالقارئ علامة جدلية. و هكذا تصير المؤولة (النص المؤوّل) دليلا ثالثا[1].

فالتشفير النصي الذي يلقاهُ المتلقي له أهمية تأويلية لدى ريفاتير. فهذا النوع من التحويلات سيزوده بمفتاح الإستشفار النص[2].

فالنص الأوّل يكون أمام النص الثاني المؤوّل بمثابة ما يُمدّ له النحو التوليدي بالنسبة إلى نحوية الجمل المفردة و الوسائل التويليدية الخاص بالنص. هي الآليات التقنية التي تُشرف على انتاجها[3].

و يشير ريفاتير إلى طرق الحدوث اللامباشرة الدلالية. فاللامباشرة تحصل بنقل المعنى أو بتحريفه أو بابتكاره ، و يكون النق عندما يتحوّل الدليل من معنى إلى آخر عندما تحلّ كلمة محل أخرى ، كما يحدث في حالة الإستعارة و الكناية و المجاز و المرسل ... [4]

فالاستخدام المجازي ينقل المعنى من مستواه الأوّل ، إلى المستوى النوعي البليغ ، حيث تتكثَّفُ الدّلالة ، و تنتفي المباشرة من الخطاب. و تشع معاني المعاني و التأويل ، و الرمز و الإارة . و كلّها طاقات لغوية ترتكز على العلامة فوق اللغوية بين الخطاب و القارئ ، بين ذات كاتبة و ذات أخرى متلفية.

و يُعدّ هذا الاستخدام دفعاً إلى الفهم في حدوده القصوى متجاوزاً الجوارية المفروضة على جوانب المعرفة لحظة الكتابة ، و بهذا فإنّ الجهد التأويلي مدفوع نحو الذات ، من خلال ما تمتلكه لنفسها ، و ها هنا اختراق للغة التي تعتم الطريق إلى المعنى من خلال التعبير كما لا تمتلكه و هي المسافة التي تمنع الفهم من جهة الوهم الحاصل لحظة الإستعادة المتباعدة لرموز النّص التي تفتر طاقتها الإشارية بتوصيلات مخادعة مع الوعي ... و الإنتماء... [5] .

و يُمَيِّزُ الجرجاني في دلائله بين جمل العبارة على ظاهرها ، و حملها على المجاز أي أنّ العبارة يمكن أن تدلّ على غير معناها اللّفظي ، فيُحدِّدُ معناها عن طريق التأويل و الإحتمال.

---

[1]- الوهم المرجعي لميشال ريفاتير – ص 7 – عن المرجع السابق – ص .ت.

[2]- المرجع السابق – ص 2.

[3]- نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى لبول ريكور – ترجمة : سعيد الغانمي – المركز الثقافي العربي – (4) – ط 2 – 2006 – ص 64 – 65.

[4]- دلائليات الشعر لمايكل ريفاتير. ترجمة : محمد معتصم – ص 7.

[5]- اللغة و التأويل – عمارة ناصر – ص 161.

فالجرجاني يفترض أنّ العبارة اللّغوية لا يمكن أن تقدَّم دائماً على الحقيقة، أي أنّ المعنى الظاهر الّذي يدُلُّ عليه لفظ العبارة ليس دائما هو المعنى الوَارد.

فمن يريدُ دراسة معنى العبارة اللّغوية لا بدَّ أن يكون عارفاً بدلالة الألفاظ المعجمية ، بل عليه أن يكون عارفاً ة آخذاً في حسابه حال وصف معنى عبارة ، ما مدى مطابقتها لمقتضى الحال مع تركيزه على المعنى المستلزم و جعله بُورة الدلائل ، و فائض معانيها.

و وضع العبارة في هذا الحال يرتبط بوسائل معيّنة نشيطة و رفيعة ، و هي التي يمكن الكاتب و القارئ من التفاء إلى الشكل الداخلي للغة و الكشف عن أَسْرَارِهَا. و هذا ما يجعلنا بصلة الأسلوب بالنص نفسه.

و هذا الذي أكدّه ريفاتير على أن الأسلوب تأكيد تعبيري أو تأثيري أو جمالي ، يُضاف إلى المعلومات المنقولة من خلال تركيب لغوي دون أي تغَيُّر في المعنى[1] و حتى زاوية المخاطب – أي المتلقي – للخطاب اللّغوي يعرف الأسلوب أنّه ضغط مسلط على المخاطبين ، و أنّ التأثير الناجم عنه يعبر إلى الإقناع أو الإمتاع ، فاللغة تعبر و الأسلوب يبرز[2].

كأن نقصد تشبيه رجل بالأسد ، فنقول هو كالأسد ، فنقيد المعنى و هو أنه يُشبه الأسد في كثير من الصفات . و قد نعبّر عن المعنى نفسه بعبارة مختلفة عن العبارة السَّابقة. و نبرز المعنى في صورة مغايرة للصورة السَّابقة. فنقول : كأنَّه الأسد ، و بذلك تحصل على معنى مختلف عن المعنى السابق.

و أبدع منه ، إذ يفهم من هذا المعنى أن صاحبنا من فرط شجاعته ، و شدّة بأسه ، و قوّة ساعديه ، يُخيَّل لمن يراه ، أنَّهُ أسد في صورة إنسان.

و هذا الجهد التأويلي لا يقف عند حدود النواة الدلالية[3] الأصلية للنص. و هي المفارقة التي تؤسس مبدأ عمل الحركة الإستقرائية ، التي تدفع بالحوار بين الذّات القارئة ، و النّص إلى حدود تفجير ما هو فائض من المعنى في البنية الإستباقية للفهم. و سبيل هذا هي التجويزات اللغة و تعبير بينها ، التي تطلّ على المعاني المتوالدة. يقول محمد أركون رحمه الله : "إنَّ البحث عن المعنى، يجب أن يبدأ بالتأويلات المتوالية بمفارقة نواة الدّلالة الأصلية"[4] أي أنّ الكثافة التي تتولّد عن النواة الدّلالية الأصلية للنصّ تتسع بالاختلاف عن النص.

---

[1]- علم اللّغة و الدّراسات الأدبية لشبلز – ترجمة محمود جار الرّب – الدّار الفنية للنشر و التوزيع – الرياض – 1987 – ص 87.
[2]- أنظر كتاب الدَّرس التطبيقي و النقد العربي – الد. طارق سعد شلبي – زهرة المدائن للتوزيع و النشر – (دط) 2001 – ص 33
[3]- دلائل الإعجاز – ص 258.
[4]- عن كتاب الهيرمونوطيقا و التأويل – لعمارة ناصر – ص 163.

و لا شكّ أنّ النظرية الإستعمارية أهم عنصر يمتطيه فائض المعنى إلى جانب موضوع الرمز.

فالاستعارة هي التي تعطي للكلمات دلالات ليست بدلالاتها الحقيقية ، و بواسطة الإستعارة تنتق المخيّلة للإلمام بكلّ الأبعاد ، التي تعطيها المعاني.

فالرمز و الإستعارة بمثلات جانب "فائض دلالة" "فالدّلالة الرمزية ، إذا مشلكة بحيث لا نرى منها إلاّ الدّلة الثانوية من طريق الدّلالة الأولية، حيث تكون هذه الدلالة الثانوية الوسيلة الوحيدة للدنو من فائض المعنى. و الدّلالة الأولية هي التي تعطي الدّلالة الثانوية بصفتها معنى المعنى"[1].

إنّ اللّغة ، و هي تمتطي هذه الوسائل الدلالية ، تقوم بفتح عالم المعنى و تنتج الإختلاف فيه. أي أنّ النّص ينقل دلالة معيّنة عبر الرمز دلالة أخرى ، التي تستعين بالتأويل ، الذي يمتد حالة استدعاء لمعاني مضارة لما يمكن أن يحوّر الحقيقة.

فيحدث للمعنى الثراء ، و تتعدّد إمكانات فهمه. و هنا يمكن بلاغة الكلم. كما يذكر عبد القاهر الجرجاني ، يقول : "إنّ الفصاحة و البلاغة ، و تغيُّر اللفظ ، عبارة عن خصائص و وجوه ، تكون معاني الكلام عليها ، و عت زيادات تحدث في أصول المعاني ..." [2].

---

[1]- نظرية التأويل – الخطاب و فائض المعنى – بول ريكور – ص : 97 – 98.

[2]- الدلائل – ص 285.

و يمكن تجسيد هذه المجازي الذي يعمل على إفاضة المعنى و تعدده في هذه الخطاطة التالية :

مثبتات القراءة الأولى ← الدخول المباشر لمواقع لقصود النص
(مواقع استباقية الفهم)

- مفاتيح أساسية ← المواقع المتقدمة من الفهم – علامات مفتاحية.
- القراءة الثانية (التأويل) ←القراءة المرجعية لكينونة النص
- استفراغ لساني ← الإستخدام المجازي (الإستعارة و الرمز)
- انتاج مواقع قصود جديدة ← مواقع ما قبل الفهم.
- حالة اللا فهم ← (سيطرة على مواقع القصود).

الفصل الرابع

نماذج تطبيقية

المبحث الاول:

تحليل سيميائي لنماذج ابداعية من العصر العباسي الأول.

لئن هجرتك أروى لأبي نواس

لئن هجرتك، بعد الوصل، أروى، فلم تهجرك صافية عقـــــــــــارُ

فخذها من بنات الكرم، صرفـــــــــــا كعين الديك يعلوها احمرارُ

شرابا، أن تزاوجـــــــــــه بمـــــــــــاء تولد منهما درر كبـــــــــــارُ

طبيخ، الشمس لم تطبخـــــــه قـــــــدر بماء، لا و لم تلذعـــــه نـــــارُ

على امثالها كانت لكســـــــــــــــرى انوشروان تتجر التجـــــــــــارُ

اذا المخمور باكرهـــــا ثلاثـــــــــا، تطاير عن مفاصله الخمـــارُ

وهات فغنني بيتـــــي نصيـــــــــــب، فقد وافاني القدح المـــــــــدارُ

"ولو لا ان يقال صـــــبا نصيـــــب، لقلت بنفسي النشءُ الصّغارُ"

"بنفسي كل مهضوم حشاهـــــــــــا، اذا ظلمت، فليس لها انتصارُ"

تشاكل التعبير:

من خلال ما هو واضح من التشاكلات الصوتية، التي تتركب منها منيمات أبيات القطعة الشعرية، يظهر إن الرّاء واللام، وغيرها، قد تكرّرت في اغلب الألفاظ المكوّنة لنسيج الأبيات، محققة بذلك مجالا من التحسين والجودة.

فالرّاء هو صوت تكراري، وهذه خاصية لصيقة به.

واللام، منحرفة وجانبية، وهذه أيضا، مختصة بها.

ولسهولة التلفظ بالرّاء واللام، فهي لكثيرة في كلام العرب وبإجراء التفاعل بين هذين الفونيمي، نجدهما من حيّز واحد. كما أن العمل الوظيفي المشترك بينهما، يكمن أيضا في احتوائه على صفة الشّدة[1].

وكان حال الشاعر المتمرّدة ولعه الخمرة واختاره بها، جعل من المعنى، هو الذي يتحكم في التالف الفونيمي ويستدعيه، ويسوقه نحوه. فيصير للصوت علاقته بالدّلالة العامة للنص[2].

ويتحقق تكرار اللام في (لئن، الوصل، فلم) من البيت الأول.

كما يتكرّر حرف الراء في (هَجَرَتك، أروى، تهجرك، عقار) من البيت نفسه. ثم يتكرّر هذا الحرف أربع مرات في البيت الموالي. ليمنح هذا التكرار بعدا نغميا ثمّ كلّ أبيات القصيدة. ويسمى هذا التكرار الحاصل على مستوى

---

[1] - الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية. الد: محمد فتح الله الصغير –عالم الكتب الحديث عمان-ط1- 2008.

[2] - انظر أسرار البلاغة –ص:08.

الصوت. لدى بعض الباحثين بالرمزية الصوتية والمحاكاة الصوتية. وذلك لما يقع التطابق بين الفونيم[1]، وصوت معيّن، كما يمتد هذا التطابق إلى الدّلالة، كما ينسجم الفونيم مع المعنى.

كما نلحظ الاتفاق بين حرف الروي، وهو الراء دائما. وبين الحالة الشعورية، التي تتمالك نفسية الشاعر، فهو في حالة تنفيس، وتفريغ علني وصريح، لشعور رافض ومناف للقيم، ولشعور آخر يغمر في الشخصية العربية التي تحبل عليها كلمة: أروى...

ولا يوجد أفضل من اللام والراء من حروف المنظومة العربية، ملائمة، ومجانسة مع وضع الشاعر. ذلك أن الراء من خصائصها أيضا هي إمكانية إطالتها، فهي من أوسع الحروف مخرجان واللام كذلك[2].

وهذا أمر يكشف عن التقارب الدّلالي بين الصوت والبنية الكبرى للقصيدة[3]. ويذكر جون كوهيني في هذا السياق أن "القافية ليست أداة، أو وسيلة تابعة لشيء آخر، بل هي عامل مستقل، صورة تضاف إلى غيرها، وهي كغيرها من الصّور، لا تظهر وظيفتها الحقيقية، إلا في علاقتها بالمعنى"[4].

ومن خصائص صوت الراء انّه لا يَحدُثُ إلا بطرقات عدّة يقوم بها طرف اللسان على حافة الحنك الأعلى والسّمة المخرجية للصوت،هو محاولة الانقلاب من قيد[5]. و الانفكاك من تأزم. وهذه رغبة الشاعر في فك أسره من القيم، والأخلاق، والتقاليد العربية.

وفي البيت الأول يطالعنا تشاكل تركيبي نحوي (لئن هجرتك) في الشطر الأول، و(فلم تهجرك) في الشطر الثاني، وهو تشاكل عفوًا سهوًا، ولكنه استخدام محمد إليه قصدا، لطرح هدف الشاعر من الموضوع، وإخبار المتلقي وبشكل مباشر، عن طبيعة الرسالة اللغوية. وبدءا من مطلع القصيدة الذي يعدُّ البنية النَّواة.

وكأنَّ التقابل بين الجملتين الثابتة والمنفية بمثابة طرح لإشكالية النص. مثبتا بذلك علاقة هذا التعادل التركيبي بالمعنى الكلي للقصيدة.

تشاكل المعنى:

إن هذا النوع من التشاكل، يصب في خدمة المعنى، وقد تحقق على مستوى عدَّة أبيات من النص. وهدفه كما يبدو تحقيق الإقناع. وان كان بعض الباحثين يصنّفه ضمن مَا يُسمى باللعب اللغوي، سواء أكان لعبا ضروريا، أم لعبا اختياريا. لكنه لعب له مغزاه، ومعناه.

يقول ميشال ريخاتير: "إن الخطاب الأدبي هو قبول كل شيء لعب بالكلمات"[6].

كما يظهر تشاكل أخر على مستوى التخريجات اللغوية المجازية. وهي ناتجة عن وسائط بلاغية[1]، مثلا في قوله: لم تهجرك صافية عقار، فالوساطة المقالية مغيّبة هنا.

---

[1]- البنى الأسلوبية. حسن ناظم.
[2]- انظر الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، محمد فتح الله الصغير.
[3]- البنية الكبرى: هو اختزال الدلالات المتتاليات الخطية (الجمل) المكونة للقصيدة (النص).
[4]- بنية اللغة الشعرية، لجون كوهني، ص:74.
[5]- انظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس.
[6]- دلالية النص: لميشال ريخاتير.

فالوساطة البلاغية تُزيل الفروق بين مجالين أو طرفين متناقضين (الإنسان والخمرة).

الخمرة، تشاكل مادي، الإنسان: يتشاكل كائن حي. الوحدات البلاغية الإسقاطية، الخمرة تشاكل الإنسان في مسألة القيام بفعل الوصل والهجران.

وقد عمد الشاعر إلى اختيار البحر الوافر، وتفعيلاته: مفاعلتن، مفاعلتن، فعول. وكانت علاقته مناسبة للإيقاع البطيء. ففي الشطر الثاني من معظم الأبيات نستشعر هذا الإيقاع. في حين يتسارع الوقع في الشطر الأول. من كل بيت. وذلك بسبب المد الذي شكل جزءا هاما من الإطار الدّلالي، وبخاصة الألف، التي تكرّرت لمرات عديدة، فخاصية الاستطالة في المدّ، تُوحي بالتنفيس، والراحة، وجمع النفس، وتقطع النفس، يُوحي هو الآخر، بتقطع على مستوى الأفكار، والعواطف.

أما فيما يتعلق بالمقاطع الصوتية، فقد حملت هي الأخرى، دلالات عن النغمة الأليمة، والإيقاع الحزبي، ومنها الطويلة المفتوحة، والمغلقة القصيرة.

فمن المقاطع المغلقة: ئن،ته، كر، صر، مرن وقد جسدت ثورة نفسية، (حجبها الكبت والشعور بالأسر والتذمر، والرغبة في الانعتاق.

ومن المقاطع الطويلة: قر، زار، بار، نار، مار، وهي مقاطع قد حملت معاني التنفيس، والتفريغ ويظهر النبر في البيت الأول، فيتبين كالأتي:

لئن هجرتك بعد الوصل أروى فلم تهجرك صافية عقار

المعجم:

ويعد المعجم، مكونا أساسيا، وجوهريا، تتأسس عليه بنية الجلة النحوية. ويتحدّد معناها. وهي علاقة دلالية، تقوم بين المحمول والموضوع[2].

والمعجم الخمري، هو المعجم المسيطر على النص، وشكلت مفرداته، بمفردات وتراكيب خدمة لمعنى واحد.

المعجم العاطفي: هجرتك، الوصل، أروى، لم تهجرك.

معجم الطبيعة: بنات الكرم، عين الديك، ماء، دُرَر، الشمس، نار.

معجم الأسماء: أروى، الديك، كسرى، انوشروان، التجار، المخمور، نصيب.

فهذه المعجمات المفرداتية، تحتل مكانا مركزيا في النص الشعري، كما نلحظ تداخلا في المستويات المعجمية، كما نرى الشاعر يوظّف ألفاظا مستحدثة، المستعارة من لغة وسطه وحضارة مجتمعه الفارسي، المولع بالخمرة، كما يتبين ذلك في قوله: تتّجر التجار. وقوله: وكانت لكسرى وانشروان.

---

[1] - الوسائط البلاغية هي الاستعارة.
والوسائط المقالية: تتمثل في ادوات التشبيه، ك: كأن، مثل، شبه.

[2] - تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح، ص:57.

وهذه ألفاظ مبتدعة من لغات أجنبية. وهي تحمل قيمة رمزية، توحي بالافتخار، والتفني بانتمائه للمجتمع الفارسي.

المستوى التركيبي:

تطغى على القصيدة تموجات لأحوال نفسية متباينة كانت وراء اتخاذ الشاعر، أساليب لغوية معيّنة تتماشى والتقلبات الشاعرية.

التباين:

يتجلى مفهوم التباين في تلك الأساليب، التي تحمل دلالات متناقضة، وقد أكثر منها الشاعر، بدليل أنّه كان يقرن كل وضع بوضع أخر مناقض تماما. وساء أتعلق الأمر بمطلع القصيدة، وهجران أروى وحضور الخمرة. ام بما يحيل عليه من دلالات خفية تُوحي بالمفارقة بين قيمتي : واحدة تتصل بحضارة البادية وقيمتها التقليدية (القاهرة)، للأنفاس. وحضارة راقية قيمها تمثل الحرية، واللذة.

وقد تنوع استخدام الجمل بين الاسمية والفعلية. فالجملة الفعلية في البيت الأول والثاني، توحي بدلالة التوتر وعدم الثبات.

وتتموقع الجمل الاسمية في البيت الثالث، والرابع والخامس والسادس. وقد دلت على الإخبار، وحلول الاستقرار بوجود البديل الواصل.

زمن الأساليب الإنسانية، الشرط والبيت الأول: لئن، والأمر والبيت الثاني: خذها، وفي البيت السابع: هات.

كما نجد الأسلوب الخبري، وكان هو الغالب في معظم أبيات القصيدة. لانّ المقام، مقام وصف وافتخار. اما فيما يتعلق بلغة الخطاب، فلم تكن لغة العقل، وإنما لغة تحكمت فيها العواطف: (الخمرة، واللّذة والخمرة) فقوله: لئن هجرتك بعد الوصل أروى. دلالة على التوتر، وعدم الثبات.

وتتجلى الجمل الاسمية في البيت الثالث والرابع والخامس والسادس، وتدلت على حلول الاستقرار بوجود البديل الواصل.

ومن الأساليب الإنشائية والبيت الأول: لئن (شرطا) والأمر والبيت الثاني: خذها، وفي البيت السابع هات فغنني.

كما نجد الأسلوب الخبري وكان هو الغالب ومعظم أبيات القصيدة. لان المقام مقام وصف وافتخار.

اما فيما يتعلق بلغة الخطاب، فلم تكف لغة و العقل. وإنما لغة تحكمت فيها العواطف (الخمرة، واللذة والنغمة). فقوله: (لئن هجرتك بعد الوصل أروى) أسلوب إبداعي طريف استعان به الشاعر ليستميل سمع المتلقي، ويستلهم قلبه. فالظاهر من الخطاب، انه موجه لك. إلا أن الحقيقة هو الشاعر يخاطب نفسه.

وكان التنويع في الجمل بين الطويلة والقصيرة. فكانت بمثابة أنماط حيوية، أبعادا تأويلية تراوحت بين أسلوب إبداعي طريف، استعان به الشاعر، ليستميل سمع المتلقي، ويستلهم قلبه.

فالظاهر من الخطاب، انّه موجه لك، إلا انّفي الحقيقة الشاعر يخاطب نفسه.

وكان التنويع في الجمل بين الطويلة والقصيرة، فكانت بمثابة أنماط حيوية،منحت أبعادا تأويلية تراوحت بين التوتر والاستقرار، والحزن والفرح.

كما تجسدت مظاهر التباين في الجمل الثابت والمنفية. أما عن صيغ الأفعال، فقد تفرعت إلى لازمة ومتعدية ترتبط بالعناصر المشكلة للصورة الشعرية في القصيدة. وبشكل خاص بالخمرة.

كما نلاحظ أن الضمائر في الأفعال كلّها متّصلة تقريبا، وفي البيت الأول، يفصل بين الفعل والفاعل بكلمتين هما (بعد الوصل)، فهناك حيّز مكاني بين الفعل والفاعل. وهذا يؤكد أن هجر أروى لا يحظى باهتمام لدى الشاعر. كما أن للوحدات النوية الأساسية، حضورها الدّلالي في النص، مثلا: الفاء ارتبطت بالوحدات (فلم، فخذها، فقد...) وهي تدل على الانتقال من فكرة إلى أخرى. وساهمت في استحضار الفعل والزمن معا في تماسك نسيج النّص.

التركيب البلاغي:

إن للثراء الدّلالي، والتنويع في حقوله، الأمر الجميل في إعطاء القصيدة صورة فنية وجمالية،تُوحي بالقدرة على الوصف والجودة في تشكيل الصورة الشعرية. وأساس ذلك هو ذلك الخرق اللغوي على مستوى قواعد نظام اللغة. وتنبهنا على تلك التعابير المجازية التي تحقق خاصية الترميز. الذي على الخطاب الشعري بخاصه.

ففي هذه المقطوعة، يتجلى الترميز في الوحدتين الدلاليتين (أروى ونبات الكرم).

فظاهر الكلام، إن أروى ليست إلاّ واحدة من الصويحبات اللواتي عرفهن أبو نواس. إلا أن الشاعر، أرادها مجرّد رمز. يُحيل على ثقافة مجتمع، وقيم حضارية معينة.

فأروى اسم علم، ويقال أنها صحابية، أو أنها من جدات الرسول عليه الصلاة والسلام.

فانتقاء الشاعر لهان لم يكن من باب الصدفة، وإنما قصد إليها عمدا، لينال من المجتمع الإسلامي ويحط من مكانة القومية العربية.

والشيء نفسه بالنسبة لابنة الكرم: فالخمرة بصفاتها وتأثيرها السلبي على شاربيها، ناهيك عن تحريم الإسلام لها.

فهي عند الشاعر رمز الحضارة الفارسية. ووسيلة ومادة الاتّجار. لها قيمتها ومدلولها في وسطه الاجتماعي والثقافي. كما نجد الكناية في البيت الثاني، في قوله: نبات الكرم، وكأنّه طعن صريح في الثوابت الدينية العربية. كما لها تأثيرها في جانبه النّفسي، فيجعل منها كائنا حيًا، يلعب دورًا بارزًا في حياته وتفكيره. فتُعطيه الشعور بلذّة الكؤوس المدارة، والنشوة والغناء واللهو صحبة المجان والجواري.

فالخمرة أم الخبائث، لكن الشاعر يرفض – كما ترى – أن تكون لها تأثير سلبي خبيث فيستعير لها صفة الكرم، وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسّلام عن تسمية الخمرة بالكرم، فالكرم شريفة، ذكر عنبها في القران، وهي من ثمار الجنة.

وهذا تحدي من الشاعر، وجرأة علنية، وخرق صريح للقيم الأخلاقية، والدينية للمجتمع العربي.

سيمياء الوحدة الاستعارية في شعر البحتري.

نالت الاستعارة اهتمام اللغويين و البلاغيين منذ القدم، وقد شهدت على يد عبد القاهر الجرجاني تطورا نوعيا من خلال دراسته لحقلها الدلالي، ووظائفها داخل الكلام، وأهميتها مقارنة بباقي فنون البيان الأخرى.

و تشكل الاستخدامات المجازية على العموم وسائل بديلة للأشياء الحقيقية، وهذا هو جوهر عمل العلامة، حيث تعد العلامات بدائل للأشياء، وهذا البديل هو الذي سيحدد مضمونه.

و يقول الدكتور عبد الفتاح أحمد يوسف[1]:" والاستعارة هي نقل لفظ و جعله بإزاء آخر، مدعية أن لهذا اللفظ دلالات تقوم مقام اللفظ المستبدل به لعلاقة المشابهة أو المقارنة".

و بحصر الباحث محمد سالم سعد الله هذه الاستخدامات المجازية، ضمن ما أسماه بالتناص الاستعاري ".... و هنا يمكن قراءة الاستعارة بوصفها علامة كاشفة عن الرمز في العمل الأدبي، و بوصفها سيرورة سيميائية تكشف عن الوظيفة الابدالية للعلامة."[2]

وذلك لحصول تعالق و تداخل النص البياني مع غيره المنتمي له للحقل الدلالي نفسه، واستعماله في إطار ضمني داخل فن بياني آخر.

أي أن التناص الاستعاري، يركز بشكل أساس على تشابه في المعنى بين النصين. فهذا النوع من التناص سيولد مجموعة علاقات داخلية بين الفنون البيانية. أي: بين الاستعارة و التشبيه من جهة، و الاستعارة و المجاز من جهة، و الاستعارة و التمثيل من جهة أخرى.

وهذا – لاشك – مظهر من مظاهر التناصية.

---

[1]- مملكة النص – محمد سالم سعد الله – ص: 50.

[2]- ليسانيات الخطاب و أنساق الثقافة: عبد الفتاح أحمد يوسف.

فهناك قوى فاعلة تعمل داخل نسيج الفنون البيانية[1]. لتجعلها متداخلة فيما بينها، تلك القوى تحكمها أنظمة متداخلة فيما بينها، تلك القوى تحكمها أنظمة العلاقات التي تشكل كل فن.

فالاستعارة = المستعار له + المستعار منه + المستعار

التشبيه = المشبه + المشبه به + وجه الشبه + أداة التشبيه

المجاز = المعنى الظاهر (المعنى) + المعنى الباطن (معنى المعنى)

و يقحم الدكتور: محمد مفتاح في كتابه " مجهول البيان" مفهوم التشعب[2] كمفهوم للاستعارة مقحما بذلك الكناية و المجاز داخل مفهوم الاستعارة (التشعب) أو الاستعارة المتشعبة..La métaphore fillieé

و هكذا يصير مفهوم الاستعارة معمما، و شاملا لإطار النص[3]، و المقصود بالنص، هو النص الثري، لأنه أكثر استعارية مقارنة بالنصوص النثرية.

و سنجد ضالتنا في شعر أبي الوليد و بخاصة في استخداماته المجازية، و إعماله للخيال حيث تصبح الاستعارة تجربة تفاعل بين الذات و الآنا / الكاتب المتضمنة بالضرورة للآنت/ المتلقي، و المقيدة بالآنا و الهنا (الظروف الزمكانية للخطاب). كعناصر تضمن و تكشف عن سيرورة الواقع التاريخية و الثقافية.

المرصودة في النص المحاكي لهذه السيرورة، و فهم مقاصد المؤلف و الوصول إلى غائبة القراءة، تتعلق بالضرورة بمدى إلمامنا بهذه العناصر وفق الشكلنة الآتية:

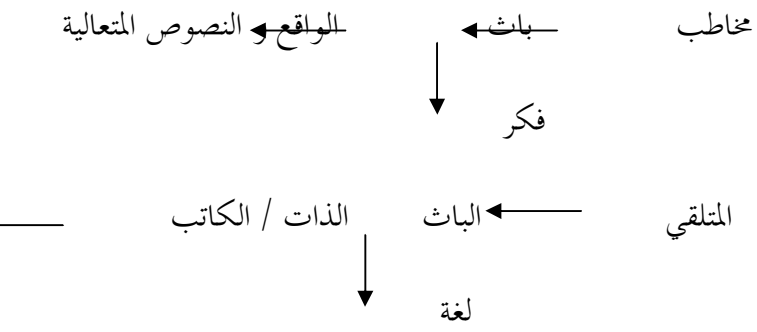

[1]- المرجع السابق – ص: 52.
[2]- التشعب: عملية تنتج عن طريق الترابط الحاصل بين الأنظمة الرمزية (استعارات نصية).
[3]- مجهول البيان لمحمد مفتاح – ص: 57-58 .

المتلقي ـــــالبلاغة القارئ ←

1

فمثلا في قول الشاعر:

و تماسكت حين زعزعني الدهـــ * ر التماسا منه لتعسي و نكسي

فالصيغة الإخبارية: (زعزعني الدهر...) تشير إلى قوة فاعلة، لها قدرة خاصة في إحداث فعل الزعزعة و هي فعل إنساني، و الدهر هو الفاعل، بما يحمل من معان ودلالات تشير إلى القوة و الأبدية و الدهر أكثر مهابة و قوة من الإنسان.

فالاستعارة ليست مجرد إشارة لشيء آخر، بل هي إستدعاء هذا الشيء الآخر، وحضوره فيها.

و إستمارات البحتري تعج بالابتكار المحاك تصويره في صياغة حسنة الديباج. فتشبيهاته بعيدة عن الأذهان، لا تخطر إلا على بال شاعر وهب استدادا في إنتزاع أوجه الشبه الدقيقة بين الأشياء البعيدة.[2]

لأن الاستعارة طبع و ملكة غير قابلة لأن تلقن، وتعلم، فهي متأتية لبعض الناس دون غيرهم. [3]

و طريق ذلك:

رقيق الألفاظ يرصف في الأســـ * ماع درا، ولؤلؤا منظما

و قوله:

وبدر أضاء الأرض شرقا و مغربا * وموضع رجلي منه أسود مظلم

سحاب خطابي جوده وهو مسبل * و بحر عداني فيضه وهو مفعم

وقوله:

و بنفسي أفدي على كل حال * شادنا، لو يمس بالحسن أعدى

وقوله:

---

[1]- البلاغة و تحليل الخطاب لحسين خالفي – منشورات الاختلاف الجزائر – ط1 – 2011 – ص: 198.199.

[2]- اللسانيات و تطبيقها على الخطاب الشعري. رابح بوحوش – ص: 170.

[3]- البلاغة و تحليل الخطاب – حين خالفي- ص: 179.

و إذا دجت أقلامه، ثم انتحت * برقت مصابيح الدجى في كتبه

وقوله:

كنت إذا استبطأت ودك زرته * بتخويف شعر كالرداء المحبر

دلالات الثواني للنصوص الاستعارية.

الدال
- يرصف في الاسماع دار.
- يرصف في الاسماع لؤلؤا منظما.
- وبدر أضاء الأرض مرقا ومعزبا.
- سحاب خطاني جوده.
- و بحر عداني فيضه.
- أفدى على كل حال شاديا.
- برقت مصابيح الدجى في كتبه.
- زرته بتفويف شعر.

مستوى الدلالة

العادية:
- كلام البدر.
- كلام كاللؤلؤ المنظم.
- الممدوح كالبدر.
- الممدوح كالسحاب.
- الممدوح كالبحر.
- الغلام كالشادن حروف الكتابة كمصابيح الجدى.
- الشعر كالثوب المفوف.

مستوى الدلالة

المكتسبة
- كلام عذب.
- كلام جميل منظم.
- الوجه مشرق و مضيء.
- العطاء غزير.

- الجود كثير.
- الكلام فاتن.
- الكتابة الجادة حرب للجهل، و إنارة للعقل.
- الشعر رقيق المعاني، حسن السبك.

وهذه كلها استعارات تصريحية، تعبر عن مستوى من التخييل و القدرة على ابتكار صور بعيدة عن الأذهان و كشف وجوه الشبه بين أشياء دقيقة لا تتأتى إلا في نفس صافية كنفس أبي الوليد، و سنسعى في هذه الممارسة السيميائية إلى التعامل مع الاستعارة بوصفها نتاج العلاقات بين العلامات المختلفة.أي الكشف عن هذه الكلامات في ضوء علاقاتها بالاستعارة وهذا هو المنحنى المهم في التحليل السيميولوجي للنص الأدبي. و بالتالي سنصرف النظر إلى الاستعارة بكونها نسقا بلاغيا ناتجا عن مجموع الأجزاء و إنما بوصفها محصلة لعلاقات علاماتية مختلفة.

إذ لا ينبغي التركيز على المفهوم الدلالة العادية في البنية الاستعارية لما فيه من منافرة بين الكلمات.

ولذلك لا تتحقق الروابط بين العلامات إلا في الدلالة الثانية، مشكلة إنزياحا و توترا في مستوى اللغة.

ففي المدلول الأول المشكل للبنية السطحية، حدثت منافرة بين العلامات و هذا يعد خرقا لقواعد الكلام و تغيبا للمعنى.

أما مستوى الدلالة المكتسبة: فهو مستوى من تحليل العلامة و البحث عن العلاقة التي تربطها بباقي العلامات.

إنه قراءة ثانية، وحراك فكري ومعرفي تجاه الوحدات الوظيفية المشكلة للبنية العميقة، لتطويق المعنى الممتد في ربوع النص.

ففي مستوى المدلول الأول صار " الكلام " دار و لؤلؤا منظما، و الإنسان بدرا و سحابا، و بحرا، وشادنا، و " الحرف " مصباحا منيرا و " الشعر " ثوبا مفوفا، و بهذا التوظيف البلاغي المستعار، أحدث الشاعر منافرة عميقة بين الدال و المدلول.ففي الدلالة العادية " كالبدر، السحاب، البحر، الشادن، المصباح، الثوب المفوف" كلها إدعاءات

أفراط الشاعر في المبالغة فيها، إذ وقع الحذف على المشبه في هذه الأمثلة، و ادعى أن المشبه به هو المشبه عينه. فالغياب قد شمل المستعار له. و الحضور شمل المستعار: " در، لؤلؤ، بدر، سحاب، بحر، شادن، مصابيح الدجى، تفويف الشعر."

وهي أطراف شكلت علاقة الحضور و الغياب القائمة على أساس المشابهة محاكة في صياغة خرجت عن المألوف إلى الانزياح و العدول القائم، على المنافرة و الادعاء و المبالغة.

أما في مستوى الدلالة المكتسبة: فتصير المدلولات: " كلاما عذبا، كلاما جميلا، كلاما فاتنا، وجها مشرقا، رجلا جوادا، رجلا كثير العطاء، حروفا تنير العقل، وتحارب الجهل، شعرا رقيق المعاني، حسن السبك.

و هنا أوجه شعرية استعارية، تميزت بالمنافرة، و بعد دلالي، لتبرز للمتلقي فتنتها، و سر بلاغتها المثيرة هو إدراج صور متخيلة الأشياء لا تخطر على بال، و إلحاقها بأطراف التشبيه.

و هكذا تعد الاستعارة التصريحية " أوضح نهج نتبين من خلاله أن الاستعارة هي تشبيه متوغل فيه، لأن ملائمات المشبه ترجعنا إلى الانطلاق بعد أن تجاوز المشبه به حد الحقيقة."[1]

إن الاستخدام المجازي على مستوى الاستعارة التصرحية، قد أحدث توترا في نظام اللغة، و دلالالتها فكانت اللغة مجرد رموز و إحالات، تشير إلى مواضيع خارجية، و موجودات معينة.

و يمكن إختزال هذه المفاهيم في الترسيمة الآتية:

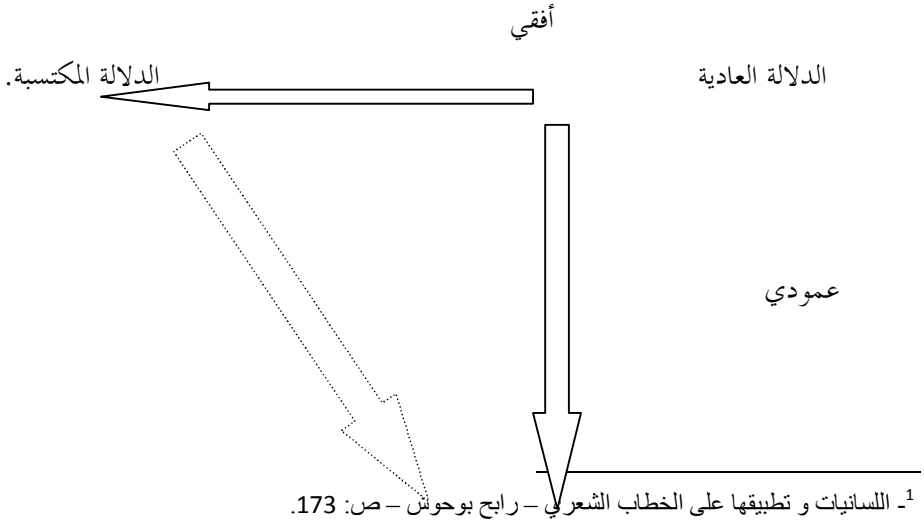

[1]- اللسانيات و تطبيقها على الخطاب الشعري – رابح بوحوش – ص: 173.

وجه الشبه

فالمعنى العمودي هو المكتسب، و ينطلق في جوهره، من المعنى الأفقي الوضعي، ليتخطاه. حيث تنقل صفات الدلالة المكتسبة إلى الدلالة العادية. فكانت طاقة الدليل في نقل مسطح للصفة من لفظة إلى أخرى.

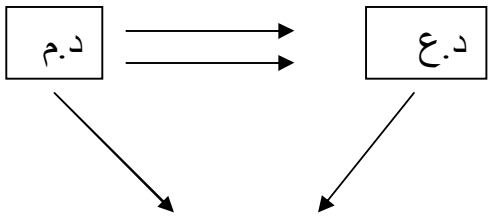

(الصفة)

فالاستعارة طاقة دلالية، تعمل على تحفيز إنتاج المدلولات و تشكيلها فهي تقنية ديناميكية، تعتمد النقل و المشابهة و التفاعل.[1]

حيث تدخل البنية السطحية و العميقة معا – في صراع و تجاذب في إطار مبدأ العدول و الانزياح، الذي يمثل فعل الخرق للنسق الدلالي. فيستدعي الفكر، و قدرته في الوقوف على الدلالة القابلة للتأويل على مجالات واسعة. يقول بول ريكور: " إن تفسير الاستعارة كحدث متعين في النص، يساهم في تأويل العمل ككل، بل يمكن القول بأنه إذا ما كان تأويل النص ككل و جلاء نوع العالم الذي يرسمه العمل يضيئان الاستعارات المتعينة، فإن تأويل القصيدة ككل، بدور يحكمه تفسير الاستعارة كظاهرة نصية متعينة".[2]

و تعد دلالة الكلمة في الاستعارة التصريحية بالمقارنة مع دلالتها في الاستعارة المكنية، أقل توترا في مستوى بنية التحول إذ البعد الدلالي للكلمة على محور الاستعارة التصريحية لم يتغير جذريا، إذ بقيت القيمة الإيحائية للترميز اللغوي رهينة التصوير المجسد في الدلالة المكتسبة.[3]

---

[1]- مملكة النص – محمد صالح سعد الله – ص: 65.
[2]- الاستعارة و المشكل المركزي للهرمنيوطيقا- لبول ريكور عن مجلة السيميائيات – ص: 109.
[3]- راجع كتاب: من الصورة إلى الفضاء- د: دزيرة سفال- دار الفكر البناني – بيروت – ط 1 – 1993 – ص: 40.

.بمعنى أن الوصول إلى المستوى الثاني من الدلالة لا يكلف عناءا، و جهدا في إعمال الفكر، و توظيف ذاكرة الكلمات.

أما الاستعارة المكنية فهي لوحة دلالية، مكثفة بالرمز و إيحاءاته و هنا تختلف شبكة العلاقات الداخلية بين الرمز (اللفظة) و الموضوع(المعنى)، لأن الوحدات الكلامية ستتداخل، وتتواتر على غير ما هو مألوف و سائد فتتأسس بذلك منظومة لغوية جديدة تتخطى مقدرتها العادية المعروفة.

(التي تتفجر فيها الكلمة على إيحاءات تيمائية، تستدعي منا مغامرة، و رحلة بحث و تقصي).

ومن جماليات هذه الأنظمة البلاغية قول الشاعر:

يتراكمون على الأسنة في الوغى * كالصبح فاض على نجوم الغيهب

قلب يطـــل على أفكاره و يـــد * تمضي الأمور، ونفس لهوها التعب

و صاعقة في كفه تنكفي بها * على أرؤس الأقران خمس سحائب

يسمو بكف على العافين جانية * تهمي، و طرف إلى العلياء طماح

مهيبا كنصل السيف لو ضرب به * صفاة الهدى من أن ترق فتخرقـــا

حملت حمائلـــه القديمـــة بقلـــة * من عهد عـــاد غضـــة لم تذبـــل.

وهذه إستعارات كلها مكنية، حذف فيها المشبه، ورمز له بقرائن تدل عليه، وما يميز الاستعارة المكنية درجة توغلها في العمق " مرجعه إلى خفاء لفظ المستعار، و حلول بعض ملائماته محله، مما يفرض على المتقبل تخطي مرحلة إضافية في العملية الذهنية التي يكتشف إثرها حقيقة الصورة".[1]

و مثل هذه البنية البلاغية، لا يفهمها إلا من كان له ذهن يرتفع عن ذهن العامة، لأن القارئ يكون محوج إلى التدبر و التروي و الرفق و اللطف، و التوفر على كفاية عالية في التأويل، تستحضر القرائن، وتربط العناصر بعضها

[1]- خصائص الأسلوب في الشوقيات – محمد الهادي الطرابلسي – المطبعة الرسمية – تونس – (د ط) 1981 – ص: 166.

ببعض لبناء تأويل منسجم مع مرامي القاصد إذ المعنى فيه مثل الجوهر في الصدف، لا يظهر حتى تشفه، و أبواب الملوك لا تفتح لكل من دنا منها.[1]

و معنى ذلك أن مثل هذه البنيات المتوترة، هي بنيات خبيئة، لا تميط لك اللثام عن وجهها إلا إذا رأتك أهلا لذلك من أصحاب الآليات البلاغية، و الكفاية اللغوية، وخبرة بضروب الكلام، و طرق استعماله.[2]

الدال

- كالصبح فاض على نجوم الفيهب.
- قلب يطلب على أفكاره.
- تنكفي بها على أرؤس الأقران خمس سحائب.
- يسمو يكف على القافي حابي تهمي.
- لو ضرب به ذرا "أجا" ظلت وأعلاها وهد.
- امتنعت به صفاة الهدى من أن ترف، فتخرق.
- بقلة من عهد عاد غضة لم تذبل.

مستوى الدلالة العادي

- الصبح كالإناء يفيض.
- القلب كالموضع الغالي يطل على أفكاره.
- السحائب كالخصنة أنامل.
- الكف كالسحابة تهمي.
- ذرا الآجا كرؤوس الكائنات.
- الصفاة كالثوب تخرق.
- السيف كالبقلة الفضة التي لم تذبل.

---

[1]- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني- ص: 141.

[2]- انظر كتاب التأويلية العربية- محمد بازي- عنصر: البنيات التشبيهية و التأويل- ص: 103.102.101.

- صبح منحل منبسط.

مستوى - قلب لا تشغله الأفكار ولا تحيط به.

الدلالة - كف قاتلة.

المكتسبة - كف جوادة.

- أعالي الجبال.

- الصفاة مشقوقة.

- السيف محافظ على صفاء معدنه، وحدته.

إن خفاء المشبه جعل من هذا المستوى الإستعارة من الإستعارة المكنية بابا ذو غل في ضروب الخيال والتخمين، ذلك أن غياب المشبه، وحلول بعض لوازمه محله أمر يستدعي من المتلقي، استدعاء الذاكرة والبحث في المخزون المعرفي والثقافي المكتسب، للبحث عن سمات التلاقي والتشابه والكشف عن أوجه المنافرة بين أطراف التشبيه فيستحيل الصبح إناء، والقلب موضعا عاليا، والسحائب أنامل، والكف سحابة، وذر الجبال رؤوسا، والصفاة ثوبا، والسيف بقلة غضة، ليحدث توترا ملحوظا على مستوى نظام اللغة، فوقعت المنافرة في المستوى الدلالي الأول.

فصار الصبح كالإناء يفيض، والقلب كالمكان الغالي يطل، ويشرف على أفكاره، والسحائب كالأنامل الخمسة، والكف كالسحابة تهمي، وذرا الجبال كالرؤوس تضرب، والحجارة كالثوب تخرق، والسيف كالبقلة الفضة لا يذبل".

فاتضح في هذه البنيات السطحية، حذف المشبه به، الذي قدر في البنية العميقة بـــ: "كالإناء، كالمكان، كالخمسة أنامل، كالسحابة، كالرؤوس، كالثوب، كالبقلة الفضة" وعوض بقرائن دالة عليه: "فاض، يطل، خمس، تهمي، ضرب، تخرق، بقلة".

أما في مستوى الدلالة المكتسبة تصير المدلولات كالآتي:

- صبحا منجليا منبسطا.

- قلبا تحيط الأفكار به.

- كفا قاتلة.

- كفا جوادة.

- أعالي الجبال.

- صفاة مشقوقة.

- سيفا محافظا على صفاء معدنه وحدته...

وهنا تكمن قدرة المبدع على تشكيل الصورة التي تسحر العقول، وتفتن الألباب، مشكلة شعرية لا تكتمل معالمها إلا لشاعر كالبحتري، وهي شعرية قد نشأت بكيفيتين:

- إسقاط محور الإدراج على محور التعاقب.

- بإحداث فجوة بين البنيتين: السطحية والعميقة.

- إنشاء إنتهاك في المفهومين لإيجاد علاقات تركيبية بين أشياء لا علاقة بينها في العرف الإستعمالي المألوف.[1]

إن شبكة العلاقات على هذا المحور الاصغاري، أقوى وأكثف من المحور الاصغاري التصريحي الأول إذ تختلف هنا بنية الكلام، بشكل نوعي ومتمايز، لأنها تحيل إلى شيء غير موجود في سياق الكلام، باع هو غائب حاضر في الوقت ذاته وهو وضع يستلزم من المتلقي عملا مضافا في البحث عن طبيعة العلاقة الرابطة بين الدلالة العادية والدلالة المكتسبة، إن فهم الدلالة بين البنيتين يؤدي إلى خلق عنصر ثالث، لم يرد في الجملة، وهو نتاجهما.

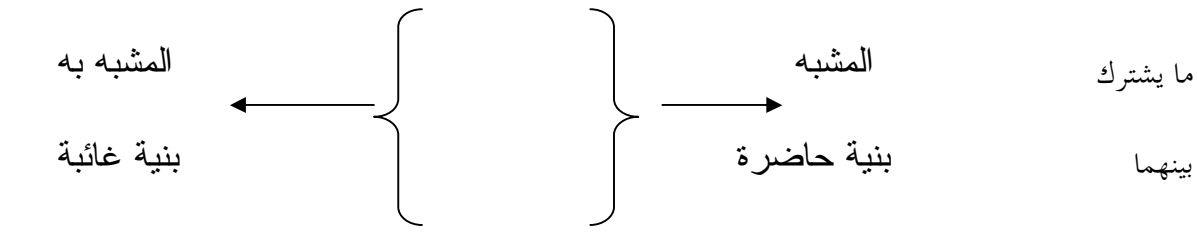

الخطاطة رقم:

[1] - راجع كتاب: القسائيات وتطبيقها على الخطاب ....."، رابح بوحوش، ص186.

إن البنية الأصغارية في الخطاطة تحدد طرفا العملية:

1- تحديد صاحب القرينة.

2- البحث عن الصفة الغالبة عليه.

وسبب هذه العملية المزدوجة الأطراف هو "الإضمار" إضمار محور التشابه.

ويلعب التخييل والبحث عن الأطراف التي تشكل الصورة التشبيهية الدور المهم في إخضاع أدوات العقل اللغوية لما تمزج بأدوات أخرى من صنع الخيال، فثمة مزيج من الواقع واللاواقع، فتولد الصورة التخييلية خارج إطار الممكن، وهنا يبدأ الفن ويأخذ أشكاله المختلفة[1] وهنا يتدخل دور القارئ بقوة وضرورة، كمشارك فعال في إنتاج النص عبر ممارسته للقراءة في مجال الخيال، بتجوزه للمعنى الحرفي الظاهر للدلالة العادية إلى الدلالة الباطنية المكتسبة، والتي تعد أساس العمل الأدبي بالخوض والنظر في جميع المحتمل والممكن الوقوع قصد مشاركة فعالة في عملية بناء النص.

وتجاوز قراءة الإفادة وحدود الإستهلاك[2] حيث يسقط القارئ مبدأ التعامل مع البنية المحايثة، التي يتجاوزها، بإثبات انفتاح البنية النصية التي تنتمي إلى مرجعية غير مرجعية المحايثة، بإعطاء الاهتمام إلى الموقف الحدثي، والمؤثرات الخارجية التي تحيط بالحدث الكلامي، وهو ما يشكل سياق الحال الذي يساهم والوصول إلى غائية القراءة، وتعدد النص.

إن بسيميائية الدلالة القابعة وراء متواليات من الأدلة المستجدة تتغير بحسب الاستعمال، وخاضع لمقاصد متغيرة.

والإستعارة من أكثر الفنون البيانية التي تمنح لمجال الاشتغال الدلالي حركية ونمو، حيث تقوم البنية .....، بدور الاستعاضة والاستبدال، بحيث تحل محل شيء آخر في ميدان النص الاستعاري بغض تأدية وظائفها الإيحائية وطرحها لقيم إشارية.

إذ يصبح المدلول كما لاحظنا في الأمثلة السابقة، مجرد دال ثان يحيل على مدلول آخر مغيب في سياقات سيميائية في إطار ينعت بالتحول الدلالي.

---

[1] – راجع من الصورة إلى الفضاء .....، ديزيرة سقال، ص42.

[2] – راجع كتاب "نظرية النقد" لعبد المالك مرتاض.

و قد أوضح ابن جني هذه الدّلالات على نحو تطبيقي عبر التمثيل ، فنجده يقول : (قطَّع) و (كسّر) فنفس اللفظ ها هنا يُفيد معنى الحدث ، و صورته تُفيد شيئين : أحدهما الماضي ، و الآخر تكثير الفعل ، كما أن ضارب يُفيد بلفظه الحدث ، و ببنائه الماضي و كون الفعل من تنين ، بمعناه أن له فاعلا فتلك أربعة معانٍ[1].

[1]- المصدر السابق : 101/3.

المبحث الثاني

نموذج تطبيقي

تحليل قصة

علي المصري بن حسن الجوهري

من ألف ليلة و ليلة.

قصة علي المصري بن حسن الجوهري

المسار السردي للقصة :

تتأسس البنية السردية للوضعية الإفتتاحية للحكاية[1] على حالة من الإستقرار و الغنى. تطالعنا بها تلك المقاطع السردية المشكلة للوحة الإفتتاحية، حيث كان هناك تاجر اسمه حسن الجوهري ، كان كثير المال و الأملاك ، و له ولد حسن الوجه ، إسمه علي المصري.

ثم يبتدئ المسار في نهاية هذه اللّوحة بالتأزّم لّما يُوقِنُ الوالد بموته ، فيستدعي ابنه ، و يوصيه بتقوى الله و طاعته ، و الرفق بزوجته و أولاده. و ما إن عمل بذلك ، فلا يحصل له تعب ، و إن لم يعمل بوصيته ، فإنّه يحصل له تعب و يندم كبيراً. و البطل سيقع في وضع التّفريط (عدم العمل بوصية الوالد) و يُمثل هذا العنصر ، دافعاً قوياً في اختلال الحالة المادية و الإجتماعية للابن.

فبعدما شرع الولد بعد موت أبيه في عبادة الله و التّمسك بطاعته، ظهرت بعض التغيُّرات التي جعلت من هذا الوضع يتبدّد ، فلم يعد سوى حالة ظرفية سرعانما انحدرت إلى النقيض.

تقع تحولات سردية تتجّه نحو الإضطراب ، و كان لأقرانه ، و أولاد التجار دخلٌ قوي في بلوزة أحداث الأزمة.

و تتكرَّرُ أوقاتُ التأزّم ، لّما يُخالف الإبن وصايا أبيه ، فيُجالس أصحاب الشُّبهات ، و يحترفُ بعض المحرَّمات لينتهي به الأمر إلى ضياع كلّ ماله ، و ممتلكاته.

فيتبدَّلُ وضعهُ من مالك يعيش في قصر يُحيط به الخدم و الجواري ، و البساتين إلى شخص مفلس في وضع حقير ، لا يملك قوت يومه.

فتشكلت اللوحة الإفتتاحية من مقطعين سرديين هامين ، فالمقطع الأوّل يُجسِّدُ حالة البذخ و الغنى و الاستقرار للعائلة ، و يُداخلُ هذا المقطع مشهد سيدفع الوضع نحو التَّأَزُّم ، بشكل تدريجي ليصل إلى صورة تُناقِضُ الصورة الأولى للافتتاح.

فموت الأب و عدم العمل بوصيته ، يوقع الابن في الفقر و الحاجة. و هذا تأزم سيفرض حُضورَ مشاهد تأزمية أخرى ، سُعانيها الإبن، و هو يطوفُ على أصحابه واحداً واحداً، فيُوارون وُجوههم منه ، و يمتنعون عن المساعدة.

---

[1]- ألف ليلة و ليلة من ص 184 إلى ص 200

كذلك خروج زوجته في طلب المساعدة ممن كان لها بهم علاقة سابقة ، ثمّ خروج لابن إلى مقصد مجهول ، عسى أن يجدَ مخْرَجاً لهذا الوضع. فركب عصا الترحال من صقع إلى آخر، في مشاهد متكرّرَة تُعبّر عن الإضطراب ، فقصد بولاق ، فدمياط ، فالشام ، فبغداد.

ثمّ يشتدُّ التَّأزُّم، لّما يُغيرُ قُطّاع الطرق على قافلة التّجار ، التي كان برفقتها على المصلي (الإبن). فتأخذُ المال ، و تقتلُ الرّجال. فينجو البطل ثمَّ يقصد باب بغداد ، فيطلب الدُّخول فيدخلُوه.

فيدَّعي أمام الحُرَّاس ، أنَّهُ تاجر ، ذو مالٍ عظيم من مصر ، و أنَّهُ لاقى ما لَقَاهُ من تلك العصابة. فأَكْرَمُوه ، و توجَّهُوا به إلى أحد كبار تُجَّار بغداد، فأكرمه ، و عرض عليه المبيت في إحدى البيوت، التي يختارُ منها ما هو موضوع عليه. و هنا يبلغ التأزُّم دروته، لما يُصرُّ علي المصري على المبيت في مكان ، ما إِنْ دَخَلَ فيه أحد ، إلاَّ و أصبح ميِّتاً.

و إصراره على المبيت فيه ، كان رغبةً منه في الإنقطاع على المعاناة ، الّتي جرَّها على نفسه.

و بعد قيامه بواجبه تجاه الله ، بالوضع و الصلاة ، و هو يتأمل في ملاحة و عِظم البيت ، يُناديه صوتٌ مجهول.

و في هذه الأثناء ، يتبدّد مشهد التأزُّم ، و ينفكُّ في لحظة طارئة ، كادت أن تكون نهاية البطل ، و لكنّها كانت لحظة انفراج ، ستُطلُّ على مشاهدَ اليُّسر و الحلول. تُجسِّدُها ملفوظات تحكي صور اللّوحة النّهائية للقصة.

فيظهر لهُ جنيٌّ ، و يُفْدِقُ عليه ، الكثير من الذّهب ، و يُخْبِرُه أنَّ لَهُ المزيد من ذلك ، في بلاد اليمن.

ثمّ يطلب الجني من علي المصري أن يُعْتِقَهُ. فاشترط عليه الرجل ، أن يُحضر إليه زوجته و أولاده من بلاد مصر إلى بغداد ، و معهم كتر اليمن بعد ثلاثة أيام.

ثم تطالعنا مشاهد أخرى عن فرحة التّاجر الّذي أكرمه بنجاته ، و بقائهِ حيّاً ، بعد مبيته في البيت المسكون من الجان، فيمنحُه عبيداً ، و جواري ، و أَفرش لَهُ البيت ... و ينفرج الوضع أكثر ، فتأتيه الجنيّ و يُخبره بقدوم ما ينتظره، ثمّ يُكرم الجني و ينال العتق.

زيادة التُّجار في إكرام علي المصري ، فأجزلوا عليه الكثير من أصناف الهدايا.

ثمّ يلتقي علي بزوجته ، فيتسامران. فتبدأ الحديث له عن حالة الشفاء التي عاشها و أولادها. و كيف صارت طائرة في الهواء بإرادة الجان. و كيف صارت في أعلى و أبْهى حلّه ، الّتي أهداها لها مقدّم القافلة (الجني)، و هو يُعطيها مفتاح الصندوق ، الّذي يحتوي على مفاتيح كلّ الصناديق ، و كلّ هذه

المفاتيح لصناديق بها كنوز متباينة ، و تسترسل مشاهد متتالية ، كلّها معبّرة عن المزيد من الإنفراج في حياة علي المصري ، في ملفوظات سردية ، تستغرق فقرات.

ثمّ نرى عودة إلى المسامرة. و حكي الزوج علي لزوجته عن رحلة سفره ، و ما تخللها من أحداث.

و ما حصّل مع علي المصري في الختام هو تحقق دعوة أبيه له قبل موته ، بالفرج القريب ، و وصية الزوجة له ، بالتّمسك بوصية أبيه ، و بطاعة الله ، و تتبع سنّة رسول الله ، و الإبتعاد عن أقران السود.

ثمّ يبعث ملك بغداد بطلب لقائه ، فيهديه علي من الجواهري النفسية، الّتي لا مثيل لها عند التُّجار ، و لا حتّى عند الملوك. كما يرغب الملك في تزويجه لابنته ، ثم يخلعُ عليه منصب الوزارة ، ثمّ يجعل علي من ابنه الشاب هو من يكون زوجا لابنة الملك.

ثمّ نلحظ في السريات الأخيرة من اللوحة النهائية للقصة ، فرحة علي و زوجته كما كان إليه حالهما ، و عاشوا عيشةً هنيئة ، و لا يزال هذا مستمراً بمبايعة ابنهما ملكا لبغداد ، بعد وفاة ملك الزمان ، الذي أوصاه بتقوى الله ، و العدل و الإحسان.

و توارث الملك ثلاثة من أولاده ، و عاشوا في أحسن الأحوال إلى أن فارقوا الحياة.

تتخلّل أحداث القصة شخصية بارزة هي ابن التاجر : علي المصري و عامل الجنّ.

و نلحظ في شخص البطل سمات متناقضة ، تتباين و تتأرجح بين الجانب الإيجابي ، و المتمثل في : الطاعة و الإلتزام بحدُودِ الله ، و عدم الخروج عن معصيته ، و ما ينجرُّ عن ذلك من راحة و طُمأنينة ، و مكافأة الله بالعيش الهنيء.

و الجانب السلبي في العصيان و التَّمرُّد عن النّصيحة ، و تطاول على حُدُود الله و أوامره ، و ما ينجر عن ذلك من تعاسة و شقاء ، لا حدودَ لهُ.

و القصة تحمل لنا تجسيداً لحالتين متصادتين ، تتضارع في الذات الواحدة: الطاعة و العصيان.

المسار السردي لمتن القصة الإفتتاحية

يتكون المسار السردي من ثلاثة مقاطع سردية كبرى

ملخص الجمل السردية	الوظائف	أصناف المقاطع	المقطع

– وفاة الأب و تركه لثروة طائلة لآبنه علي – عجم عمل لإبن بوصية أبيه – حصول افتقار بعد غنى – خروج لابن في سفر طلباً الثروة و الاستقرار.	وفاة خيانة و تمرّد افتقار خروج	إضطراب تحوّل حل	1
– مباعثة قطاع الطرق لقافلة التّجار المتجه إلى بغداد. – تحايل لآبن علي حراس أبواب بغداد ، و إيهامهم بأنّه تاجر غنى فقد ثروته بعد إغارة قطاع الطرق. دخوله بغداد و ضيافة كبار التّجار له.	تهديد تحايل انفراج	اضطراب تحوّل حلّ	2
– مبيت لابن ببيت يقطنه الجان الّذي يقتل كلّ من يبيت فيه من الإنس – اغداق الجنيَّ على التاجر جزيل العطايا. – مقايضة لابن الجنيّ بإحضاره كتر اليمن ، و أولاده بمصر إلى بغداد ، مقابل العتق. – إستقرار الحال و الغنى و الروقي الإجتماعي. – حصول دعوة الأب لابنه بالعزج و العمل بوصية الوالد.	مخاطرة إنفراج مقايضة القضاء على الإنتقار	إضطراب تحوّل حلّ	3

و يمكن تمثيل المسار الخطي للمقاطع الثلاثة كالآتي :

وف – من – ت – ج

فالقصة تتمفصل لثلاثة مقاطع ، تتخلله عدّة وضعيات في الإضطراب و في التّحَوُّل و في الحلّ.

المحتوى الغرضي للقصة :

أ. ذلك أن للقصة هواجس نفسية منبعثة من النفس الأمارة بالسوء ← و سوسة إبليس ← الوقوع في العصيان ← الفقر ← عقاب الله على تمردّه على حدوده.

ب. رضا الوالد و الدعوة الصالحة ، كان لها أثر في حصول انفراج للابن.

كنوز عفريت (قوة مجهولة) ← إرادة الله ،

و مكافأته للابن على طاعة ← الهناء و السعادة و الغني

المربع السيميائي :

تنتظم البنية الأساسية للتدليل في شكل النموذج التأسيسي الآتي :

العصيـــــان — اللوحـــة الإفتتاحية — **الغنى و الرفعـــة**

الفقر و المهانة — اللوحـــة النهائيـــة — **الطـــــاعـــة**

و تتمحور الخصائص الشكلية لبنية المربع السيميائي في هذه الترسيمات الدلالية التي تمتد على مستوى التناقض و التضاد ، و ذلك وفقاً لعلائق الإستلزام.

العصيـــــان ـــــ عكس ← الطاعـــــة.

الفقر و المهانة ـــــ عكس ← الغنى و الرفعة.

فالتركيب السردي للقصة تتمحور في مقطعين رئيسيين كما هو موضع في هذا النموذج :

- إنّ خيانة الولد لوصية أبيه أوقعه في المعصية، و إرتكاب المحرمات ، فكان جزاؤه الوقوع في الفقر و الحوز ، و تنكر أقرانه له ، و امتناعهم عن مساعدته.

- تفطن الولد لأحواله ، و إنابته إلى الله ، و توطيه صلته به ، فكافأه الله بكثير من الكنوز و يمثل هذا الجانب تلك القوة المجهولة. و تقلده في النهاية لأعلى منصب و العيش في غنى و طمأنينة.

الترسيمات العاملية في القصة

الذات و الموضوع

الذات : علي المصري

الموضوع : السعادة و رغد العيش.

إنّ علاقة الذات علي المصري بالموضوع (حياة الترف و السّعادة) علاقة فصلية تستلزم علاقة أخرى و هي علاقة فصلية عن الوضع الحالي ، الفقر و العوز. (ف ن م)

فقبل الإتصال بالوضع الحلم (لحظة الإنفراج) لا بُدَّ أن يمر على لحظات أخرى من الإنفصال على الوضع البدئي ، الذي يُمثّل خانة إيعاز. و يُمثّل هذا الوضع مجموعة من الأحوال التي هي نتاج فعل خائن ، متفرّد و عاصٍ ، غير مكترث بالعواقب ، التي مست أطرافاً أُخرى ، وجة البطل و أبنائه.

و هو الموقف يتّصل بمحفزات الحاجة و الطلب ، و وجود امتناع عن المساعدة من أطراف أخراة. و يُقرُّ بهذا الحال ، فقرات سردية جاءت لتُدّعم الوضع المزري الذي آل إليه ابن التاجر حسن الجوهري.

و يُعدُّ هذا حافزاً قويّاً ، دفع البطل علي المصري إلى إمتطاء برنامجاً معيّناً. ز هو التوجّه إلى السّفر بحثاً عن حل لملامسة الموضوع كما يظهر في هذا المقطع من السرد : ... إنّ عليا خَرَج و لم يعرف أين يقصد ، و ما زال ماشياً حتى وصل إلى بولاق ...

و هنا يطفو موضوعاً آخر صيغي (السفر) ، الذي يسبق الموضوع المركزي (تبدُّل الحال).

فرغبة الذات في الموضوع المركزي ، و ليس في الموضوع الصيفي (السفر) ، لأن القيمة تتّجه إلى الموضوع المركزي.

و تتلخص القواعد المنظمة لسرديات الحكي في ثلاث محطات :

1- الفرضية : عنصر الرغبة في إجاد حلٍّ.

2- التَّجيّين : البحث عن طريقة يُجسد بها الرغبة.

3- الغائية : و هي النتاج الذي تؤول إليه الفرضية.

و غائية ابن التّاجر ، فتتصل بمحور آخر غير الّذي خُطط له ، و هو محوّر السَّفر ، و بالتالي فالغائية مَرْهُونة بإمتطاط محور السَّفر (بولاق و دمياط و الشّام ثمّ بغداد) الذي يتعارض مع القيمة في هذه الترسيمة ، لأنّه مُجرَّد أداة و وسيلة لتحيّين الغائية ، كما هو موضح في هذا التمفصل.

الفرضية ← التحنين ← الغائية.

تبدل الحال ← ركوب السفر ← الراحة و العيش السعيد.

و ستفترض المرحلة الغائية جملة من الضدية و المتناقضات فينتج عن ذلك تأزم و خلل في التّوازن ، و يتجسد ذلك في تلك الرحلات المستمرة و الممتدة من بولاق إلى دمياط إلى الشام ، ثمّ تتجسد كذلك بشكل طارئ من ذات عفوية ، تكون وراء برنامج سردي لعرقلة مخطط البَطل في الوصول إلى بغداد. و تتجلى هذه المعارضة العفوية في ظهور عصابة قطاع الطرق ، و يُمثّل هذا الطارئ المقطع السردي التالي :

... فَطلع على القافلة جماعة من قطاع الطريق، فأخذوا كامل ما معهم و هم ينجُ منهم إلاّ القليل.

و يؤدي هذا الإنجاز المفاجئ إلى تصعيد الموقف ، لدى البَطل ، الذي ينجو بأعجوبة من هذه الإغارة ، التي أسهمت في اضمحلال الآداة ، و جعل الغائية هدفاً بعيد المنال.

فالعوامل الخارجية لذوات جانبية تطرأ فجأة على الذات البطل ، فتعرقل مساره. و هذا يعني الإستمرار في الوضع البديء (العوز و الفقر و الحاجة) الذي يتسم باللاتوازن بالعودة إلى الفقر من جديد.

إنّ عامل المعارضة سيسهم في بلورة الأحداث، حيث سيسعى علي المصري إلى ركوب برنامج الحيلة و التدبُّر ، لتعزيز مسعاه في تحقيق الموضوع الفرضي.

و المقطع السردي المفاجئ يُعدّ فشلا للبطل.

و نتاج سلبي للأفعال التحويلية.

المرســـــل ←	**المــوضــوع** ←	**المرسل إليه**
الحاجـــة	الغنى و السعـــادة	ابن التاجر
و الطلب		علي المصري

المســـــان ←	**الـــــذات** ←	**المعــارض**
دعوة لآب لابنه	علي المصـــــري	الأصحـــاب
أصحاب والده		المتنكـــرون
من تجار مصر.		قطاع الطرق.
كبار تجار بغداد		
العفـــــريت		

و تتكوّن هذه الترسيمة العاملية من ثلاثة أزواج.

(مرسل / مرسل إليه) و (ذات / موضوع) و (مساند / مضاد).

أ. مزدوجة (المرسل – المرسل إليه).

إنّ وضع الفقر الذي آل إليه التاجر و أبناؤه ، جراء عدم العمل بالوصية، و معاشرة أصحاب السوء ، دفع البطل إلى السعي في إيجاد حل.

ب. الذات و الموضوع

إنَّ علاقة الذات بالموضوع هي علاقة رغبة ، و المقاطع السردية الأولى للقصة ، حرّك أحداثها فاعل إجرائي واحد. و تمثل في ذات علي المصري. و ما إن يئس من مساعيه في البحث عن محزج.

راح يُجازف بحياته ، و هو يأمل رغبة سلبية تكمن في الموت ، باعتباره حلاً لأنّهُ وقف للمعاناة.

و في خضم هذا التّحوُّل النَّقيض يظهر بطل ثانٍ يُحرِّكُ الأحداث في إتجاه إيجابي يُساعِد على تحقيق الغائية المجسدة في موضوع القيمة. فتتشكل برامج تحرّكها قوى العفريت. فينفك التَّعقيد ، و تُنقد الذات التي تدرك الموضوع.

ج- المساندة و المعارضة

إنّ الأمر هنا يتعلّق بوضعية الذات أمام عنصرين متصارعين في وضعية مخالفة، يمكن إذا أن نستخرج نوعين من الوظائف المختلفة.

1. كانت الذاتلابن الفاعل الوحيد ، الذي يحاولُ تحقيق تحولات تُساعدُه على تحقيق الموضوع المركزي. لكن ستظهر دوات غائبة مساندة تمثلت في فاعل الجنيّ ، و قدرته على تحريك الأحداث لصالح الذات ، و كانت من وراء هذه القوة المجهولة ، ذات أخرى غائبة و هي قدرة الله التي تقوق قدرة هذه الذوات التي تحمل دلالات مساندة.

كما نَجِدُ عناصر أخرى مساندة تمثلت في مُوازرة أصحاب والده له، من تجار مصر و الشام ، و كبار تجار بغداد.

2. أمّا عن عنصر المعارضة عقد أسهم في القيام بدوره ذوات تمثلت في رفقاء السوء الذين استزفوا أموال الإبن ، ثم أعرضوا عنه و رفضوا الأخذ بيده. ثمّ تجسدت بعد سير الأحداث في ذات عارضة معرقلة مثل دورها قطاع الطرق الذين باغتوا القافلة على أبواب بغداد.

المسار السردي للوضعية الختامية :

و ترتكز الوضعية الختامية للقصة على لحظات سردية ، تمثلت في تلك اللّحظة المجازفة التي قام بها علي المصري (الإبن) ، و هو يلج بيتاً يسكنه الجنيّ الّذي كان يقتل كُلَّ من يبيت فيه.

تلتها سرديات أخرى صوّرت إعطاء الجني الذهب للابن ، و هذه مكافأة الله على رجوع الولد إلى الهداية.

و تحقق دعوة الوالد لولده قبل وفاية ، بالفرج القريب إن أصابته لحرية ، أو وقع في مشقةٍ.

و توالت تلك المشاهد السردية ، التي تحمل لحظات الإنفراج و السعادة، و في التحاق زوجته و ابنائه به و يصير من أغنى تجار المدينة.

و تنتهي الحكاية بوظيفة ختامية ، تمثلت في تقلده مترلة عالية في قصر الملك، و زواج إبنه بإبنة الملك.

تنظيم المحتوى الغرضي للوضعيتين الإفتتاحية و الختامية في الحكاية الإطار :

النموذج الدلالي :

ابن ضـــال عـــاص الشقاء و الفقر و الحـــــاجة

ابن مهتدٍ و طائـــع الطمأنينة و رغد العيش

إنّ الطرفي العلويين قد جسدته ستُّ فقرات من اللوحة الإفتتاحية للقصة.

في حين يشكل المحور السفلي الكثير من الفقرات عن اللوحة الختامية. و هي تُسجل هذا الوضع الذي شمل أمّه و أبناء ابنه لفترة من الزمن.

فالدلالة التأسيسية ، التي قامت عليها فقرات اللوحة الإفتتاحية و الختامية، تقوم على مقولتين دلاليتين متناقضتين.

الطاعـــة ≠ العصيـــان / السعادة ≠ الشقـــــاء

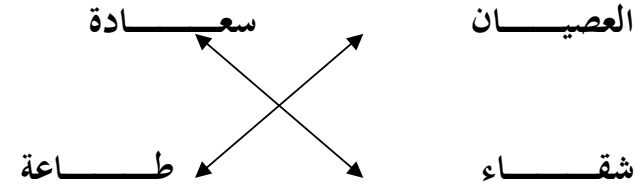

إنّ التركيب القاعدي لمعنى القصة المسارين الغرضيين التاليين ، بالاعتماد على العلاقات الموضعة في هذه الترسيمة.

– عدم الإمتثال لطاعة الأب ، و العمل بوصيته ، و طاعة الله ، و اتّباع سنّة رسوله عليه الصلاة و السلام ، يقود إلى التّهلكة و الشقاء و ركوب أهوال من المعاناة.

– الإنابة إلى العمل بوصية الوالد في طاعة الله ، و الإبتعاد عن المحرّمات يُطفي على الحياة السعادة و الطمأنينة.

الأدوار الغرضية :

تُجسد المقاطع السردية للقصة أدوارا تتعلّق بعلاقة الفرد بأسرته ، و أخرى تتعلّق بعلاقته بربّه.

القطب الدّلالي المتمثل في التمرّد و العصيان ، أدى دوره الإبن علي المصري، و غلبة الجانب السلي في شخصيته ، الذي كان يملي عليه الرغبة في التمرّد و العصيان ، و الوقوع في الشبهات و الإمتثال لوسوسة الشيطان.

أمّا القطب الدلالي المعاكس ، فيتمثل في الطاعة و الهدى و الإستقامة ، و مثّل دوره والد علي المصري و وصيته لابنه على وفاته. وَ زوجة الإبن التي ظلت تذكّر زوجها بضرورة التمسك بفحوى الوصية.

و هو دور يُجسِّد فيما أخلاقية عالية ، ما إن تحلى بها المرء ، توطدت علاقته بالله ، و فاز الفوز العظيم.

ق.د.1 – ساهم في خرق القيم ، و ما يصل به المرء ربّه.

ق.د.2. – ساهم في بث هذه القيم ، و تجديد العلاقة بالله،
و التشبث بسنة رسوله الكريم.

المصادر و المراجع المعتمدة في التحليل السيميائي للقصة :

– المصادر

1. ألف ليلة و ليلة – مؤسسة المختار للنشر و التوزيع – ط 2 – 1431هـ - 2010 م- الجزء الأوّل.

- المراجع

1. المسار السردي و تنظيم المحتوى . د. عبد الحميد بورايو – دار السبل للنشر و التوزيع – وزارة الثقافة – (د ط) .2008.

2. الإشتغال العاملي. السعيد بوطاجين – منشورات الإختلاف – الجزائر – (دط) (دت).

3. مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية. بوزيق كورتيس – ترجمة : د. جمال حضري – منشورات الإختلاف – الجزائر – ط 1 – 2007.

الخـــــاتمـــــة

و من خلال ما سبق ، نصل إلى أنّ المفاهيم الحداثية التي تملأ ساحة النقد و الأدب ، ما هي إلاّ تحوير ، و إعادة تركيب كما كان سائداً في التراث العربي.

فما يكتب عن التناص في زماننا ، ما هو إلاّ مفهوم آخر كما تناقش فيه الجرجاني ، و غيّره عن الأخذ الأدبي.

و قضية الدّال و المدلول ، كذلك ما هي إلاّ صورة تقابلية لقضية اللفظ و المعنى ، الذي بثّ فيها الجرجاني الرأي الفصل.

و ما السيميائية كذلك إلاّ ترجمة لبعض المفاهيم البلاغية التي كانت سائدة في الدراسات البلاغية.

و ما ورد في دلائل الإعجاز عن معنى المعنى في القرن الخامس للهجرة، ليس إلاّ البراقماتية و التداولية التي تعني بمفهومها السيميائي ، الذي لا يزال غير واضح في الأذهان ، أو ما أسموه بالمسكوت عنه في الكلام ، أو مقولات الغياب أو الخطاب المسنّن ، و من الأسلوبية إلاّ وجه آخر لما كان سائداً في بحوث المعاني و البديع في البلاغة العربية.

و ما كان يطلق عليه بالعدول في البلاغة العربية ، ليس إلاّ الإنزياح بالمصطلح السيميائي أو الإنحراف أو الفجوة.

و كلّ هذه المفاهيم ستُشكل عناصر متكاملة فيما بينها ، تخضع لمستويات متعدّدة في نظام متعدّد الوظائف ، يتّجه بالنّقد من الكشف عن المعنى إلى فهم الكيفية التي أنتجت المعنى ، فلا يكون المقصود الدّلالة بل طريقة الدّلالة.

كما أن المنهج اللغوي ، الذي أقام عليه الجرجاني فلسفته اللغوية ، قد أقرَّ بكثير من خصائص الصياغة اللغوية. فالنظم و السياق ، و معاني النحو و الاستخدام المجازي ... كلّها أدوات جيء بها لخدمة المعنى ، الذي يجعل من لغة الأدب لغة نوعية، تميّزها مجموع العلاقات ، و الروابط ، التي تحكم أجزاء العمل و عباراته.

و الجاحظ كان قبله قد اهتدى إلى قيمة الربط و التناسق بين ألفاظ التراكيب ، فعنى بطبيعة المفردات و مكوناتها ، و تمعَّن في ضوابطها ، و علائقها، فميّز في ضوئها بين القيم و الفوارق في مستويات الآداء اللّغوي.

و في ظلّ هذه النظرية التي ترتكز على أهمية المدلولات ، التي تشكلّها الاستخدامات البيانية تكوّن النقد ، الذي يحمل الملامح السيميائية التي ينتقل فيها المعنى ، مكونا سلسلة علامية تستدعي إحضار جملة من المعاني الإضافية و الدّلالات الثائية المقابلة للتجديد و الإثراء مع كلّ حدث قرائي.

ثمّ جاء علماء العرب ، فبنوا نظرياتهم على ما انتهى إليه علماؤنا ، فركزوا على أهمية المعنى و الإجراءات اللغوية لأدائه.

قائمة المراجع :

1- إبراهيم أنيس "دلالة الألفاظ" – مكتبة الأنجلو مصرية – ط 6 – 1991.

2-إبراهيم خليل "في اللّسانيات و نحو النّص – دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة – (دط) – 2007.

3- أحمد أمين "فجر الإسلام" دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط 10 – 1969.

4-أحمد حسن الزيات و آخرون "المعجم الوسيط" – إشراف عبد السلام هارون – المكتبة العلمية – مجمع اللغة العربية – القاهرة (دط) – (دت) – الجزء الأوّل.

5-أحمد عبد الغفار – التفسير و النص.مطبعة الاسكندرية-(دط)-(دت).

6-أحمد مختار عمر "علم الدّلالة" – مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع – ط1 – 1982.

7- أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البدير اشراف :صدقي محمد جليل دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع-بيروت لبنان-ط1-2006

8-أحمد الوردني أصول النظرية النقدية-دار الكتاب الجديد-بيروت لبنان-2006

9-أمين يوسف عودة تأويل الشعر و فلسفته-عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع- ط1-2008

10- البازغي و الرويلي : "دليل الناقد الأدبي" - ط 3 – (دت).

11- بول ريكور من النّص إلى الفعل "أبحاث التأويل" – ترجمة : محمد براءة و حسن بورقية – عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية – الهرم – القاهرة – (دط) – 2001.

12- تامرسلوم "نظرية اللغة و الجمال" دار الحوار للنشر و التوزيع – سورية – (دط) – 1983.

13- تمام حسان اللغة العربية معناها و مبناها – الهيئة المصرية القامة للكتاب – (دط) – 1973.

14- جبران مسعود "معجم الرائد" دار العلم للملايين – بيروت – ط 1 – 1964

15- جوزيف كورتيس : "مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية" - ترجمة جمال حضري – منشورات الإختلاف – الجزائر – ط 1 – 2007.

16-جوليا كريستيفا.علم النص.دار توبقال للنشر-ط1-1991

17-جون كوهين النظرية الشعرية.بناء لغة الشعر.ترجمة أحمد درويش.دار الغرب للطباعة و النشر و التوزيع- القاهرة-(دط)-2008

18-جيرارد دولودال.-السميائياتو نظرية العلامة-ترجمة عبد الرحمانبوعلي-دار الحوار للنشر و التوزيع اللادقية-سوريا-ط1-2004

19- حسين سعيد : "الموسوعة الثقافية" دار المعرفة – مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر – القاهرة (دط) – 1972.

20- حميد لحميداني : "القراءة و توليد الدلالة – المركز الثقافي العربي – الدّار البيضاء – ط 1 – 2003.

21- حميد ادم تويني : النقد العربي عند العرب – ط1-2004.

22- خوش جار دزهيبي : الثنائية المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني – دار دجلة – الأردن – ط1 -2008.

23- دي سوسير : "دروس في الألسنية العامة" – ترجمة : صالح الفرماو و غيره – الدّار العربية للكتاب – (دط) – 1985.

24- روبرت شولز – السيمياء و التأويل ، ترجمة : سعيد الغانمي – المؤسسة العربية للدراسة و النشر- (دط) (دت).

25- رولان بارت : "مبادئ في علم الأدلة" – ترجمة : محمد البكري : الدّار البيضاء – المغرب – (دط) – 1986.

26- رولان بارت : المغامرة السيميولوجية – ترجمة : عبد الرحيم حزل – مراكش – ط 1 – 1993.

27- رابح بحوش :لسانيات و تطبيقات على الخطاب الشعري – جامعة عالم الكتب الحديث – عمان – الأردن (د.ط)- 2007.

28- رابح بحوش : اللسانيات و تحليل النصوص – جامعة عالم الكتب الحديث – عمان – الأردن - (د.ط)- 2007.

29- رضوان محمد حسين النجار : "دراسات في الأدب الجاهلي و أدب صدر الإسلام" – مطبعة برصالي – تلمسان – الجزائر – ط 2 – 2009.

30- روني ويلك وراستن وارين : "نظرية الأدب" – ترجمة : محيي الدين صبحي – المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب الإجتماعية – ط 3 – (دت).

31- أبو زيد نصر حامد : النص ، السلطة – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط.1-1995 .
32- سامع الرواشدة : "إشكالية التلقي و التأويل" جامعة مؤته – عمان – الأردن – ط 1 – 2001.
33- سامع الرواشدة : "إشكالية التلقي و التأويل" جمعية عمال المطابع التعاونية – عمان – الأردن-
34- سعيد بوطاجين : "الإشتغال العاملي" – منشورات الإختلاف – الجزائر – مطبعة دار هومة (دط) (دت).
35- السيد أحمد عبد الغفار – "ظاهرة التأويل و صلّتها باللغة" – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية– (دط) – (دت).
36- شكر محمود عبد الله : الفصل و الوصل في القران الكريم – دار دجلة-ط-2009 .
37- شكري المبخوت : الاستدلال البلاغي – دار المعرفة و النشر – كلية الأدب و الفنون – تونس – ط1- 2006.
38- شوقي ضيف : " البلاغة تطور و تاريخ" دار المعارف – مصر (دط) – (دت).
39- صفية مطهري : "الدلالة الإيحائية للصيغة الأفرادية" - طبعة إتحاد الكتاب العرب – دمشق – 2003.
40- عبد الجليل مرتاض : "دراسة سيميائية و دلالية في الرواية و التراث" – الأبيار – الجزائر - (دط) – 2004.
41- عبد العزيز عتيق ، علم المعاني - بدار الآفاق العربية – القاهرة –مصر -– ط1-2006 .
42- عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة و التفكير – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط 4 – 1998.
43- عبد الله إبراهيم و آخرون : السيميائية و أصولها و قواعدها – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط - 1990.
44- عبد الحميد بورايو : "المسار السردي و تنظيم المحتوى" – دار السبيل للنشر و التوزيع - (دط) – 2008.
45- عبد الرحمن الحاج صالح : "بحوث و دراسات في اللّسانيات العربية"– الجزائر - (دط) – 2007 – الجزء الأوّل و الثاني.

46- عادل فاخوري : تيارات في السيمياء ، دار الطليعة للطباعة و النشر – بيروت – لبنان – ط – 1990 .
47- عثمان سليمان : "في النقد العربي القديم" – دار المعرفة الجامعية (دط) – (دت).
48- علي أحمد سعيد " الشعرية العربية " : (دط) – 1984 .
49- عمارة ناصر : "اللغة و التأويل" منشورات الإختلاف – ط 1 – 2007.
50- فانسان جوق "رولان بارت و الأدب" – ترجمة محمد سويرتي – افرقيا الشرق – ط 1 – 1994.
51- فتحي أحمد عامر "من قضايا التراث العربي (النقد و الناقد) – منشأة المعارف – الاسكندرية (دط) – (دت).

52- كريم حسين ناصح الخالدي : "نظرية المعنى في الدّراسات النحوية" دار صفاء للنشر و التوزيع – عمّان – ط 1 – 2006.
53- مبارك حنون : دروس في السيميائيات – الدار البيضاء . المغرب – ط- 1987.
54- محمد بازي :التأويلية العربية – منشورات الاختلاف – ط1-2010.
55- محمد زكي العشماوي : "قضايا النقد بين القديم و الحديث" دار النهضة العربية – بيروت – (دط) – 1990.
56- محمد شفيق غربال : "الموسوعة العربية الميسرة" - دار القلم – مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر – بيروت - (دط) – (دت).
57- محمد عباس : "الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني" دار الفكر – دمشق – سورية – ط 1 – 1999.
58- محمد عكاشة : التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة – دار النشر للجامعات – مصر – ط1- 2005 .
59- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب – داؤ النهضة – مصر – القاهرة -(د.ط) ، (د.ت).
60- محمد رضا : "معجم متن اللغة" موسوعة لغوية حديثة – دار مكتبة الحياة – بيروت – (دط) – 1969.

61- – محمد سالم سعد الله : "مملكة النص" عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع – ط 1 – 2007.
62- مختار عطية : التقديم و التأخير – مطبعة الإسكندرية –(د.ط) ، (د.ت).
63- مصطفى السعدني : "إستطيقا الإشارة" منشأة المعارف – الإسكندرية – مصر - (دط) – 1994.
64- معن زيادة "الموسوعة الفلسفية العربية" معهد الأنماء العربي – بيروت - (دط) – 1978 – الجزء الثاني.
65- محمد ثابت الفندي و آخرون : "دائرة المعارف الإسلامية" – منشورات جهان – طهران - (دط) – (دت) – الجزء الثالث عشر.
66- مندر عياشي : هسهسة اللغة ، رولان بارت ، مركز الانماء الحضاري – حلب – ط1- 1999.
67- نصر حامد أبو زيد : "إشكالية القراءة و آليات التأويل" – المركز الثقافي العربي – ط 2 – 1992.
68- نصر حامد أبو زيد : النص السلطة الحقيقة – المركز الثقافي العربي – الدّار البيضاء – ط 2 – 1997.
69- نواري سعودي ابو زيد : الدليل النظري غي علم الدلالة – دار الهدى – عين المليلة – الجزائر - (دط)-2007.

الدواوين الشعرية :

1- ديوان امرئ القيس – دار صادر – بيروت – دط، دت –

2- ديوان البحتري – ايليا الحاوي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت – لبنان – ط1- 1996.

3- ديوان النابغة الدبياني ، تحقيق و شرح : كرم البستاني – دار صادر – بيروت – دط، دت -

4- ديوان المتنبي – دار صادر –بيروت – لبنان – ط3-2003.

5- ديوان جرير – دار صادر – بيروت – ط2-2005.

6- ديوان الأعشى الكبير – تحقيق و تعليق محمد حسين – بيروت – دط-1968 .

7- ديوان أبي تمام – شرح الخطيب التبريزي – دط،دت –

8- ديوان أبي الطيب المتنبي – شرح أبو البقاء العدكري ، تبيان في شرح الديوان – منشورة محمد علي بيدون –دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الجزء الثالث

9- ديوان أبي العتاهية –دار صادر – بيروت – لبنان .

10- ديوان أبي العتاهية- محمد علي بيدون – دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان – ط4 – 2004 .

11- ديوان ابي نواس – دار صادر – بيروت دط، دت –

12- ديوان ابن الرومي – دار صادر – بيروت – لبنان .

المراجع الأجنبية في لغتها الأصل

1- Crispeau « L'hermémentique et la philosophie »
Encyclopédie philosophique universelle. Tome (IV)
P.U.E. Parisn 1988.
2- Derrida Jaques « de la grammatologie »
Edit Minuit, Paris 1967.
3- Gadamer Hans George : « L'art de comprendre »
Traduction : Pierre Fruchon et autres, Edit. Aubier Paris 1991.
4- Groupe d'entre Vernes « Analyse sémiotique des textes : Introduction – théorie – pratique » Edit Press universitaires de Lyon, 1984.

5- Sémiotique : Dictionnaire raisonné de la théorie du langage. A.J. Greimas, J. Courtés. France 2003.
Editions du seuil 1971 – 1978.
6- Maris Anne Paveau : George – Elia Sarfati
Les grandes théories de linguistique.
De la grammaire comparée à la pragmatique, France 2003.
7- Tevetan Todorov poétique de la prose choix, suivi de nouvelles recherches sur le récit.

المجلات :

- مجلة سيميائيات – جامعة وهران – الجزائر – العدد : 02 – 2006.
- مجلة دراسات أدبية و ليسانية – المغرب – العدد 03 – 1986.
- مجلة كتاب الرياض – الرياض السعودية – العدد : 47 – أكتوبر 1997.
- مجلة الفكر العربي المعاصر – العدد 18 – 19 : 1982.
- مجلة الفكر العربي المعاصر – العدد 30 – 31 : 1984.
- مجلة أيقونات – منشورات رابطات سيما للبحوت السميائية – الجزائر : العدد1 – 2006.

That mots of the specialized scientific research and modern concepts that fill the yard and Monetary literature is nothing but formulas translated, what was prevalent in the Arab heritage of the term intertextuality, and the issue of the signifier and the signified, and the term semiotics, displacement and others.
Which are common elements together in a linguistic system multifunctional. Moving cash from disclosing meaning. Shall be intended function method, but not as significant as that cohesion tools script. Recognizes text Bnasih and the value of the link between words and compositions vocabulary Alaúgaha .. Of linguistic theories that guided them Arab scientists. Bearing the features of semiotics, which moves meaning to Alamih series calls to bring additional meanings and connotations second and make the reader his creative feet enrich the meaning and extended its horizons

résumé

Que la plupart des recherches scientifiques spécialisées et des concepts modernes qui remplissent la cour et de la littérature monétaire n'est rien d'autre formules traduites, ce qui était très répandu dans l'héritage arabe de l'intertextualité terme, et la question du signifiant et du signifié, et la sémiotique terme, de déplacement et autres.
Quels sont les éléments communs ensemble dans un système linguistique multifonctionnel. Déplacement de trésorerie provenant de divulguer sens. Doit être destiné méthode de la fonction, mais pas aussi important que la cohésion des outils de ce script. Reconnaît Bnasih texte et la valeur du lien entre les mots et le vocabulaire Alaúgaha compositions .. Des théories linguistiques qui ont guidé les chercheurs arabes. Ayant les caractéristiques de la sémiotique, qui se déplace sens à la série Alamih appelle à apporter d'autres significations et connotations deuxième et inciter le lecteur à ses pieds créatifs enrichir le sens et étend ses horizons

ملخص

ان اغلب البحوث العلمية المتخصصة والمفاهيم الحداثية التي تملا ساحة النقد والأدب ماهي إلا صيغ مترجمة ،لما كان سائدا في تراثنا العربي لمصطلح التناص ،و قضية الدال و المدلول ،و مصطلح السيميائية و الانزياح و غيرها .

وهي عناصر تشترك مع بعضها في نظام لغوي متعدد الوظائف.تتجه بالنقد من الكشف عن المعنى .فيكون المقصود طريقة الدلالة،وليست الدلالة كما ان ادوات التماسك النصي.التي تقر بنصية النص وقيمة الربط بين الفاظ التراكيب ومفرداتها وعلائقها .. من النظريات اللغوية التي اهتدى اليها علماء العربية .والتي تحمل ملامح السيميائية ،التي ينتقل فيها المعنى الى سلسلة علامية يستدعي احضار المعاني الاضافية والدلالات الثانية وتجعل القارئ مبدعا له قدم اثراء المعنى وتمديد افاقه

ملخص أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ:

الظواهر السيميائية في النص الأدبي العباسي بين الأصالة والحداثة

من اعداد الطالبة : **حمدية زدام**

إشراف الأستاذ الدكتور: **رضوان محمد حسين النجار.**

تلخيص

إن للسيمائية مفاهيم، وأصول ابستيمولوجية، قاعدية، في دراسات القدامى، ذلك أن النظريات الحديثة، ومسائلها المتفرعة ,ما هي الا صيغة تشاكلية للثرات اللغوي و البلاغي و هو طرح, للقدامى فيه الفضل و المزية .

فالسيمياء (بكسر الميم) مصطلح عربي أصيل ,يضرب بجذوره في أعماق الثرات وكما ورد لفظ "السيما" و مشتقاته كثيرا في القران الكريم .

والسيميوطيقا ,تاخد معنى الإشارة و الرمز,...أي أن الأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث ,او الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى, وهذه الأنظمة هي نفسها اجزاء او نواح من الثقافة الإنسانية ‘فأقوالنا تحددها أنظمة و شفرات ,يشترك بها كل من ينتج و يفهم هده الأقوال .

وقد تناول الدارسون العرب إلى وضع أسس إجرائية لنظرية العلامات كتلك التي قام بها عبد المالك مرتاض و عبد الله الغدامي ,و عمارة ناصر، وغيرهم.....

وإذا ما حاولنا معرفة مفهوم السيميائية لدى هؤلاء .فاننا سنجد لديهم هم كذلك اختلافا كبيرا في تحديد هدا المفهوم و ذلك لانه ليس وقفا على حقل دون حقل و على جنس من العلم دون جنس آخر، دلك أنها جزء من مجال علم الطب ايضا .

وفي الدراسات اللغوية الأدبية، نركز بهدا المفهوم على السمات التي تتجسد و الألفاظ و الرموز , و الإشارات , و الأصوات و الألوان و الخطوط , و الأبعاد ....و انطلاقا من عرف معين أو قاعدة معينة مثل :دلالة اللون الأحمر ,على الخطر.

ومما لا شك فيه أن مجهود القدامى في المجال السيميولوجي ابتدا فعلا من ظاهرة التأويل للنص المروي سواء اكانت الراوية مكتوبة او شفوية

ويرتبط التأويل على أدق معانيه ,بتحديد المعاني اللغوية ,و العمل الإبداعي من خلال التحليل ,و إعادة صياغة المفردات و التركيب ,و التعليق عليه .فهو عملية توضيح مرامي العمل الفني ,باستخدام وسيلة اللغة .التي تهيئ الفروض الاحتمالية التي تعد أداتها أدوات سيميائية ,استعان بها القدامى على بيان تلك الإشارات وإظهار حقيقة القصد من ورائها و استكشاف ما يحجب على الافهام و ادا كان هذه دلالة التأويل .

فأن الهرمينوطيقا عملية أبعد وأشمل من مهمة التأويل.

فهي عملية فهم علاقات التركيب بعزل المدلول عن الدال عن طريق التأويل و التعليق و القضاء على الكتابة عن طريق الكتابة الأخرى التي هي القراءة و دلك بالتركيز على الغيابات الرمزية التي تؤلف النص من خلال علاقات داخلية تساهم في انتاج الرمز و إصدار العلامة , و تقديم الإشارة.

ولاشك ان هذه المفاهيم تمنح للمتلقي اهمية كمعطى ضروري في اعادة انتاج النص و ذلك بفضل العطاء الثقافي و الامكانات الفكرية التي يقدمها كآليات متاحة لاستخضار الغائب ,و سد الفجوات التي تتخلل تنايا النص .

ذلك ان معرفة قصد المنتج ليس بأمر ضروري في نظره ,فلأمر عنده هو ايجاد الاتصالات الممكنة للمعنى، و تبريرها اعتمادا على المنظومة اللغوية ,لان اللفظ يسير المعنى كثيرا.

وهكذا تصبح سيميائية التأويل قائمة على نظريات للقارئ النموذجي ,وتبدو القراءة في ظلها محاولة بحث عن صورة القارئ التي يريد تشكيلها عن النص وفقا للتضافر الحاصل بين البنية النصية الداخلية والعناصر السياقية الخارجية وغير اللغوية المحيلة على مرجعيات و أطر قبلية

ومزية السياق الداخلي من القضايا الهامة التي أولها عبد القاهر الجرجاني الاهتمام الكبير.

فالألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ,ويعم دبها الى وجه دون وجه في الترتيب و التركيب وهنا تبرز فكرة العلاقات بين الكلمات في ترتيبه التركيبي فكلما كانت العلاقة بين الكلمات محكمة النسيج متناسبة ,بلغ الأسلوب الشأو العظيم .الذي يصب في مصب الخلق والإبداع .

فاللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات و هذا هو المنهج اللغوي التطبيقي الذي سار عليه عبد القاهر الجرجاني، وقبله الجاحظ.

فهذه العلاقات لا تجمع بين ألفاظ التركيب و حسب بل تحقق على مستوى أصغر وحدة دلالية وهي الفونيم .

فقد تنبه القدامى الى أدق العلائق التي تحكم البنية الصوتية، فأدركوا أن الألفاظ أصوات محكها السمع. من خصائصها أن تكون مؤتلفة الحروف متباعدة المخارج أكثر ما تتحقق في الثلاثي وفي بعض الرباعي.

كما أدركوا بما يتصف به اللفظ وذلك من أهم الخصائص الجوهرية كعلاقة اللفظ بالمعنى إذ ينبغي حصول علاقة تناسب بنن الفعل ومعناه ,من حيث بنية الصيغة و دلالتها على المعنى الإفرادي لذات اللفظ.

فمثلا: صر (صوت الجندب) ثلاثي مضعف العين فتضعيف الراء الناشئ عن التشديد فيها ,ينتج عنه نوع من المط و الاستطالة ,ينشأ عنه سمة التكرارية التي تتسم بها الراء

كما التفت الخليل وسيبويه إلى أثر زيادة المبنى في زيادة المعنى والتفتا إلى الغرض من تلك الزيادة كما هو الشأن في التوكيد و المبالغة.

كما تطرق علماء اللغة إلى أهمية نظم الحروف و دلالات الأصوات التي يعطيها لها السياق و قد منح إبن جني للقضية العناية الكافية ,إذ أهم بدراسة الدلالة الصوتية للكلمة باعتبارها تركيب صوتيا له بنية و هيئة بعينها بحيث بحث في العلاقة بين طريقة تركيب الأحرف تلك الكلمة ومناسبة ذلك التركيب، وتلك الهيئة للمعنى الذي وضعت له الكلمة.

فالدلالات الفنية وليدة السياق وخليقته. فالحرف خارج النظم يحمل دلالات حينية، تتغير وتتبدل لما يلحق بسياق الحروف الأخرى المشكلة للفظ فيحصل تفاعل دائب بين السياق و التشكيل الصوتي .

وهذا الجانب الفونولوجي المتعلق بالبنية المفردة وما يناسبها من المعاني باب للقدامى الفضل الكبير فيه.

ومن الخصائص الأخرى التي تضاف إلى الصيغ الإفرادية دور المورفيم في تحويل الصيغة من المفرد إلى المثنى إلى الجمع كوجود الواو و النون و الألف والنون في حالة الرفع بالنسبة للجمع و المثنى .كما له دور و تحديد الفعل زمنيا.....

فالصوت شانه شان اللفظ في إبراز البعد الدلالي و ألقصدي للتركيب.

وتتبين ملامح السيميائية لدى الجاحظ من خلال أرائه حول شعر الشعراء، فلا يتتحقق معنى اللفظ إلا من خلال السياق الذي يخيره المبدع ليموضع لفظه في مكان المناسب، وفق قانون التطابق بين الصياغة أللفظية والمعنى، فلايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبه.

والوظيفة الأساسية لهذه السمات منوط حول الإبانة والفهم والإفهام.

وطريقة الجاحظ في التعامل مع النصوص تعد أساسا ومنطلقا أوليا لمنهج ظل متبعا إلى وقتنا الحاضر، رغم وجود إحداتيات التغيير ولزوميات التجديد فإننا نشهد أن الناقد العربي لا يزال مخلصا لعهود الجاحظ النقدية وهو يحاول اختزال الثراث والتقيد بأصوله وهو يتموج في هذا المد القوي من المناهج الدخيلة على الأدب العربي.

وتعد نظرية معنى المعنى مصطلحا مقاربا لمفهوم التأويلية ومجانبا لمفهوم الدلالة الثانية، وهي من الأمور الدهنية التي ترتكز على البؤر الدلالية التي تجعل من المعنى نواة لتوليد المعاني الأخرى، فالنص تأليف، وتأويله تأليف.

وللفظ والمعنى أهمية في بلورة نظرية معنى المعنى، وكان أول من تعرض لهذه الإشكالية سيبويه في الكتاب.

ويتناول الجاحظ القضية في إطار مشكلة اللفظ والمعنى، ويلامس إبن جني المسألة، لما يفاضل بين الألفاظ والمعنى ليأتي عبد القاهر الجرجاني، ويحسم القضية بالرأي الفصل.

إذ نرى المسألة على أنها علاقة بين الألفاظ بضها ببعض. فالجمال والبيان ليسا في اللفظ وحده، أو المعنى وحده، بل في اتحادهما معا، ذلك أن اللفظ موجود بوجود معناه، والمعنى بدوره يحتاج إلى ألفاظ تجسده وتقربه.

والمعاني أفكار وأغراض ومقاصد وهي الناتجة عن النظم وهي رؤية فنية في التعبير.

فالنظم هو ترتيب الألفاظ والمعاني معا، والتعليق والبناء بحسب قوانين النحو وكل لفظ يحمل طاقتين:

الأولى دلالية محددة

والثانية إيحائية بلا حدود.

فالدلالية تتمثل في المعنى الأولي للمعنى الظاهر للفظ، والإيحائية تتمثل في تعدد المعنى الناتج عن الرمز والمجاز ومن ثمة يصبح المفهوم الجديد للمعنى هو العلاقة بين اللغة والأفكار التي تولد تزايد المعاني ومعاني المعاني، وهذا هو مدار اهتمام الجرجاني وهو موضع الفن والجمال والبيان.

ولمصطلح معنى المعنى علاقة بمفهوم الكفاية اللغوية والكفاية التخاطبية وهاته أتى بها نعوم تشومسكي. إذ يتوقف فهم المتلقي على استنتاج المتكلم، ومدى ايمانه بالمؤثرات والأحداث المحيطة بالحدث، الذي يحتاج إلى قرائن تتخلل سياق المقال.

وهكذا تصبح قضية معنى المعنى مرادفا لما أسماه علماء الدلالة بمصطلح الإيحاء والدلالة الهامشية، أو المعنى الإنتاجي في مقابل المعنى الحرفي.

وللمتلقي الشأن في القيام بهذه العملية الفكرية، وتحقيق إستراتيجية ما بعد الفهم، كما يفضل أن يسميها بعض الباحثين المعاصرين.

ويأخذ رولان بارت بأراء الجرجاني ويركز على التجربة الدالة التي تقوم على كشف المغطى في الخطاب ورفض المعنى وصولا إلى لذة النص، الذي يتمتع بقوة انفجارية، ويرى في هاته المسألة أن الدليل شارحة إيحائية أو بصرية ذات وجهين، ما يشير إلى أن كل نظام دلائلي يحتوى على صعيد العبارة (ع) وصعيد المحتوى أو المضمون (ص)، وأن الدلالة تتطابق مع العلاقة (ق) الرابطة بين الصعيدين (ع- ق- ص).

فالصعيدين (صعيد العبارة والمحتوى) يتداخل ويتشابك أحدهما مع الآخر فيصبح النظام الأول (صعيد التقرير)ويشكل النظام الثاني صعيد التقرير (صعيد الإيحاء).

ويسمي بارت دوال الإيحاء بموحيات من أدلة (دوال ومدلولات مجتمعين) النظام المقرر.

ثم يركز على مكونات دوال النظام الثاني، في الدلالة الإيحائية ويراه تقوم على أدلة النظام الأول، وهي لغة اصطناعية ودلالة علمية وعملية، تتحمل على عاتقها لغة أولية باعتبار هاته الأخيرة نظاما ثانيا.

وتتجسد رؤية بارت في هذا الخضم في كتابات عدة، أهمها، كتابه: S/Z. وتعد آراءه تعزيزا لنظرية معنى المعنى أو المعنى السيميولوجي الإيحائي (Cannoté) فيرى أن لكل دليل إحداثيتان.

أولها ما يسميه بالإحداثية الرمزية، فلكل شيء خلفية مجازية تحيل على مدلول.

والإحداثية الثانية هي ما يسميه الإحداثية التضييقية أو الإحداثية الصنافية (الصنافة TAXINOMIE).

ويتحدد الإيحاء تحليليا عبر فضاءين:

فضاء متواليات، وهو عبارة عن تسلسل نظام، فضاء خاضع لتنامي الجمل التي يتناسب المعنى طوالها. وهذا هو الغرض من الآلية السيميولوجية ، التي لا تفترض وجود مدلول نهائي، مما يعني أن المدلولات هي دائما دوال بالنسبة لمدلولات أخرى، فأمام أي مركب لغوي سنجد أنفسنا بصدد سلاسل من مجازات لا تنتهي، يكون مدلولها دائما شاغرا، ويغدو بدوره دالا ... وهذه المدلولات اللانهائية هي التي تضع للأدب القوة الثالثة بحسب تعبير رولان بارت.

وهاته الطروحات تؤكد مدى تأثر بارت بنظرية معنى المعنى (Themeaning of meaning). وجهود عبد القاهر الجرجاني في هذا المجال.

كما نجد لجون كوهين فيضا من الأراء التي تصب في هذا المصاب، فيما يتعلق بنظرية التعليق التي عدها الجرجاني أساس النظم وهو تعلق فيما بين معاني الألفاظ لا فيما بينها كألفاظ.

ففعل القول هو المستوى الدلالي الدي تترتب فيه المعاني المجردة في نفس المتكلم، ومستوى التركيب وهو الذي تتعالق فيه المعاني حسب قواعد اللغة التركيبية، ثم البعد الصوتي حيث تتخذ تلك المعاني مدلولات أو ألفاظ من معجم النسق اللغوي وفعل الخطاب ثانيا، وهو يرتكز على عنصرين مهمين: عنصر الغرض الذي يرمي إليه المتكلم، وحجم التأثير الذي يتركه في المتلقي، ثم عنصر التضمنات، ومن بينها العناصر المقامية التي تتحكم في عملية الترتيب و التركيز، والتأكيد، ففي المقال: ضرب عمر زيدا << التضمن هو ضرب عمرو إنسانا ما. والجزء المؤكد هو زيدا، وعلامة تأكيده تقديمه، وبه تنمحي في النظم

الفواصل بين اللفظ والمعنى، وتتعزز العلاقات التي تربط بين الأسماء والأفعال، أو بين الأسماء والأسماء، أو بين هاته وتلك.

إذ تتكامل فيما بينها العلاقات بين أجزاء النظم في شكل من أشكال البلاغة النحوية، أو النحو البلاغي الذي تكمن قيمته في التركيب النحوي، ومراعاة كل الشروط.

وقد ترددت هاته المعاني كثيرا في الدراسات المعاصرة، لدى دي سوسير وورومان جاكوكسون في تناولهم بنفس الأفكار التي أدرجها عبد القاهر الجرجاني في الدلائل، باعتبار أن اللغة هي تأليف خاضع لقوانين المقال وما يمليه المقام.

وهي الرؤية نفسها التي يتبناها جون كوهين، إذ يرى أن قيم الجملة لا تتحقق إلا بعد أن تتفق مع لونين من القواعد، القاعدة الأولى مقننة، والثانية غير مقننة. فمثلا إذا أخذنا قول تشوميسكي: أفكار باهتة خضراء تنام في غضب. فالعبارة صحيحة من حيث خضوعها لقوانين النحو، ولكنها تفتقد للا منطق والمقبولية، أوهي خاضعة لحالة الإسناد غير الملائم.

ولهذا يرجح جون كوهين وقبله عبد القاهر الجورجاني، مسئلة الإسناد لتحقيق بعض من معايير ثبوت النصية في المتثاليات الخطية.

ويحصر جون كوهين أهمية التعليق في وظائف المجاورة والتتابع، والنحو هو الركيزة التي يرتكز عليها المعنى، فيبدأ من درجة معينة في المجاورة في العلاقة، إلى قواعد الترتيب، والموافق.

إن التحليل الذي قدمه عبد القاهر الجرجاني عن علم معاني النحو الذي يفرق بين أساليب الكلام، وهذا يعد سبقا مهما في علم الأسلوبية، وهو ضرب من النظم والطريقة فيه. وكانت هذه القضية محل اهتمام الناقد الغربي ميشال ريفاتير الذي اهتم بمستوى المنهجي للظاهرة الأدبية التي تفرض جدلية بين النص والقارئ، حيث يرى أن الظاهرة الأدبية ليست في النص وحده بل هي إشكال متباينة ومتعددة بإدراكات القارئ للنص أيضا.

ويرفض ريفاتير بعض النعوت الموظفة في التعبير عن اللغة الماورائية، التي يطمح المتلقي الوقوف عند حدودها أوبعض من ذلك، كمقولة المرجع، والمقصد، والمعنى الحقيقي والمجازي، والمعنى الظاهر والكامل، مقولاي غير ملائمة، إن لم تكن فاسدة لحد ما من وجهة نظر الدلائلية.

ويصف ريفاتير تصوره الدلائلي المقترح، بأنه وصف متناسق لبنية المعنى لأنه ينطلق من مسلمة بسيطة هي أن الدلالة الشعرية غير مباشرة لأن القصيدة تقول شيئا، وتعني شيئا آخر، وهو ما يشير إليه

بمصطلحي: المعنى والدلالة، فهو يميز بين المعنى القاموسي، والمعنى السياقي، ويرى أن السمة المميزة للقصيدة وحدتها الشكلية والدلالية في آن واحد.

وهي وحدة تحتوي قرائن اللا مباشرة، والإنتقال إلى الوحدة الدلالية الشكلية للنص، يتم عن طريق القراءة والتأويل، لأن علاقة النص بالقارئ، علاقة جدلية، وهكذا تصير المؤولة (النص المؤول) دليلا ثلثا.

فالنص الأول يكون أمام النص الثاني المؤول بمثابة ما يمد له النحو التوليدي، بالنسبة إلى نحوية الجمل المفردة، والوسائل التوليدية الخاصة بالنص، وهي الآليات التقنية التي تشرف على انتاجها.

ويشير ريفاتير إلى طرق حدوث اللا مباشرة الدلالية، فاللا مباشرة تحصل بنقل المعنى أو بتحريفه أو بابتكاره، ويكون النقل عندما يتحول الدليل من معنى إلى الآخر، عندما تحل كلمة محل أخرى كما يحدث في حالة الإستعارة والكناية، والمجاز المرسل.

فالإستخدام المجازي ينقل المعنى من مستواه الأول، إلى المستوى النوعي البليغ، بحيث تتكثف الدلالة، وتنتفي مباشرة من الخطاب، وتشع معاني المعاني، والتأويل، والرمز والإشارة. وكلها طاقات لغوية ترتكز على العلامة فوق اللغوية، بين الخطاب والقارئ، بين ذات كاتبة وذات أخرى متلقية.

وهذا طرح كان عبد القاهر الجرجاني قد تطرأ إليه في دلائله لما ميز بين حمل العبارة على ظاهرها وحملها على المجاز أي أن العبارة يمكن أن تدل على غير معناها اللفظي، فيحدد معناها عن طريق التأويل، والإحتمال.

فالجرجاني يفترض أن العبارة اللغوية، لا يمكن أن تقد دائما عن الحقيقة، أي أن المعنى الظاهر، الذي يدل عليه لفظ العبارة، ليس دائما هو المعنى الوارد.

وهذا الذي أكده ريفاتير على أن الأسلوب تأكيد تعبيري أو تأثيري أو جمالي، فهو ضغط مسلط على المخاطبين، وأن التأثير الناجم عنه يعبر عن الإقناع أو الإمتاع، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز.

لاشك أن النظرية الإستعارية، تعد من أهم العناصر التعليمية التي يمتطيه عنصر فائض المعنى إلى جانب موضوع علم الرمز، فالرمز والإستعارة يمثلان جانب <<فائض دلالة >> فالدلالة الرمزية، هي الدلالة الثانوية، التي نهتدي إليها عبر طريق الدلالة الأولية، وتكون الدلالة الثانوية وسيلة أخراة للدنو من فائض المعنى.

فاللغة وهي تمتطي هذه الوسائل الدلائلية تقوم بفتح علم المعنى وتنتج الإختلاف فيه، فالنص ينقل دلالة معينة عبر الرمز، دلالة أخرى التي تستعين بالتأويل الذي يمتد إلى حالة استدعاء لمعاني مضافة، لما يمكن أن يحور الحقيقة، وهنا تكمن بلاغة الخطاب.

وكان الشعر العباسي ميدانا تطبيقيا فسيحا لي إذ أخذت بالآليات والميكانيزمات النقدية التي تعتد بالمنهج السيميائي كأداة فعالة في التعامل مع النصوص الإبداعية. بحيث أخضعت متون النصوص الإبداعية الشعرية والنثرية على السواء، إلى تشريح استقرائي وتحليلي على مستويات النظام اللغوي للوحدة الدلالية المتمثلة في بنية النص.

وقد عمدت في ذلك إلى الطروحات النقدية والرؤوية التي مهدنا بها البحث، فيما يتعلق الجانب التنظيري للموظوع.

فتمثلت ببعض النمادج الإبداعية من الشعر والنثر من العصرين العباسيين الأول والثاني، وهي كلها أثار فنية تعج بالتخريجات المجازية التي قادتنا إلى ملئ مواضع فراغ منها/ فسجلنا موقفنا، وقلنا برأينا.

Submitted

Praise be to Allah and peace and blessings on the Prophet Muhammad, the Seal of the Prophets and Messengers.

The researcher in the concepts of semiotics in the Arab heritage, and technical models, will find a lot of assets basal Alastimologih, underlying the artistic output of the technical demands that going according to a multi-turn, and openness, and exit from the dominance of signifier in Rehab signified, and who exercises turn dominance is difficult in many cases exceeded only by the interpretation, and break the limits of language to the potential embodied in the cash through analytical procedures and mechanisms methodology, which was tool and Mtoaa of old in the hands of the critics who had them Chapter opinion in the most complex issues. This proves preferred lead and advantage for scientists Arab, because thanks to their efforts in linguistic research and rhetorical, the researchers were able, who paid attention to the importance of heritage, as a starting point and basis to adopt concepts modernist, and doctrines of new scientific, without the belief of absolute Baijabitha that Ihikloa Arabic methods technological, and technical requirements in the building regulations mechanism Blog English vocabulary.

The fascination winning theories of Expatriate located perception around, like scientific facts fixed, shall not in any way prove that in the controversy, while ignoring the value of the scientific heritage of Arab ignorance of, or the belief that all accountability, had come by, and nothing left not separating it.

This core of the problem, that we want to make it clear Mgalaitha created by the circumstances, and feeling the desire to change, and a sense of renewal, which was inspired by all the efforts, and raised all the attention.

And may conceived for that purpose, methods of persuasion and percussion arguments, and make propositions Arab, and parallels with the Arab Thought, while similar and corresponds to, and نزعنا to fathom heritage vision modernist contemporary, Vqsdna reflect scientific consensus developed, researchers from headwaters Originally first Mazanha in depth heritage, term change their minds, and remains the concept is the same, which signed by Alosbakon.

And has been divided according to research material science curriculum as follows:

Submitted

Boot: and touched it to talk about the concept of linguistic and graph Semiae in Arab thought.

Chapter I: and addresses the talk about semiotics in heritage and scholars from Arab and is divided into two sections:

First topic: the phenomenon of interpretation of Islamic thought

The second topic: compositional meaning and connotations seconds of the Abbasid literary text.

Chapter II: pulmonary talking about activity and monetary proposals for veterans, and also divided into two sections.

First topic: linguistic systems to the individual unit of the Abbasid literary text.

The second topic: the approved curriculum in the study of literature (bigeye a model).

Chapter III: Approaches between monetary theory ancient and contemporary, and is separate show to the assets and branches, and Asttalt three Mbagesh:

First topic: the meaning of meaning between Abdul omnipotent Jerjani and Roland Barthes.

Section II: Theory commentary between Abdul omnipotent Jerjani and John Cohen.

Section III: surplus meaning between Abdul omnipotent Jerjani Michel Rafatyr.

Chapter IV: and I will strive to semiotic analysis of innovative models of poetry and prose of the first Abbasid era, and the second Abbasid, and according to Aotlv method which form the Arab and Western alike, and Mbagesh labeled as follows:

First topic: semiotic analysis of innovative models of the first Abbasid of poetry and prose.

The second topic: semiotic analysis of innovative models of the second Abbasid of poetry and prose.

Conclusion.

And I try to read in those texts which were represented in the board search, and Ostqriha words, words, the extracted terms and mechanisms approach, to that found in modern theories and out clues interview, and contents similar between the old and Creator, the problem of the base and the basis of the ideas of and purposes is still new landmarks discharged, but they are of authenticity and depth to, I found myself about tracking bracket holistic approach, which is giving me the ability to surround this momentum cognitive and analytical Ottgah roots and concepts first.

And relied on a number of books in the area of specialization and I had a mayor and basis on Dnot findings and proposals, as heritage sources: Evidence miracles and mysteries of rhetoric, and the statement ...

And references concerning the grammar and significance and issues of the tongue, as a book: the theory of meaning in grammatical studies of Dr. Karim Hussein mentor Khalidi, and the book by Dr. and researcher Abdul-Rahman al-Haj Saleh, "Research and studies in linguistics."

And the book by Dr. Abdul Galilee Mrtad "semantic study of semiotics and in the novel and heritage" and other books for Abdelhamid Burajo and other ...

And magazines remind Journal of Literary Studies and lingual. And is a quarterly journal published from Morocco, and semiotics Magazine, issued by the University of Oran, and is one of the most important magazines Heritage Fair. And trying to prove the foundations of scientific methodology in dealing with texts creative, and give the status of the road.

And recognize its importance, an assay between what is worth it to ask an interview.

And I can not fail to commend thank, and pray that does not stop time height, and a lifetime in obedience to God and to the enrichment Square literature, more creativity and authoring and tender, for our teacher Mr. Dr. Radwan Mohamed Hussein Al-Najjar, who have endured hardship

overseeing this Find directives academic, and scientific advice about the subject matter, and the subdivisions orthodoxy, and urging that the scientific integrity and encourage more diligence.

As long search of the most important sources and Review, Parts of God the best penalty.

And thanks and praise of God, did the research.

Conclusion

And through the above, we come to the modernist concepts that fill the yard and Monetary literature, is only a modification, and re-installed as was prevalent in the Arab heritage.

What he writes about intertextuality in our time, is only the latest concept also where Jerjani discussed, and others from taking literary.

And the issue of signifier and signified, as well as what is only the image antipodal to the issue of pronunciation and meaning, which was broadcast the opinion Jerjani chapter.

And semiotics as well as only a translation of some rhetorical concepts that prevailed in rhetorical studies.

And the statement in evidence Miracles about the meaning of meaning in the fifth century of migration, not only Albracmatah and deliberative which means sense semiotic, which is still not clear in the mind, or what they called Palmscott him to speak, or sayings absence or speech dentate, and of stylistic But another aspect of what was prevalent in the research and Budaiya meanings in Arabic rhetoric.

And what has been called the reverse in Arabic rhetoric, not only drift with the term semiotic or deviation or gap.

And all of these concepts will be integrated elements among them, are subject to multiple levels in a multi-functional system, moving cash from disclosing to understand how meaning that produced meaning, it is not intended significance, but significant way.

The linguistic approach, which established him Jerjani linguistic philosophy, has acknowledged much of the characteristics of the language. And systems are context, and the meaning of grammar and usage figuratively ... All tools brought in to serve the meaning, which makes it the language of literature language quality, excellence total relations, and links, which control parts of the work and words.

And bigeye came before it had been guided to the value of connectivity and consistency between words compositions, Fny course vocabulary and components, and reflect on their controls, and Alaúvha, Femiz in light between the values and the differences in the levels of linguistic performance.

And in light of this theory, which is based on the importance of implications, posed uses graphs to be criticism, which bears the features of semiotics which moves meaning, forming a series Alamih warrant to bring a number of additional meanings and connotations الثانية interview for renewal and enrichment with each event readers.

Then came the Arab scientists, they built their theories on what ended our scientists, Frckzoa the importance of linguistic meaning and procedures for performance.

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

العدد 16/ جوان 2010

مجلة الآداب و اللغات

مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب و اللغات

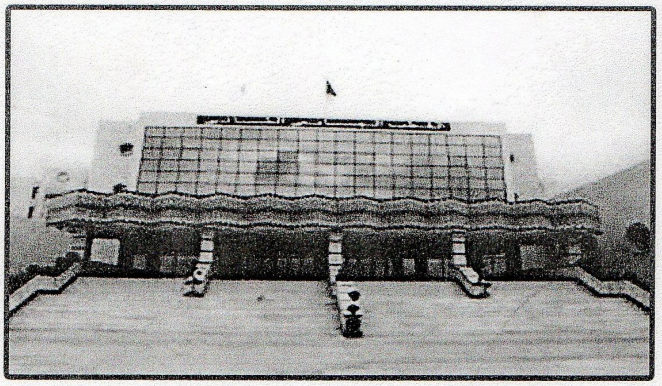

محتوى العدد 16

الصفحة

ـ كلمة مدير المجلة 05

ـ السماع في كتاب سيبويه "نظرة إحصائية" د. فهد سالم خليل الراشد – المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون (تونس) 07

ـ أسس التنظير النحوي ومناهجه د/ عبد العليم بوفاتح– جامعة الأغواط 43

ـ المؤتلف والمختلف قراءة في نونية ابن زيدون د/ عبد الخالق رشيد ـ جامعة وهران 70

ـ التأمل الفلسفي في ما وراء المنهج من أجل منهج المنهج أ.مونيس بخضرة– جامعة تلمسان 89

ـ السيمياء في تراث العربية – جذور وأصول . أ.حمدية زدام ـ جامعة الشلف 102

ـ أغماتيات المعتمد بن عباد ـ دراسة في الموازنة الشعرية
بقلم : أ.بن منصور أمينة. مراجعة : أ.د/بومدين كروم. (جامعة تلمسان) 127

ـ حوار المناهج النقدية في تحليل الخطاب د/ سميرة رفاس ـ جامعة سيدي بلعباس 136

ـ المعرفة اللسانية الماورائية ودورها في تحديد الكفاءة المعرفية والاستخدامية للغة
أ.سجلماسي محمد الأمين ـ جامعة تلمسان 146

ـ الكتابات الاستشراقية الفرنسية عن طوراق الهقار أ.شهاب سامية – جامعة سعيدة 166

ـ قراءة تحليلية لبديعية الشقراطيسي
بقلم : أحمد طول ومراجعة : أ. د/ رضوان النجار ـ جامعة تلمسان 181

ينجلي العدد 16
من خيوط الفكر المتعدد
لا تخلو من متعة و فائ
كلية الآداب والعلوم
التسمية الجديدة للكلية
الأم إلى كليتين اثنتين
ولقد قطعت مجلة
زهاء 12 سنة، صد
وأساتذة وباحثين ومـ
والاهتمامات ...
وهاهي اليوم تصا
لتطالع قراءها بدراسـ
الفكر العلمي المتخصـ
فالمتلقي لهذا الـ
والفلسفة وعلم الـ
وأنجليزية .. وهذا
المفيد وفق النهج الـ
فمثلاً يقرأ الما
الأول والثاني ، وي
المقالات التالية :
والمقال رقم 11
أما المقال الثامن ف
واستخداماتها ،،
ابات الاستخـ

السِّيمِيَاءُ في تُراث الْعَرَبِيَّة[1]
"جُذُورٌ وَ أُصُولٌ"

أ. حمدية زدام[2] جامعة الشلف

قال الْجُرجاني عبد القاهر في أسرار البلاغة :"تَجْري اللُّغَةُ مَجْرَى العلامات و السِّمات و لا مَعْنَى للعلامة و السِّمة حتَّى يَحتمل الشيءُ ما جُعلَت العلامةُ دليلاً عليه"[3].

تغرس السِّيمِيَاءُ جذورها في عمق التراث العربي ، إذ الباحثُ في هذا المجال ، لواقعٌ في تراثنا على نظريات ومفاهيم بلاغية وبيانية، تتصل اتصالاً مباشراً بالمُصطلحات الحداثية ذات العلاقة بهذا المجال السِّيميوطيقي المُستحدَث.

السِّيما في الذِّكر الحكيم :

ورد لفظُ "السِّيمَا" و مُشتقَّاتُه[4] كثيراً في القرآن الكريم، قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (5)

و صدق الله العظيم في قوله الكريم :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (6).

المسوّمةُ : عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ المسوّمة الراعية ، و قال مكحول : المسوّمة الغُرَّةُ و التحجيل، و قيل غير ذلك (7)

و قال تعالى :﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (8).

مُسَوَّمِينَ : أيْ مُعَلَّمِين بالسِّيما (9).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : : كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، و كان سيماهم أيضاً في نواصي خيولهم.

و عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه في هذه الآية (مُسَوِّمِينَ) قال : ابنُ عباسٍ رضي الله عنه : أتت الملائكةُ محمداً صلَّى الله عليه بالصُّوف، فسوَّمَ محمدٌ و أصحابُهُ أنفسَهُم و خيلَهُم على سيماهم.

و قال قتادة و عكرمة (مُسَوَّمِينَ) أي بسيما القتال.

و عن ابن عباسٍ قالَ : كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيض ظهورهم، و يوم حُنين عمائم حُمر.

و قال جلَّ شأنُهُ :

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ (10)

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ (11)

﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (12) صدق الله العظيم (13).

و قال تعالى – أيضاً – في كتابه السَّماويَ العظيم ، ألاَ و هو القرآنُ الكريمُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (14)

و كذلك :

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (15)

(مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ)

مسوّمة : أي مُعَلَّمة. كلُّ حَجَرٍ مكتوبٌ عليه اسم الذي ينـزل عليه (16).

و أيضاً ؛ مُسَوَّمَة : أي مُعَلَّمَة ، أي مكتبة عنده بأسمائهم (أسماء المسرفين) كلّ حجرٍ عليه اسمُ صاحبه(17).

وَ هَا هُوَ ذَا (صَلَّى اللهُ عليه و آله وَ سَلَّمَ) :

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (18)

(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)

قال ابنُ عباسٍ : يعني السَّمْتَ الحَسَنَ.

و قال مجاهد : يعني الخشوعُ و التواضعُ.

و قال السدي : الصلاةُ تُحَسِّنُ وجوهَهم.

و قال بعضُ السَّلَف : من كَثُرَتْ صلاتهُ باللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُه بالنَّهَارِ.

وَ قِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ(19).

و حيثُ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ (20)

(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي بعلاماتٍ تظهرُ عليهم ، و قالَ الحَسَنُ وَ قتادةُ : يُعْرَفُونَ باسوداد الوجوه ، وَ زُرْقَة العيون.

و هذا نقيضُ ما يُعْرَفُ به المؤمنونَ : بالغُرَّة و التحجيل من آثار الوضوء(21).

السِّيماء في الحديث الشريف :

وردت اللفظة " سيمَا " في أحاديث الرَّسُول عليه الصَّلاةُ والسَّلاَمُ.

قال الرَّسُولُ: ﴿لَكُمُ سِيمَا لَيستْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ﴾ (22)

و في رواية أخرى ﴿سِيمَاءُ أُمَّتِي لَيْسَ لأَحَدٍ غَيْرُهَا﴾ (23)

و كذلك ﴿سِيمَاءُ هَذِه الأُمَّة يَوْمَ القِيَامَة مِن آثَار السُّجُود﴾ (24)

و أيضاً : ﴿سِيمَاهُمْ أَنَّ منهم رَجُلاً أَسْوَد﴾ (25).

وَ في الحديث الشريف أَمَرَ صَلَّى اللهُ عليه و آله وَ سَلَّمَ أصحابه يَوْمَ بَدْرٍ بقوله الشريف : سَوِّمُوا ، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ سَوَّمَتْ ، أَيْ اعْمَلُوا لَكُمْ عَلاَمَةً يَعْرِفُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً.

وَ في حَديث الخَوَارِج : سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ ، أَيْ عَلاَمَتُهُمْ وَ الأَصْلُ فِيهَا الوَاوُ ، فَقُلِبَتْ لِكَسْرَةِ السِّينِ ، وَ تُمَدُّ وَ تُقْصَرُ(26).

السِّيمياء و معاجم التأسيس :

لقد جاءت كلمة " سِيمَا " بصِيَغٍ مختلفة، وكلُّها تَحْمِلُ معاني متقاربةً، فهي العلامةُ، والصِّفَةُ، والمِيزَةُ، والإشارةُ أيضا.

وَ حَمَلَتْ هذه الكلمةُ في الحديث الشَّريف، المعاني نَفْسَها التي جيئتْ في آي الذِّكْرِ الحكيم.

إذا بحثنا في معجمات اللُّغة العربيَّة، لَوَجدْنا مفهومَ هذا المُصْطَلَحِ يعني : السُّومة – السِّيمة– و السِّيماء،و كلُّها تقصد العلامة.

وقد يجيء السيما و السيميا ممدودين بكسرهن، أي بكسر السين – العلامة يعرف بها الخير و الشر[27].

و في اللِّسان[28] : السُّومَةُ و السِّيمَةُ و السِّماءُ و السِّيماءُ : العَلامَةُ.

وَ سَوَّمَ الْفَرَسَ : جَعَلَ عَلَيْهِ السِّيمَةَ

وَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ : "حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ".

قالَ الزَّجَّاجُ : رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهَا مُعَلَّمَةٌ بِبَيَاضٍ وَ حُمْرَةٍ.

و قالَ غَيْرُهُ : مُسَوَّمَةً بِعَلامَةٍ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّها لَيْسَتْ مِنْ حِجارَةِ الدُّنْيَا. وَ يُعْلَمُ بِسيماها أَنَّهَا مِمَّا عَذَّبَ اللهُ بِهَا.

و عند الجَوْهَرِيُّ : مُسَوَّمَةً : أَيْ عليها أَمْثالُ الخَواتِمِ.

و أيضاً – و القول لا يزال للجوهري – : السُّومَةُ بالضَّمِّ ، العَلامَةُ تُجْعَلُ على الشَّأْةِ ، و في الحَرْبِ أَيْضاً.

تَقُولُ مِنْهُ : تَسَوَّمَ.

قالَ أَبُوبَكْرِ بن دريد : قَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سِيما حَسَنَةٌ مَعْنَاهُ عَلامَةٌ و هي مأخوذَةٌ من وَسَمْتُ أَسِمُ.

قالَ : و الأَصْلُ في سِيما، وَسْمَى، فَحُوِّلَت الواوُ مِنْ مَوْضِعِ الفَاءِ ، فَوُضِعَتْ في مَوْضِعِ العَيْنِ، كَمَا قَالُوا مَا أَطْيَبَهُ وَ أَيْطَبَهُ ، فَصَارَ سِوْمَى. وَ جُعِلَتْ الواوُ ياءً لِسُكُونِهَا و انْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا[29].

وَ في التَّنْزِيلِ العزيز : (وَ الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ) ،

قالَ أَبُو زَيْد : الخَيلُ المُسوَّمَةُ الْمُرْسَلَةُ وَ عَلَيْهَا رُكْبَانُهَا ، وَ هُوَ مِنْ قَوْلِكَ : سَوَّمْتُ فُلاناً إذا خَلَّيْتَهُ وَ سَوْمَهُ أَيْ وَ مَا يُرِيدُ.

وَ قِيلَ : الْخَيْلُ المُسَوَّمَةُ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا السِّيما و السُّومَةُ وَ هِيَ العَلامَةُ.

و قال ابنُ الأَعْرَابِيِّ : السِّيمُ الْعَلامَاتُ على صُوفِ الغَنَمِ.

و قال تعالى : "مِنَ الملائكَةِ مُسَوَّمِينَ" قُرِئَ بِفَتْحِ الواوِ ، أَرادَ مُعَلِّمِينَ ، و الخَيْلُ المُسَوَّمَةُ : الْمَرْعِيَّةُ ، و المُسَوَّمَةُ : المُعَلَّمَةُ.

و قولهُ تَعَالَى : "مُسَوَّمِينَ" . قال الأَخْفَشُ : يَكُونُ مُعَلَّمِينَ ، و يكونُ مُرْسَلِينَ ، مِنْ قَوْلِكَ سَوَّمَ فِيهَا الخيلَ أَيْ أَرْسَلَهَا ، وَ مِنْهُ السَّائِمَةُ ، وَ إِنَّمَا جاءَ بالياءِ و النُّونِ لأَنَّ الخَيْلَ سُوِّمَتْ وَ عَلَيْهَا رُكْبَانُهَا.

قال اللَّيْثُ : سَوَّمَ فُلانٌ فَرَسَهُ إِذَا أَعْلَمَ عَلَيْهِ بِحَرِيرَةٍ أَو بِشيءٍ يُعْرَفُ بِهِ.

قالَ : وَ السِّيما يَاؤُهَا فِي الأَصْلِ واوٌ ، وَ هِيَ العَلامَةُ يُعْرَفُ بِهَا الخَيْرُ وَ الشَّرُّ.

قالَ اللهُ تَعَالَى : "تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ".

قالَ اللَّيْثُ أيضاً : وَ فِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى السِّيماءُ بالمَدِّ.

قالَ الشَّاعِرُ :

غُـــلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعاً ... لَهُ سِيمِياءٌ لاَ تَشُـــقُّ عَلَى البَصَـــرْ

تَأْنِيثُ سِيمَا غَيْرَ مُجْرًى.

قالَ الجَوْهَرِيُّ : السِّيما مَقْصُورٌ مِنَ الوَاوِ.

قال تعالى : "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ".

قال : و قَدْ يَجِيءُ السِّيمَا و السِّيمِيا مَمْدُودَيْنِ ؛ وَ أَنْشَدَ لأُسَيْدِ بنِ عَنْقَاءَ الفَزَارِيِّ يَمْدَحُ عُمَيْلَةَ حِينَ قَاسَمَهُ مَا لَهُ :

غُلاَمٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يَافِعاً ... لَهُ سِيمِيَاءٌ لاَ تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ ... وَ فِي جِيدِهِ الشِّعْرَى وَ فِي وَجْهِهِ القَمَرْ

لَهُ سِيمِيَاءٌ لاَ تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ أَيْ يَفْرَحُ بِهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

قالَ ابنُ بَرِّيٍّ : وَ حَكَى عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ أَنَّ أَبَا رِيَاشٍ قَالَ :

لا يَرْوِي بَيْتَ ابنِ عَنْقَاءَ الْفَزَارِيِّ : (غُلاَمٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يَافِعاً)

إِلاَّ أَعْمَى البَصِيرَةِ ، لأَنَّ الحُسْنَ مَوْلُودٌ و إِنَّمَا هُوَ : (رَمَاهُ اللهُ بِالخَيْرِ يَافِعاً) ، قالَ : حَكَاهُ أَبُو رِيَاشٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، قالَ الأَصْمَعِيُّ : السِّيماءُ ، مَمْدُودَةٌ ، السِّيمِياءُ ؛ أَنْشَدَ شَمِرٌ فِي بَابِ السِّيمَا مَقْصُورَةً لِلجَعْدِيِّ.

وَ لَهُمْ سِيمَا إِذَا تُبْصِرُهُمْ ... بَيِّنَتْ رِيبَةَ مَنْ كَانَ سَأَلْ

و السيماء : العلامة

و جاء في الأساس : سَوَّمَ فرسَه : أَعْلَمَهُ بِسَوْمَة و هي العلامةُ ، و خيلٌ مُسَوَّمَةٌ ...

و فلانٌ مُحكَّمٌ مُسَوَّمٌ : مُخَلًّى لا تُثْنَى له يدٌ في أمرٍ. و فيه سِيما الصَّلاحِ و سِيمَاؤُه :

قال القطامي :

أَبِي عَنْهُ وَرِثْتُ سَوَامَ مَجْدٍ ... وَ كُلُّ أَبٍ سَيُورَثُ مَا يَسُومُ

وَ عَوْدَةً إلى الجوهري في قوله : السَّومة : العلامةُ تُجْعَلُ على الشَّاة ، و في الحَرْبِ أيضا.

قال ابن الأعرابي : السِّيمة العلامةُ على صُوف الغنم، والجمع السِّيَمُ، و القَصْرُ في الثَّالثة لُغَةٌ وبه جاءَ التنـزيل : " سِيمَاهُم في وُجُوهِهِم "[30].

التراث العربي و مصطلح السيميوطيقا :

يقول محمد سعد الله حول مصطلح السيميوطيقا الحديث[31]:

"فالسِّيميوطيقا وُضِعتْ بِوَصْفِهَا مُصْطَلَحاً نقلياً عن (SEMIOTIC) و هي عند لوك: معرفةُ العلامات ، و عند بيرس : نظريةُ العلامات، و عند موريس: النظريَّةُ العامَّةُ للعلامات، و عند إيكو: العلمُ الذي يدرسُ سائرَ ظواهرِ الثقافة بوَصْفِهَا أنظمة للعلامات، و عند سيبوك: وظيفةٌ للتواصلِ و التعبير.

و لفظ السيميوطيقا مأخوذٌ من الكلمة الإغريقية القديمة (سيميون)، (semeion) ، وهي تأخذُ معنَى الإشارة، ولذلك قد يسميها البعضُ علمَ الإشارات، والرموز .... القابلة منها للتفاهُمِ بين البشر[32].

أي أنَّ الأنظمةَ التي تُمكِّنُ الكائنات البشريةَ من فَهْمِ بعضِ الأحداث، أو الوحدات بوَصْفِها علامات، تحملُ معنًى، و هذه الأنظمةُ هي نَفْسُهَا أجزاءٌ أو نواحٍ من الثقافة الإنسانية[33]، فأقوالُنا تُحدِّدُهَا أنظمةٌ و شفراتٌ، يشتركُ بها كلُّ من يُنْتِجُ و يَفْهَمُ هذه الأقوالَ.

و تضيفُ المعاجمُ العربيَّةُ الحديثةُ معانيَ أُخرى غيرَ العلامـة منهـا (الحُسْـنُ ، البَهْجَـةُ ، القيمـةُ ...)[34].

في حين تشيرُ الموسوعاتُ العربيَّةُ الحديثةُ إلى أن السيمياء هي علمُ معاني الألفاظ الذي يبحثُ في العلامة بين حروف الكلمة و دلالتها[35].

و التراثُ العربيُّ فَيْضٌ مِنَ الحركاتِ والإيماءاتِ و الإشاراتِ، و الإشاراتُ ضَرْبٌ من العلاماتِ، فكلُّ اشارةٍ علامةٌ، وليستْ كُلُّ علامةٍ إشارةً[36].

فالعربُ قديما، أدركتْ معاني علاماتِ الاتصالِ للإشاراتِ الاصطلاحيةِ، عن طريقِ الدِّراسةِ والتجربةِ، كما تُبيِّنُ المصنفاتُ اللُّغويَّةُ، حولَ المواضيعِ الصوتيةِ، والدِّراساتُ التي قاموا بها في مجالِ الاتصالِ الخاصِ بالإنسانِ و الحيوانِ على السّواءِ.

و اشتهرتِ العربُ بقراءةِ العلاماتِ، كقراءةِ آثارِ أقدامِ الحيواناتِ و البشرِ، وهو ما يُعْرَفُ لديهم بالقيافةِ، التي قالَ فيها أهلُ النَّظَرِ والتَّبَصُّرِ أنَّها: "اسمٌ مشتقٌ من القَفْوِ، وهو معنى استدلالي"[37].

و المتخصصونَ بهذا العلمِ يُدْعَوْنَ بالقافةِ، ولهم قُدْرَةٌ تُمَيِّزُهُم عن غيرِهم، وَ تُؤَهِّلُهُم للتفرقةِ بين آثارِ أقدامِ النَّاسِ.

و القيافةُ علمٌ توصَّلَ إليه العربُ بقوَّةِ الذَّكاءِ، وكثرةِ المزاولةِ، وَ تُنْسَبُ القيافةُ لبني مدلجٍ، وأحيانًا إلى مُضَرَ بنِ نزارِ بنِ مَعْدٍ، كما اشتهرَ اليمنيونَ بالكَهانةِ، وبنو أَسَدٍ بالزَّجْرِ.

قالَ المسعودي: "و بأرضِ الجفارِ[38] أناسٌ مِنَ العربِ يتناولُ الإنسانُ من تَمرِ نَخلِهم، فيغيبُ عنهم السِّنِينَ، وَ لَمْ يَرَوْهُ، و لا شَاهَدُوهُ، فَإِنْ رَأَوْهُ بعدَ مُدَّةٍ، عَلِمُوا أنَّه الآخذُ لتمرِهِم، و لا يكادونَ يُخْطِئُونَ ....ولا تكادُ تَخْفَى عليهم أقدامُ أيِّ النَّاسِ منهم"[39].

و القيافةُ ضَرْبٌ مِنَ الفراسةِ، تعينُ عليه قُوَّةُ الخيالِ، فيهتدي بآثارِ الأَقْدَامِ على أَصْحَابِهَا، و لقدْ بلغَ العربُ في ذلك مِنَ الأعاجيبِ، إلى ما يكادُ و لا يصدقه العقلُ،

إذ كانوا يُمَيِّزُونَ بينَ أَثَرِ الرَّجُلِ والمرأةِ ، و الأعمى و البصيرِ ، و المُثْقَلِ و المُخِفِّ، و إنَّ شيئاً مِنْ ذلك لا يزالُ باقياً بين البدو إلى اليوم.

و إلى جانبِ هذا نجدُ الفراسةَ، و هي الاستدلالُ بهيئةِ الشخصِ و كلامه و ظاهرِ أعضائه على أَخْلاقِه و صفاتِه، و طبيعةُ الفراسةِ ليستْ علامةً دالةً بنفسِها على نَفْسِها لسائرِ النَّاسِ، بل لفئةٍ معينةٍ ممن رُزِقَتْ قَدْراً كبيراً وخارقاً من الذَّكاءِ، و قوَّةِ الحسِّ والتميزِ، والإدراكِ ... و قد تكونُ الفراسةُ أصعبَ إدراكاً من القيافةِ، لأنَّ الأخيرةَ تقومُ على اقتفاءِ الآثارِ بواسطةِ دلائلَ محسوسةٍ، و أمَّا الأولى فهي لا تعتمدُ إلاَّ على النَّظَرِ والمُقارَنَةِ بينَ الأجسامِ والأعضاءِ، والحركاتِ و الكلامِ والصِّفاتِ[40].

و في تفسيرِ قولِه تعالَى : (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُم) أي بما يظهرُ للذوي الألبابِ من صفاتِهم كمَا قالَ اللهُ تعالى (سيماهُم في وجُوهِهم) و قال تعالى (وَ لَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ القَوْلِ) و في الحديثِ الشريفِ[41] : (اتقوا فراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنورِ اللهِ) ثم قرأ قولَ اللهِ تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[42].

و الفراسةُ والقيافةُ من العلاماتِ السيميوطيقيةِ لأنَّها علمٌ لا يختصُّ به سائرُ النَّاسِ، أي لا يُدْرِكُهُ كُلُّ البَشَرِ.

و يجعلُ الدكتور عبدُ الجليلِ مرتاض الكهانةَ و السِّحْرَ، و بعضَ الفنونِ الشعبيةِ، والتي تعودُ إلى العربِ القُدَامى ضرباً من السيميوطيقيةِ[43] لأنَّها علاماتٌ دالةٌ على أيِّ حالٍ، و تَنُمُّ عن مفاهيمَ فكريَّةٍ و ثقافيةٍ وحضاريةٍ لكَوْنِ أصحابِها يستوحونَ مِنْ أحلامِهم أو رؤاهم دلالاتٍ غيرَ الدَّلالاتِ التي يُشَاهِدُونَها.

كما أن تسمية العرب لأبنائهم بالأسد واللّيث و الكلب والضبّ .... لم تكن مقصودةً للدّلالة المادية على هذه التّسميات، بل كان يُنظرُ إلى جوهر مدلول الدّالّ أو الرّامز في داخله إلى الرّعب والقوّة و البطش ... و نحو ذلك.

كما كانتْ لهم مذاهبُ أخرى في تسمية أبنائهم[44] و هي طرائقُ تحملُ دلالاتٍ سيميوطيقية.

و يحاول ابنُ فارس تفسيرَ هذه الظاهرة بقوله : "مِنْ سُنَنِ العرب إذ تسمي أبناءَها بحَجَرٍ، وكَلْبٍ، و نمرٍ، و ذئبٍ، و أسَدٍ، وما شابهها، وكانَ بعضُهم إذا وُلِدَ لأحَدِهم ولدٌ سَمّاهُ كمَا يراه ويسمعه مما يتفاءلُ به، فإنْ رأى حَجَراً تأوّلَ فيه الشّدّةَ و الصّلابةَ، والصّبرَ و البَقاءَ، و إنْ رأى كلبًا تأوّلَ فيه الحراسةَ والأُلْفَةَ وَ بُعْدَ الصّوْتِ، وَ مَنْ رأى نمرا تأوّلَ فيه المنعةَ والتيهَ و الشكاسةَ، ومن رأى ذئباً تأوّل فيه المَهابَةَ و القُدْرَةَ والحشمةَ ..."[45].

و يؤكد الأستاذ عبد الجليل مرتاض على فضل السّبْق والمزيّة للعَرَب في هذا المجال المعرفي، قائلا : "و هذا التفسيرُ : تفسيرٌ سيميوطيقي دلالي في نفس الوقت، و هو ما لم يصلْ إليه الغربيونَ، إلا في العصر الحديث، لأنّ كُلّ اسمٍ عبارةٌ عن دالٍّ أو رَمْزٍ، وكدليل عليه (الشيء الخارجي للجسم) ثم إدراكُ هذه الصّورَة الذهنية بمعنى أنّ العدوّ حينَ يسمعُ اسمَ اللّيث فهو يتصوّرُ هذا المُسَمّى كأنّهُ في هيئة أسَدٍ حقيقي، مما يبعثُ فيه الرُّعْبَ قبلَ لقائه ..."[46].

فالعربيّ كانَ لا ينظرُ إلى الاسمِ الذي يَرْمُزُ إلى المُسَمّى (البشر) بل إلى معاني ودلالات ما يحملُه هذا الاسمُ.

كما أنّ تفاؤلَ العرب وَ تَطَيُّرَها بالحيوانات[47] أو النباتات قراءةٌ أُخرَى في مجال السيميائية، كما هو مُبيّنٌ في شعر الشُّعَراء القُدامى، إذ اهتمُّوا بموضوع السيميائية، فَعَبّرُوا عن مواضيعَ شتّى، تتصلُ بكُلّ مناحي حياتهم المختلفة، فناجَوا الطبيعةَ وحاوروها، مُستخدمينَ ما أغدقتْ به عليهم لُغتُهم من مجازات عديدة.

و لعلّ دراسةَ القُدامى من اللغويينَ والأدباءِ للإشارة، يترتّبُ عنها مقاصدُ بلاغيّةٌ متنوعةٌ، وإشاراتٌ مجازيّةٌ كانت البدايةُ الأولى للدّرْس السيميائي، وهي تعتمدُ أساساً على البداهة، فهم الذين قالوا : " العينُ بابُ القَلْب، وما كان في القلب ظَهَرَ في العَيْن. "[48].

و يمكنُ افتراضُ اسم سام (أبو العرب) لها، و عليه يكونُ الأصلُ الأوّلُ للفظة (السيمياء) عربيّاً علاوةً على وجود جذرها و أصولِها في المعاجم العربية القديمة التأسيسية الأولى ، ناهيك ورودها في القرآن الكريم.

ثم استخدامُ العربِ القُدامى لهذا اللفظ الدّالّ على معانٍ يقصدونها.

المصطلح و علماء اللسانيات العرب :

و أطلق علماءُ اللّسانيات، العربُ على هذا العِلْم اسم (السيميوطيقا) وترجموه تارّةً باسم عِلْم الرموز، وتارة أخرى باسم (علم الدلالة) و اقترحوا تسميته في اللغة العربية بالسيميائية أيْ العلامات، وهي تسميةٌ موفقة في استخدامها للكلمة العربية "سيمياء"، أي علامةٌ أو مَلْمَحٌ ، و هو الأفضلُ في إطلاق الإسم العربي عليه، لأنّ النقلَ أولى من الاشتقاق في استخدام الأسماء الجديدة.

و قد تناولت بحوثٌ كثيرةٌ (السيمياء) منذ التأسيس و النشأة حتى المعالجة الإجرائية للمصطلح[49].

و ذكر (عادل فاخوري) أن العربَ توصلوا إلى وَضْعِ أسسٍ عامة لنظريةِ العلاماتِ أو السيمياء تحتَ عنوانِ الدلالة.

و كان ذلك في إطارِ تعيينِ العلامة التي تربطُ اللفظَ بالمعنى أو رَبْطُ الدَّالِّ بالمدلول.

و استعرض الفاخوري أربعَ صُوَرٍ للدالِ و المدلولِ استخدمها العربُ :

1. كونها لفظاً كأسماءِ الأفعالِ الموضوعةِ لألفاظِ الأفعالِ أي : (عباراتُ اللُّغةِ الماورائية التي تدلُّ على العباراتِ الموضوعةِ لها من اللغة الشيئية).

2. كَوْنُ اللفظِ دالاً ، و المدلولُ غيرَ ذلك، كزيدِ الدالِ على الشخص الإنساني.

3. كونُ المدلولِ لفظاً و الدالُّ غيرَ ذلك، كالخطوطِ الدالةِ على الألفاظِ ، مثل : الخط المستقيم ، الخط المنحني ، و نحو ذلك.

4. كَوْنُهَا غيرَ لفظٍ ، كالعقودِ الدالةِ على الأعداد، و بهذا تتحصَّلُ دلالةٌ لفظيةٌ مِنَ الصُّوَرِ بين الأولى و الثانية ، و دلالةٌ غيرُ لفظيَّةٍ من الصُّورتَيْنِ الثالثة و الرابعة.

و يشيرُ أيضاً إلى أنَّ السيمياءَ العربيَّةَ اقترحتْ تقسيماً آخرَ يعتمدُ على نوعية العلاقة الدلاليةِ و هو :

- الدلالة العقلية : يكونُ بين الطرفين علاقةُ عِلَّةٍ و معلولٍ ، مثل : الدُّخَان فهو علامةٌ على النَّارِ ، و الكلامُ الصَّادرُ فهو قرينةٌ وجودِ المتكلِّم.

- الدلالة الطبيعية : يكونُ بين الطرفين علاقةٌ تصويريةٌ ، بحيثُ يكونُ من طَبْعِ المتلقي الإنتقالُ إلى المدلولِ عندَ حضورِ الدَّالِّ مثل : حُمْرَةُ الوجه عندَ الخجل.

و قد رسم الأستاذ محمد سالم سعد الله في كتابه مملكة النص (التحليل السيميائي للنقد البلاغي) لوحةً توضح تقسيمَ الدلالاتِ عند العرب و فروعها[50].

و يقولُ أيضاً في مَوْضِعٍ آخر من كتابه[51]: و يمكنُ إجمال ما قيلَ في ولادةِ السيمياء العربية على النحو الآتي :

- مرحلة ما قبل الإسلام.
- علم السحر.
- علم أسرار الحروف.
- مرحلة ما بعد الإسلام (مرحلة الإسلام و ما بعده).

- في القرآن الكريم و في المعاجم العربية التأسيسية (العلامة = السمه ، الإشارة).
- الميدان اللغوي / المنطقي / الفلسفي = علم الدلالة.
- الميدان الفقهي (مع علم الأصول) = إشارة النص ، دلالة النص ، دلالة الإقتضاء ، عبارة النص).

أمّا علماءُ اللِّسانِ المغاربة، فقد أولوا اهتماماً عظيما بهذا المجال، إذْ حاولوا تحديدَ المصطلح، وتثبيتَ أصوله في الدراساتِ العربية من خلالِ تلك المفاهيمِ البلاغية التي وَظَّفَهَا علماؤنا القُدَامى، في التعاملِ مع النصوص الإبداعية الشعرية والنثرية على السّواء.

كما حاول المغاربةُ تحويرَ معالَمِ هذا المصطلحِ.

بما يتطابقُ وخصائصُ النصِّ الأدبي العربي، حفاظاً منهم على تلك القطوفِ الفنية التي تتخلل ثنايا أيِّ نصٍّ إبداعي.

و يرى الدكتور عبد المالك مرتاض، أنه ليسَ من السَّهْلِ الوصول إلى حلِّ هذه المشكلة المصطلحاتية، حيث إنَّ هناكَ مصطلحين اثنين غربيين، مستعملين وهما : السيميائية التي يقترحها مقابلا للمصطلح الأجنبي (Sémiologi , Sémiology) .

و يشدد عبد المالك مرتاض اللهجةَ على من لا يكترث في الاستخدام العشوائي لهذا اللفظ، فيقول : "و من أراد أن يشوّهَ اللغةَ العربيةَ، ويعثو فيها فساداً كبيرا، بأن يستعملَ فيها إختيارا، لفظاً غربيا، فعليه على الأقلِّ أنْ لا يكتبَ هذا اللفظَ سيميولوجيا، ولكن عليه أن يكتبه، سِيمْيُوْلُوْجِي : أي بدونِ ياءٍ بين السين والميم، من أجل تلافي التقاء ساكنين اثنين"[52].

و يفضّلُ أن يستخدمَ كلمةَ السيميائياتية مقابلا للمصطلح الأجنبي , Sémiologues) (Semiotics والغربيون أنفسهم يضطربون في التميز بين المصطلحين السابقين.

فهل اختلاف لفظيهما يعني إختلافهما دلاليا ؟.

فرولان بارط يعتبر اللفظتين مترادفتين، لكنَّ العالمَ اللسانياتي الدانماركي هجلمسلف[53] يقرر أنه من الأمثل تخصيص مصطلح سيميائيات (Semiotics) للبحوث المتعلقة بالمجالات الخاصة بالأدب والسينما، والإشارية ... من حيث تخصيص السيميائية (Sémiologie, Sémiology) للنظرية العامة لكل هذه السيميائيات (Sémiotique, Sémiotics)[54].

فكأن السيميائيةَ بناءً على هذا التحديد تمحص للعلم والنظرية، أي إلى كافة الإجراءات، والأدوات و المبادئ (مجموعة النظريات) التي تحكم هذا الحقلَ، وترسمُ حدودَه، وتضبطُ معالمَه، بينما ينصرفُ مفهومُ السيميائيات إلى الممارسات التطبيقية، وإلى القراءات التي تحلل النصوصَ بالإجراءات السيماءوية من أجلِ كلِّ ذلك يجب اصطناع هذين الوصفين بناءً على طبيعة الموقف العلمي الماثلِ والغاية المعرفية التي تراد، وهذه مشكلة أخرى وكثيراً ما تفضي إلى خَلْطٍ معرفي شديدٍ لدى النقاد العربِ المعاصرينَ.

و قد ألفينا الدكتور عبد الله الغدامي يفرد بحثاً لهذا المصطلح الشائك[55] ... فيرى تعدّدَ الأسماء، فهناك السيميولوجيا، والدلائلية، و علم العلامة ، والسيمياء[56] فآثر أن يستعملَ اللفظَ الأجنبيَّ (سيميولوجيا).

ويعجب مرتاض عبد المالك من التخريجة الاصطلاحية للغدامي لإيثاره للفظةٍ أجنبيةٍ نصفها إغريقي، والنصف الآخر إما فرنسي برسمٍ إملائي معين، وإما إنجليزي برسم إملائي آخر.

و يرفضُ الدكتور عبد المالك مرتاض، الإصرارَ على استعمالِ الألفاظِ الأجنبية في اللغة العربية، مع وجودِ فَيْضٍ فائضٍ من المرادفات العربية، والمستعملة للمعنى نَفْسِه.

ويقترحُ علينا مصطلح السيمائية، و الغايةُ مِنْ ذلكَ، مايلي :

1- اقتصادُ حرفٍ واحدٍ من هذا اللفظ، مادام اللفظان الاثنان يدلاّن في اللغة العربية على شيءٍ واحدٍ باتفاق المُعْجَمِينَ.

2- تلافي اللَّحْنَ الشائعَ لدَى المتعاملينَ حين يضطرونَ إلى تسكينِ ميم السيميائية لطول اللفظ.

3- تَجَنُّبُ استعمالِ لفظٍ أجنبي، مجانًا و بدونِ ضرورةٍ علمية.

4- السيميائية بين الماهية و الوظيفية[57].

مشاهير أعلام السِّيميائية في الغرب :

تنتمي السيميائيةُ - أيّاً كانت التسمية - في أصولها ومنهجيتها إلى البنيوية، إذ البنيوية نفسها منهجٌ منتظمٌ لدراسة الأنظمة الإشارة المختلفة في الثقافة العامة[58] و من أشهر أعلام السيميائية الغرب نذكرُ شارلس ساندرس بيرس، ياكبسون، وامبرتو ايكو،

ومايكل ريفاتير، وإن كان دي سوسير هو الذي استخلصَ مُسَمَّى السيميولوجيا، فإن رولان بارت هو الذي مارسَ التحليلَ السيميائي على أكملِ وجه، جاءَ بما يقلبُ مقولةَ سوسير، إذ زعمَ أنَّ اللسانيات هي الأصلُ، وأن السيميولوجيا فرعٌ منها، ثم جاء جاك دريدا الذي أخذَ بجهود بارت في هذا المجال.

و إذا ما حاولنا معرفة مفهوم السيميائية لدى هؤلاء، فإننا سنجدُ لديهم اختلافاً كبيرا في تحديد هذا المفهوم، فمنهم من يُعَرِّفُ السيميائيةَ على حدِّ قول عبد المالك مرتاض، على أنها علْمُ السِّمات.

على حين أن قريماس يجعلُ تعريفاتِها تختلفُ باختلاف الوظيفة التي يمكنُ أن نُخَوِّلَها إيَّاها، فهي طوراً " نظام السِّمات"[59] و هي طورا ثانياً مجموعة دالة، قابلة على حيازة شيء من النظام، ومن التمفصل الداخلي التلقائي [60].

و هي طورا آخر تعني : تعيينُ مجموعةٍ دالَّة على وصفها قبليا[61] على حين أنها لدى دي سوسير، تعني العلم الذي يدرسُ حياةَ السِّمات ضمن الحياة الاجتماعية، إنها تشكل جُزْءاً من علْمِ النَّفْسِ الاجتماعي، وبالتالي علْمُ النَّفْسِ العام[62] كما يُعَرِّفُها في موطنٍ آخر بأنَّها العِلْمُ العام لكلِّ أنظمة السِّمات[63].

بينما تذهب جوليا كريستيفا في تعريف السيميائية على أنها مذهبٌ قريبٌ من هذا حين تقرر بأنها تتطلع اليوم إلى أن تكون علما للمعاني، وبحكم ماهي عليه فإن السيميائيةَ هي منهجيةُ العلومِ التي تعالج أنظمة الدوال للعلوم الإنسانية ...

على حين أن بلوم فيلد يرى أنه من الضرورة بمكان النهوض بمحاولاتٍ تسعى إلى تطويرِ مَذْهَبٍ عام للسِّمات[64].

و يرى الدكتور عبد المالك مرتاض بأن السيميائيةَ ليست وقفاً على حَقْلٍ دونَ حقل. و لا على جِنْسٍ من العلم دون جنسٍ آخر، من أجل ذلك أُطْلِقَتْ لدى علماء الطبِّ على الأعراضِ التي تكونُ مظنة لمعرفة العلل و الأمراض، انطلاقاً من إمارات معينة يبديها العليلُ أو تبدو عليه[65].

و في الدراسات اللغوية و الأدبية. نستخدم السيميائيةَ لأجلِ البحث في السِّماتِ التي يُعَبِّرُ المرءُ بها عن أغراضه المختلفة في حياته اليومية، الفكرية و العاطفية و السياسية و سواها....

و هي السِّيماتُ التي تتجسَّدُ في الألفاظ و الرموز و الإشارات و الأصوات، و الألوان و الخطوط، و الأبعاد، إنطلاقاً من عُرْفٍ اجتماعي، أو من إيديولوجيا معينة، مثل اللون الأحمر الذي ينصرفُ بناءً على عُرْفٍ بين الناس إلى الدلالة على الخطر، و الحتف و يغتدي اللونُ هنا سمةً تعويضيةً عن كُلِّ لغة اصطناعية، إذ يمكنُ إدراكُ هذه الدلالة بدون تكلف، تعلم اللغات التي تتفق في عُرْفٍ عام بين البشر على هذا المهد على تجسيد هذا الخطر، و هذه الشبكةُ من المبلغات المختلفة التي يكون بعضها طبيعيا و بعضها الآخر اصطناعيا، هي التي تكون حقلا لنشاط السيميائية لتحديد العلاقات الدلالية (البث والتلقي) [66].

السِّيميائية في التراث الشعري القديم :

للفظ السيميائية حضور في التراث الشعري القديم[67] إذ تصادفُ الكلمةَ مساقة في التعبير عن تجاربَ مختلفة يعيشُها الشُّعَراءُ في مختلف مناحي حياتهم.

فهذا خِدَاشُ بنُ زُهَيْرٍ يقولُ :

بِأَنَّا يَوْمَ شَمْطَـــــةَ قَدْ أَقَمْنَـــا عَمُـــــودَ المَجْدِ إِنَّ لَهُ عَمُودَا

جَلَبْنَا الخَيْـــــلَ سَاهِمَةً إِلَيْهِم عَـــــوَابِسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْعَ قُودَا

فَبِتْنَا نَعْفِـــــدُ السِّيمَا وَبَاتُوا وَقُلْنَا أَصْبِحُوا الأُسْدَ الحَدِيـــدَا

فَجَـــــاءُوا عَارِضًا بَرَدًا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الغَابِ الوُقُـــودَا

و يتكرر استخدام اللفظ في شعر الأعشى في قوله :

أَبَتْ أَعْنَـــــاقُهُمْ عِزاً فَمَـــــا يُعْطُونَ مِنْ غَشَمَا

عَـــــلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ عَـــوَابِسَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

و توظيفُ الشعراءِ للفظ السيما لم يكنِ مقتصراً على المفهومِ الوضعي المتعدِّد لها فحسب، وإنَّما تعدَّاه إلى معناه الاصطلاحي، وما يَحْمِلُهُ من معانٍ تدلُّ على كونه منهجِ الخَلْقِ والإبداعِ، ودلالة على القُدْرةِ والتمكن من الآلياتِ اللغوية للمدونة العربية.

و بردةُ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ صَرْحٌ متقلٌ بالتراكيبِ الإبداعية، التي لا يقدر على قراءتها إلاَّ المتلقي المحترف القادرُ على اختراق أسوارِ اللامية، وَ سَبْرِ أغوارها.

إنَّه القارئ الاحترافي الذي "يتخطَّى المظهريةَ الخارجيةَ، وسياقاتِ البداهة، لينفذَ إلى محصلة الجوهر"[68].

إذ تتوالى الصور الإبداعيةُ التي تحملها الوسائلُ التعبيريةُ المختلفةُ فتجد الشاعرَ يُعيرُ حتَّى الحرفَ اهتماماً فيمنحه قيمةً جمالية، وأهمِّيَّةً في إبراز العلامات، كما هو ثابتٌ في اللامية مع حرف النُّون:

هذه النُّونُ التي تجمعتْ مع مثيلاتها، مكونةً جمهرةً من النونات، التي تجاوزتْ مظاهرُهَا الخارجية، لتكوِّنَ فيما بينها عَبْرَ انسجامِ علائقها بنيةً عميقة، محكمةَ التركيب، ويتضحُ هذا في البيتِ الرابع والثلاثين، الذي يقول فيه :

نَـــوَّاحَةٍ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْـــسَ لَهَا لَـــمَّا نَعَى بَكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

فالعلاماتُ السيميائيةُ لحرف النون هنا، هي : الحزنُ و المأساة، و الخوفُ و الوحدة.

نواحةٌ – رخوةُ الضبعين – نَعى – الناعون.

و قد جاءت النونات موزعةً بين أصلية وزائدة، وحالة الزيادة أنَّها وردتْ عوضاً من التنوين في المفرد في آخر المثنى تارةً، وجمع المذكر السالم مرَّةً أخرى[69].

و هكذا تجاوزَ كعبٌ بمنهجه السيميائي، البنى التركيبية، إلى أصغرِ مكوِّنٍ للبنى الإفرازية، وهو الحرفُ، والأداءُ الإجرائي في نظمه وتضامه مع باقي مكونات الصيغة في نظامٍ لغوي معين، وأثر القواعد النحوية، والبلاغية في توجيه دلالته، وتحديد قصده.

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَتَعْرِفُ أَطْلاَلاً شَجَوْنَكَ بِالخَـــالِ وَعيشَ زَمَانٍ كَانَ فِي العَصْرِ الخَالِـــي

لَيَـــــالِيَ رَيْعَانُ الشَّبَابُ مُسَلَّطٌ عَلَيَّ بِعِصْيَانِ الأَمَـــــارَةِ وَ الخَالِ

وَ إِذا أَنَـــا خِدْنٌ لِلغَوِيِّ أَخِي الصِّبَا وَ لِلغَزَلِ المِرِّيحِ ذِي اللَّهْوِ وَ الخَـــالِ

لَيَـــــالِيَ تُكْنَى تَسْتَبِينِي بَذَلَّـــهَا وَ بِالنَّظَرِ الفَتَّانِ وَ الخَدِّ وَ الخَـــالِ

إِذَا سَكَنَـــتْ رَبْعًا رَتَمَتْ رِبَاعَهَا كَمَا رَتَمَ المِئْنَاءُ ذُو الرِّيَّةِ الخَالِـــي

وَ يَقْتَادُنِي مِنْهَـــا رَخِيمٌ دَلاَلُـــهُ كَمَا اقْتَادَ مُهْراً حِينَ يَأْلَفُهُ الخَالِـــي

إن توظيفَ الشَّاعرِ لكلمة تتكررُ دائماً هي قافيةُ أبياته، إشارةٌ أخرى إلى أنَّ الشعراءَ القُدامى قد امتطوا السيميوطيقا بمعناها الحديث، إذْ تعددتْ أساليبُ استخدامها، كما يبدو في هذه الأبيات الشعرية التي تنوعت فيها معاني كلمة (الخال).

إذ تحتاجُ من القارئ درايةً واسعةً بمفرداتِ الكلمِ العربي وتفاصيله ومدلولاته.

(فالخالُ) لو وردت في بيتٍ واحدٍ لأمكنك أن تجعلَ معانيها تتشعبُ وتختلفُ، عبر فلسفة من سيمياء التأويل تعملُ الفكرَ، وتكدُّ العقلَ.

فيجسدها لك الشاعر في دلالتها المتنوعة عبر سُلَّمٍ تمتطيه في ستة أبيات.

فالخالُ التي هي الموضع في البيت الأول وهي الماضي في الثاني، والعجب في الثالث، والذي لا زوجة له في الرابع، وفي الخامسِ النقطةُ السَّوْدَاءُ، والسادس الذي ليس له مُعِينٌ، والسابع الذي يسوسُ الدواب[70].

ومن هذه التخريجات تنشأ أساليبُ بديعيةٌ، لها أثرها في جمالية ورونق الشِّعْر.

ومثل هذا ما أنشده المدائني للخليلِ بنِ أحمدَ :

يَا وَيْحَ قَلْبِـي مِن دَوَاعِي الهَوَى ... إذْ رَحَلَ الجيرانُ عِنْدَ الغُـــرُوبْ

أَتْبَـــعْتُهم طَرْفِي وَ قَدْ أَمْتَعُوا ... وَ فَيْضَ عَيْنِيَّ كَفَيْضِ الغُـــرُوبْ

بَانُوا وَفِيهِم خُرَّةٌ طَفْـــلَةٌ ... تَفْتَرُّ عَنْ مَكْنُونِ حبِّ الغُـرُوبْ

فأنت ترى أن القافيةَ تتكررُ في الأبيات الثلاثة، ولكنَّ دلالتها تختلفُ و تتباينُ في كُلِّ بيتٍ.

فلفظةُ الغروب في البيت الأول تعني غروبَ الشمس، و الغروب في البيت الثاني، يعني جَمْعَ غَرْبٍ وهو الدلو الكبيرة، و الغروب الثالث عنى به الشاعر الكفرى وهو الطلع[71].

إنَّ الشاعرَ يتلاعبُ بألفاظ المدونة، التي اتفقتْ حروفُها، واختلفتْ معناها، وهذا نهجٌ سيميائي، صَعْبٌ و طويلٌ سُلَّمُه، لا يرتقيه إلا الذي يعلمه سواء أكان المبدع أو المتلقي ، إنه مجالٌ شعري خصب لا يصولُ فيه، و لا يجولُ، إلا اليلمعي الخنديذ، القادرُ على تحريكِ هذه الاستخدامات الدلالية في مَوْضِعها المناسبِ كما يحدده السياقُ، وطبيعةُ

الهدف الذي يروم تحقيقه من خلال الأدوات اللغوية، من جهة وما يلحقه من إضافة وإرداف في توسيع آفاق الدلالة، والمد في أبعاد التأويل.

إنَّ اهتمامَ الشعراء عَبْرَ العصور المختلفة، دفعَ الشاعرَ لأن ينحى بالسيميائية منحى مغايراً تتمركزُ إشاراتُه الدلاليةُ في القافية، فترى كيف تتفقُ الوحداتُ الدلاليةُ في قوافي الأبيات لتتعدد دلالاتُها فتشع على معانٍ مختلفة.

وقد حملت المصنفاتُ العديدَ من هاته الأشعار التي ينحرفُ فيها السياق عن المتداول المعتاد بالتعبيرات المجازية، و الكلمات المتناقضة المختارة بين البدائل المتعددة، لتوصلك إلى نَصٍّ إبداعيٍّ ثانٍ يوازي النصَّ الإبداعيَّ الأوَّلَ.

الإحـــالات

1- لفظ السِّيمِيَاءُ (بكسر الميم) اسمٌ و مصطلحٌ عربي أصيل، ضرب بجذوره أعماق التراث العربي. لكنَّ بعض الباحثين الأعراب يستعملون لفظ السِّيمِيَائِيَة (بتسكين الميم ، و منسوبة بنسبة لادماجي لها) و كذلك تم تأنيثها، و هذا غير جائز و لا لازم. و اشتهر هذا الاستعمال المُسَكِّنُ الميم لكونه ترجمة عن اللفظ و المصطلح الأجنبي.

و اعترض بعضهم – كما سيرد خلال هذا البحث – على هذا المصطلح (المسكن الميم) و أشاروا إلى حذف الياء الساكنة الأولى و ذلك تجنبا لالتقاء الساكنين.

و نعنون هذا البحث باللفظ و الاسم و المصطلح العربي التراثي الأصيل ، الذي لا اعتراض عليه ، و لن يكون لأحد مجالات احتجاج حوالية.

2- أستاذة مساعدة قسم أ بكلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية بجامعة الشلف ؛ و باحثة في موضوع : الظواهر السيميائية في النص الأدبي العباسي بين الأصالة و الحداثة ؛ إشراف الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار ، بجامعة بوبكر بلقايد – تلمسان.

3- أسرار البلاغة – تحقيق محمد الفاضلي – ص 277.

4- سوم (سماهم ، مسومين ، مسومة ...) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ محمد فؤاد عبد الباقي – 372.

5- سورة البقرة – الآية الكريمة 273

6- سورة آل عمران – الآية الكريمة 14.

7- مختصر تفسير ابن كثير 1 / 270.

8- سورة آل عمران – الآيات الكريمة 123 – 125.

9- مختصر تفسير ابن كثير 316/1.

10– سورة الأعراف – بعض الآية الكريمة 46.

11– سورة الأعراف – بعض الآية الكريمة 48.

12– سورة محمد – بعض الآية الكريمة 30.

13– (يعرفون كلاً بسيماهم) قال ابن عباس : يعرفون أهلَ الجنة ببياض الوجوه ، و أهلَ النّار بسواد الوجوه.

(يعرفونهم بسيماهم)

يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجالٍ من صناديد قريش و قادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم.

(فلعرفتهم بسيماهم) : لعرفتهم عياناً.

راجع : مختصر تفسير ابن كثير 22/2 – 23 و 336/3

و سأشير إلى هذا المصدر – فيما يأتي – بلفظ المختصر.

14– سورة هود – الآيتان الكريمتان 82 – 83.

15– سورة الذاريات – الآيات الكريمة 31 – 34.

16– المختصر 2 / 228.

17– المختصر 3 / 385.

18– سورة الفتح – بعض الآية الكريمة 29.

19– المختصر 355/3.

20– سورة الرحمن – الآية الكريمة 41.

21– المختصر 420/3.

22– مسلم من الحجاج ، الطهارة : 36 – 37.

23– ابن ماجة ، الزهد : 34.

24– الترمذي ، الجمعة : 74.

25– أحمد بن حنبل : 81 – 1 – 174.

26– اللسان (لسان العرب لابن منظور) 3 / 2159.

27– انظر : مادة (سَوَمَ) : معجم العين للفراهيدي 321/7 – صحاح الجوهري 1955/5 ، جمهرة ابن دريد 257/3 – محيط الفيروز آبادي 135/4 – أساس الزمخشري 469 – لسان ابن منظور 312/12.

28– 2158/3 و ما بعدها.

29– تاج الزبيدي ، مادة سوم ، طبعة بولاق 8 / 350.

30– سورة الفتح – بعض الآية الكريمة 29.

31– محمد سعد الله – مملكة النص.

32– أنظر كتاب دراسة سيميائية و دلالية في الرواية و التراث، لعبد الجليل مرتاض، الأبيار، الجزائر، 2004، الصفحة 68.

33– السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (دط) – (دت)، – 15/4

34– المعجم الوسيط ، أحمد حسن الزيّات و آخرون 468/1. و ينظر معجم الوالد – جبران مسعود 853 و معجم متن اللغة ، محمد رضا 257/3.

35– الموسوعة العربية الميسرة : إشراف : محمد شفيق غربال 1056 و ينظر الموسوعة الثقافية : إشراف حسين سعيد 581.

36– والفرق بين الاشارة والعلامة، أن الإشارة تقتضي وجود طرفي : مرسل (بكسر السين) غرضه الإخبار بشيء ما، ثم الإتفاق عليه، ومستقبل (بكسر الباء)، أما العلامة فهي لا تقتضي وجود هذين الطرفين، أنظر المرجع السابق، الصفحة 70.

37– مروج الذهب للمسعودي ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1966، 145/2.

38– الجفار، ماء لبني تميم بنجد، وهي بلاد الرمل.

39– المصدر الأسبق، 150/2.

40– عبد الجليل مرتاض، "دراسة سيميائية دلالية في الرواية والتراث" ، الصفحة 73.

41– المختصر 244/1

42– سورة الحجر – الآية الكريمة 75

43– دراسة سيميائية دلالية في الرواية و التراث – ص 74.

و قد آثر ابن خلدون تسمية (السيمياء) بـ (علم أسرار الحروف) و قد تناولها في حديثه عن السحر ، و ذكر أن الفلاسفة يسمونها في باب الشعوذة (مقدمة ابن خلدون 273 – 275)

و تؤكد دائرة المعارف الإسلامية أن لفظة (سيمياء) من الكلمات العربية القديمة التي تعني السِّمة أو الإشارة أو الإشْعَار و ألّها استخدمت في الأصل للإشارة إلى معاني السحر ، و قد أُطْلِقَتْ على علم الطلاسم بصورة عامة. (دائرة المعارف الإسلامية 20/13 –21).

44– لما سُئِلَ العربُ لماذا تسمون أبناءكم بالأسماء المشينة وعبيدكم بالأسماء المستحسنة؟ أجابوا لأننا نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا " الاشتقاق " لأبن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (دط)، 1995 ، 6/1.

45– فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، تحقيق أمين نسيب، خط دار الجيل، بيروت، الصفحة 442.

46– دراسة سيميائية دلالية، الرواية والتراث " لعبد الجليل مرتاض "، الصفحة 82.

47– كان العرب يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، كما هو ثابت في شعر النّبياني وذي الرمة وزهير و غيرهم.

48– العقد الفريد لأبن عبد ربه، تحقيق : أحمد أمين وزملاؤه، لجنة التأليف والترجمة و النشر، ط 1 – (دت) 361/2

49– أنظر على سبيل المثال : علم الدلالة عند العرب (السيمياء) عاطف القاضي – مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 18 – 19، 1982.

الإشارة : الجذور الفلسفية و النظرية اللسانية – بسام بركة – مجلة الفكر العربي المعاصر – العدد 30 – 31 ، 1984

تيارات في السيمياء : عادل فاخوري ضمن كتاب (الموسوعة الفلسفية العربية) المجلد الثاني – إشراف د. محمد زيان.

50– ص 10 – 11.

51– مملكة النص – ص 14.

52– كتاب الرياض، العدد 47، أكتوبر 1997، عن مقالة : قراءة النص بين محدودية الاستعمال و لا نهاية التأويل، الصفحة 337.

53– C.f greimaret courtes sémiotique. (sémiologie)

54– M.arrivé, la semiotique litteraire, in la semiotique, l'école de paris. P 128

55– الخطيبة والتذكر للغذامي، ص 42 – 43، عن المرجع السابق ، الصفحة 339.

56– المرجع السابق، عن نفس المرجع، الصفحة نفسها.

57– المرجع السابق، الصفحة 343.

58– دليل الناقد الأدبي، البازغي و الرويلي – ط3 – (دت) – الصفحة 177 – 178.

59– Graimast gourtés , op. cit. p. 339

60– المرجع السابق، الصفحة نفسها.

61– المرجع السابق، الصفحة341.

62– George mounin , introduction a la sémiologie paris . minint. P.m. – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

63– F.de saussure, cours de linguistique géneral intro,3. – عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

64– G.Kristeva. Op .cit . t.m.p 703 – عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

65– Bloomfield In.f.martinet .la sémiologie. p67 – عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

66– كتاب الرياض. العدد 46 . 1997 قراءة النص بين محدودية الإستعمال. و لا نهاية التأويل لعبد المالك مرتاض الصفحة 344. و قد أوجد الباحثون دراسات تندرج تحت هذا المصطلح: كالسيميائية بالطبيعة و السيميائية الكبرى. و البيوسيميائية و الحكم السيميائي.و الشحنة السيميائية. و التحليل السيميائي. و الإنثو سيميائية. و الحقل السيميائي.و النمو السيميائي. و كثر من هذا المصطلحات المنبثقة من تمهيد مفهوم السيميائية. راجع كتاب دليل الناقد الأدبي. ط3– الصفحة 177–178.

67– دراسات في الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام/ قضايا وظواهر، للأستاذ الدكتور : رضوان محمد حسين النجار، مطبعة بوصالي – تلمسان – الجزائر – ط 2 – 1429 هـ/2009 م، هامش صفحة 203 – 204.

68– المرجع السابق، الصفحة 187.

69– المرجع السابق، الصفحة 202.

70– نصرة الإغريض في نصرة القريض، تأليف : المظفرين الفضل العلوي – تحقيق الدكتوره : نهى عارف الحسن، مطبعة الطريحي – دمشق – 1396 هـ / 1976م – الصفحة 94 – 95.

71– المصدر السابق – ص 93

أغمانيات المعتمد بن عباد

دراسة في الموازنة الشعرية

بقلم : أ.بن منصور أمينة.

مراجعة : أ.د/بومدين كروم.

لقد شهد العصر العباسي تطوراً حضارياً ملحوظا عم الحياة الاجتماعية والثقافية و السياسية، ذاق الإنسان في أجوائه طعم الترف ، و انساق وراء الزخرف ، وهو إحساس طال الأدب أيضا ؛ فمالت طائفة من الشعراء إلى العناية بالصورة اللفظية وإثقالها بالمحسنات البديعية وتعميق معانيها بالغموض والتكلّف، وعلى رأس هذه الطائفة أبو تمام ومسلم بن الوليد وغيرهما ممن صنفهم النقاد ضمن مدرسة أنصار الصنعة ، على حين بقيت طائفة أخرى تحذو حذو الأوائل في العناية بعذوبة العبارة وبساطة العرض مع الإقلال من الزخرف اللفظي، و قد مثل هذه الطائفة البحتري وأبو العتاهية و غيرهما ،و هؤلاء معدودون عند النقاد في زمرة أنصار الطبع.

و طبيعي و الحال تلك أن تكون هناك محاولات للترجيح بين المدرستين و المفاضلة بينهما ، فظهر ما يعرف بالموازنة ، و لعل أول من سبق إلى هذا المنهج في الدراسات الأدبية ، الآمدي(ت 370هـ) في كتابه : الموازنة بين الطائيين ، الذي كان تلبية لحاجة علمية ملحّة سببها ذلك الصراع الدائر حول مذهب الأوائل .

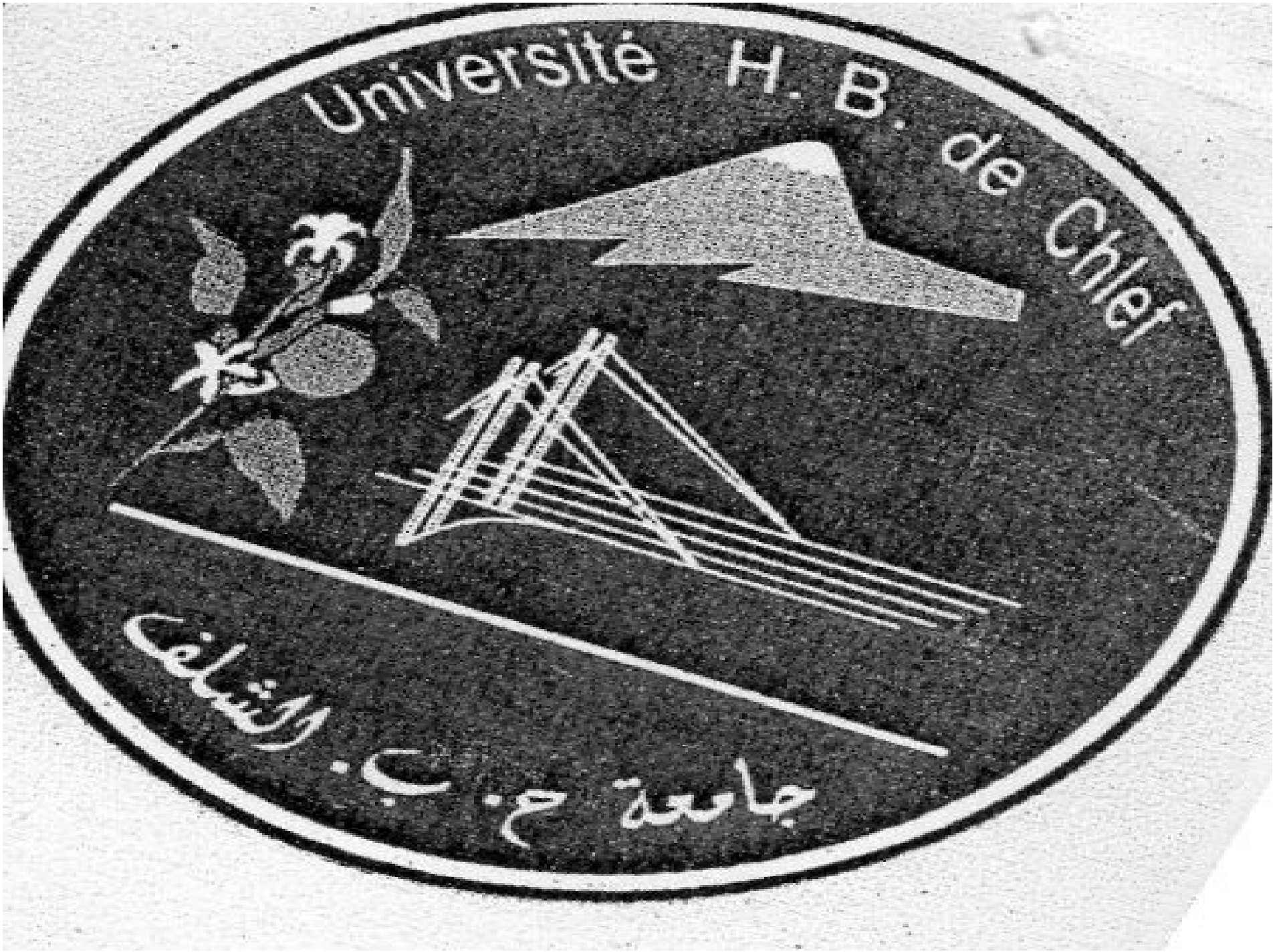
Université H. B. de Chlef
جامعة ح. ب. الشلف

الفهرس

- الدروس المستفادة من الأزمة المالية العالمية والرؤية المستقبلية لمؤسسات الزكاة. 3
د. أشرف محمد دوابه

- تطور مفهوم الأملاك الوطنية في القانون الجزائري. 23
أ. معمر قوادري محمد

-إعلام البائع (المنتج، الموزع) بالوسائل الحديثة وموقف الفقه الإسلامي منها. 32
د. إبراهيم عماري

- الأنظمة اللغوية للوحدة الإفرادية في النص الإبداعي. 46
أ. حمدية زدام

- التشكيلات الإيديولوجية داخل الحركة الصوفية. 50
د. محمد طوالبية

- التكوين المهني والتشغيل في الجزائر. 66
د/رواب عمار أ/ غربي صباح

- الوظيفة الرمزية للأسطورة في الوصول إلى الحقيقة. 74
أ.صياد فاطمة

- آليات القانون الدولي والوطني للوقاية والعلاج من جرائم المخدرات. 84
أ/ مجاهدي إبراهيم

- تدنية التكاليف كأسلوب هام لتعزيز القدرة التنافسية للمؤسسة الإقتصادية. 100
أ.براهمية ابراهيم

- دور الشفافية العملية في تعلم تفضيلات البنوك المركزية. 111
د. هني محمد نبيل

- سياسة سعر الصرف بالجزائر. 121
أ.د شعيب بونوة أ . خياط رحيمة.

- سياق الحال وبعض شواهده من القرآن والسنة وسيرة والمعجم. 130
أ/د.عبد القادر سلامي

- طرائق قدماء اللغويين العرب في التعريب اللفظي. 134
أ. صديق ليلى

- من أسرار نجاح التجربة اليابانية. 140
د. تقية محمد المهدي حسان

- دراسة دافعية الممارسة الرياضية في كرة القدم النسوية: تأثير الجنس والملمح الجنسي. 153
د. إكيوان مراد

- إنعكاسات تمثلات أساتذة التربية البدنية للمادة على تنمية أبعاد الهوية الثقافية لدى تلاميذ الطور الثانوي في ظل الرهانات المستقبلية لعولمة الثقافة. 162
د.أحمد تركي

الأسس الفكرية لدى علماء مدرسة الأشاعرة وتطبيقاتها في العملية التربوية 179
د. صالح سلامة البركات وآجرون

الاكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

الأنظمة اللغوية للوحدة الافرادية في النص الابداعي

Linguistic Units and Vocabulary Unity in Artistic Texts

أ. حمدية زدام
أستاذة بكلية الآداب واللغات
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
Email: hamdiazeddam@yahoo.fr

ملخص

إن النص إطار فني منتظم، تتفاعل في ثناياه، وحدات لغوية، ترتبط فيما بينها بواسطة علائق متباينة، على مستويات متنوعة لتحقق وظائف عديدة، أرادها المبدع، أن تتجسد في نصه الابداعي، وهي لاشك تتحقق في التوظيف الصحيح للفظة المفرده، في مساق يربطها بباقي عناصر التركيب، في سياق تعبيري، يخضع لمعايير وقوانين تكتمل بها الخصائص الافرادية للنموذج الفني.

الكلمات الدالة: الأنظمة اللغوية، للوحدة الافرادية، النص الابداعي

Abstract

The text is a regular artistic from in wich many linguistic units react, the latter are related to each other by a variety of relations at various levels to reach many function that the creative likes to be performed in his text. These linguistic units are fortunately crucial in the correct implementation of individual words within a certain context i.e. the rest of elements in a context. This implementation generally submits to a number of rules and norms to complete the individual characteristic of the artistic sample.

لقد ذكر علماء اللغة أن للألفاظ المفردة خصائص وهيئات تتصف بها، وقد اشار ابن الأثير الى ذلك في حديثه عن الفصاحة والبلاغة.ففي المسالة المتعلقة بالبنية الصوتية[1]، ذكر أن الألفاظ داخله في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما استلذه الشمع منها فهو الحسن، ما كرهه ونبا عنه فهو القبيح.فسر استخدام العرب للألفاظ الحسنة، راجع الى خصائص وهيأت وعلامات توفرت فيها[2]

وان سنان الخفاجي يعرض الى صفات الألفاظ، ويقسمها الى عدة اقسام:[3]كتباعد مخارج الحروف: فمعظم كلام المدونة العربية دائر عليه، لان الواضع قسمها في وضعه الى ثلاثة اقسام: ثلاثياً ورباعياً وخماسياً، وأكثرهم استعمالا، الثلاثي ثم الرباعي الذي هو وسط بين الثلاثي والخماسي، في العدد والاستعمال، أما الخماسي فهو الأقل، ولهذا أسقطت ألفاظ كثيرة تتقارب فيها مخارج الحروف. فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين، كذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف، ولا بين اللام والراء، ولا بين الزاي والسين.

كذلك ينبغي ، أن يجتنب في التركيب على الحركتين المتواليتين، إذا توالى حركتان ثقيلتان ، في لفظة واحدة. استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو، والكسرة على الباء، لأن الضمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان كالجُزُع .[4]

وميزان هذه الاحكام هو حاسة السمع، فهي الحاكمة فيهذا المقام، بحسن ما يحسن من الالفاظ، وقبح ما يقبح منها

ومن اوصاف الكلمة ان تكون مؤلفة من اقل الأوزان، تركيبيا، وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه سر الفصاحة[5]، وذلك مثل لفظة: سُوايداواتها.

ويرى ابن الاثير أن الاصول من الالفاظ لاتحسن إلا في الثلاثي، وفي بعض الرباعي واما الخماسي من الاصول فإنه قبيح[6]، اذ ينبغي تجنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها، سواء اكانت طويلة أم قصيرة كقول امرئ القيس: غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ الى العلا....فهي كلمة يقبح استعمالها، لأنها

تثقل على اللسان، ويشق النطق بها.ومن الخصائص الجوهرية الأخرى، علاقة اللفظ بالمعنى اذ ينبغي حصول علاقة تناسب بين الفعل ومعناه، من حيث بنية الصيغة ودلالتها على المعنى الافرادي لذات اللفظ

مثلاً: صر (صوت الجندب) ثلاثي مضعف العين، فتضعيف الراء الناشئ عن التشديد فيها ،ينتج عنه نوع من المط والاستطالة، ينشأ عنه سمة التكرارية التي تتسم بها الراء وهذا في نهاية الكلمة ما في صوت الجندب من مد واستطالة فالمناسبة هنا ظاهرة بين أصوات هذه الكلمة ومعناها الذي تدل عليه.[7]

وقد التفت الخليل وسيبويه الى اثر زيادة المبنى في زيادة المعنى ، كما قد التفتا الى الغرض من تلك الزيادة، كما هو الشأن في التوكيد والمبالغة، فقيل: اعشوشبت الأرض، يريدون ان يجعلوا ذلك كثيراً عاماً، قد بالغ [8]

وقد عقد سيبويه لذلك بابا في كتابه، وسماه « ماجاء على مثال واحد، حين تقاربت المعاني» [9]

فزيادة المبنى في هذه الصيغة، قد ناسب زيادة المعنى، وهو إرادة المبالغة[10] وابن جني أخذ اشارات كل من الخليل وسيبويه في هذا المجال، وأولاها عناية فائقة، إذ أخذ يعلل ويبين وجه مناسبة تلك المصادر لمعانيها تعليلا جيداً بقوله

«فقابلوا بتوالي حركات المثال (أي الصيغة) أو البنية توالي حركات الأفعال» [11]

كذلك تطرق علماء اللغة الى أهمية نظم الحروف، ودلالات الأصوات التي يعطيها لها السياق،وابن جني ينتبه إلى القضية، ويمنحها عناية كافية. كما يتبين من خلال قوله لما رأى أن « دلالة الكلمة باعتبارها تركيباً صوتياً له بنية وهيئة بعينها بحيث يبحث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة، ومناسبة ذلك التركيب، وتلك الهيئة للمعنى، الذي وضعت له الكلمة[12]

لقد أهتم ابن جني بدراسة الدلالة الصوتية، على هذين المستويين[13] في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) حيث يقول: « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم وواسع[14].

فللصوت وظيفة لغوية تكمن في بناء مركبات صوتية أكبر، فالفونيم، وهو أصغر وحدة صوتية، يساهم مع غيره في بناء وحدة صوتية أكبر من الفونيم، وهي المورفيم، فيحدث من خلال ذلك، تغيير معنى الوحدة الصوتية أو العلامة اللغوية جاعلا منها صيغة صرفية جديدة، بمعان مكتسبة، ومختلفة تتطابق وما تدل عليه

ففي صيغة (فَعلاَن) تلمح المناسبة بين تلك الحركات المتوالية التي جعلت تلك الصيغة، بذلك التركيب الصوتي وبتلك الهيئة مناسبة أتم المناسبة لمعناه الدال على الحركة والاضطراب.

متلاً في المصادر الرباعية المضعفة، تجدها تأتي للتكرير نحو: زعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة.....

فهي كلها تدل على التحريك، إذ تستشعر روابط من التناسب بين البنية الصوتية لهذه المصادر، ومعناها يقول ابن جبي» إن هذه المصادر بما اشتملت عليه من تضعيف وتكرير تناسب ما تدل عليه معانيها

من التكرير المشترك بين ألفاظ تلك البنى مما يضيف الى معناها المعجمي، معنى أخر تضيفه دلالتها الصوتية» [15]

ومثل ذلك أيضا صيغة (الفعلى)، وما تدل عليه من معنى السرعة والتتابع وتوالي الحركات.

أما الافعال المجردة فهي تدل على المفاجأة للسمع بالإخبار عن الحدث دون التمهيد بأحرف تسبقه مثل: خرج، دخل ..... فهي اخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت.أما التي تقدمتها الزيادة على الأصل التي جاءت على وزن (فعلل) كأحسن ، أكرم، فهنا يدل على سعي، تسبب وتعمل.... فتشعر في هذه الصيغ بما تقدم الفعل من سعي وتسبب وتعمل ،فأحرف الزيادة التي تتقدم الأصول هي بمثابة مقدمة لها، والمؤدية اليها.

وتكرير العين في المثال، دليل على تكرير الفعل مثل، كسّر، قطّع....فكان اللفظ دليلا على معناه فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابله قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما ومحفوفة بهما. وفي هذا يقول ابن جني:» فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل» [16]

وفي صيغة استفعل جعلت في أكثر الأمر للطلب: نحو: استسقى، استصرخ....

وفي نحو: صرصر، حقحق، فهي دليل على تقطيع الفعل[17]

وهذه ظاهرة واضحة في كل اللغات وهي ماصطلح على تسميتها onomatopoeia وهي الالفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة[18]

فترى أن الدلالات الفنية، وليدة السياق وخليقته فالسياق هو الذي حمّل الصوت هذا المعنى، إذ الحرف خارج النظم يحمل دلالات حينية تتغير وتتبدل لما يُلحق بسياق الحروف الأخرى المشكلة للفظ. فيحصل تفاعل دائب بين السياق والتشكيل الصوتي فالمبدع يختار من الأصوات، مايتناسب والمعنى المعبر عنه، في سياق يمنح للفظة دلالات فنية ايحائية تحمل علاقات خفية بين السمات الصوتية والمعاني الدالة عليها [19]

التكثير والمبالغة مثل: علاّمة ونسابة وعلى التمييز بين الجمع والمفرد والنون في أواخر بعض الأفعال تنم على أن الفعل فاعله أكثر من شخص أو مفرد أو مؤنث.

وهكذا نخلص إلى أن النص نتاج سلسلة من المركبات التعبيرية التي ترتكز على خصيصة جوهرية تعد اللبنة الأساس في تشكيل هذا البناء اللغوي للنموذج الابداعي وهي الأصوات والوحدات اللغوية الصغرى المكونة للبنية المفردة جاعلة منها إشعاعاً إيحائياً متشظيا يبلغ الآفاق

إنه المخزون المعرفي الذي يستقر في الحس اللغوي للمبدع فيعمل على توجيهه ويدله على اختياره وعلى مستويات مختلفة بطريقة لاشعورية أقرتها لديه السليقة العربية والموهبة الصافية التي ميزت العربي عن غيره.

الهوامش

(1): انظر كتاب المثل السائر لابن الأثير

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- القاهرة (دط) 1939-148/1.

(2): راجع باب ألفصاحة والبلاغة من المصدر السابق.

(3): سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان 1982 ص60.

(4): المثل السلئر 191/1

(5): سر الفصاحة: ص 81.

(6): المثل السائر 188/1

(7): الخصائص لابن جني تحقيق الد: عبد الحميد هدداوي-دار الكتاب العلمية-بيروت-لبنان 2003 ط18/12

وانظر كتاب الاقتراح في علم اصول النحو للسيوطي تحقيق: محمد حسن اسماعيل الشافعي-دار الكتاب العلمية-بيروت لبنان ط1-1998 ص 17.18.19

(8):الكتاب لسيبوبه-المطبعة الكبرى لأميرية ببولاق-مصر المحمية 241/2.

(9): المصدر السابق 219/2 و 214/2. 216

(10): الخصائص 152/2.

(11): المصدر السابق 52/2

(12):المصدر السابق 20/1

(13):المستوى الأول من ذلك كان النظر الى صفة الحرف ومخرجه وهذا مايصطلح بـ:(phonetique).

(14): المصدر السابق 157/2

(15): المصدر السابق 22/1

(16): المصدر السابق 24/1.

(17): المصدر السابق 155/2

(18): أنظر كتاب دلالة الألفاظ لابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو مصرية -ط6 1991 ص 68-69

ودي سوسر من أشهر المعارضين لاصحاب الصلة بين الالفاظ والدلالات إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق او نظام مطرد

انظر كتاب دروس في الألسنة العامة: ترجمة صالح الفرماويوغيره الدار العربية للكتاب 1985.

(19): يراجع كتاب الخليل من احمد، وكتاب سيبوبة، وكتاب ابن حني، وكتاب ابن الاثير، وكتاب ابن فارس هؤلاء النفر من العلماء تحدثوا عن دلالة الصوت ومناسبته لمعناه

(20): أنظر الكتاب لسيبوبة 38/4.

(21): شرح الشافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر العربي- بيروت لبنان 1975 71/1.

(22): الكتاب لسيبوبة 38/4

(23): راجع كتاب الدلالة الايحائية للصيغة الافرادية د.صفية مطهري طبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق 2003 ص 80.

(24): ينظر كتاب في اللسانيات ونحو النص لد: ابراهيم خليل- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (دط) 2007 ص 78.

(25): ينظر المرجع السابق في المبحث الخاص بنظرية المورفيم.

المصادر والمراجع المعتمدة

المصادر

1 - الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني -تحقيق: الدكتور: عبد الحميد هنداوي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط2-2003.

2 - الاقتراح في علم أصول النحو.لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي-دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان-ط1-1998.

3 - الكتاب لسيبويه-المطبعة الكبرى الأميرية -بولاق-مصر-المحمية.

4 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- القاهرة (دط) 1939.

5 - سر الفصاحة لابن سينان الخفاجي- دار الكتب العلمية-بيروت - لبنان - 1988.

6 - شرح الشافية لابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن -ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر العربي- بيروت - لبنان- 1995.

المراجع

1 - الدلالة الإيحائية للصيغة الأفرادية-د.صفية مطهري-طبعة اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2003.

2 - في اللسانيات ونحو النص لد: إبراهيم خليل-دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة -(دط)2007-.

3 - دلالة اللفاظ، لابراهيم أنيس-مكتبة الانجلو مصرية-ط6-1991.

والعلماء القدامى كالخليل وسيبوبة قد تطرقوا الى هذا الجانب الخاص بالمستوى الفونولوجي للبنية المفردة وهي جهة تنظر الى التراكيب الصوتية داخل البنية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها، لكن ماأضافه ابن جني يفوق بكثير ما أشار اليه.هؤلاء

ومن صفات الافراد، التغيير، وما يلحق اللفظة من لواحق تهدف الى بناء الكلمة للتعبير عن معان أخرى، تعني بالدلالة الزمنية وهي دالة على حدث يقترن بزمن وتحصل ايحاءات دلالية ناتجة عن مادتها، وهيئتها التي بنيت عليها، وعن استعمالاتها المختلفة.

وهذا التلوين يختص بالفعل في التركيبة الثلاثية وغير الثلاثية وفي عناصرها الصحيحة، والمعتلة، وفي وظيفتها المتعدية واللازمة.[20]

وللصيغ الافرادية دلالات تتغير بتغير البنية، من حيث الحروف والحركات مثلا صيغة فَعَلَ قد تأتي للدلالة على حالات عديدة ففي قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله

حتى أنال به كريم المأكل

دلالة الفعل هنا على الأخذ،

أو دلالة فَعِلَ على العلل والاستقام، كما قال ابن الحاجب وفَعِلَ تكثر فيه العلل نحو: سَقِمَ، مَرِضَ....[21]

ومثل:فَعُلَ التي تدل في الغالب على طبائع، طبع عليها الخلق، ودلالته جعلته لا يكون إلا لازماً لأن الغريزة تكون لازمة لصاحبها ولا تتعداه الى غير وهذا ما أكده سيبويه حين عده ضرباً رابعا لايشركه فيه ما يتعداه وذلك فعُل يفعُلُ نحو يكرُمُ وليس في الكلام فُعُلتُهُ متعدياً»[22] نحو شرُف و ظرُف فتغيرُ حركات الصيغة المكونة من أصول ثلاثية أساسية أدت الى تغيير دلالة اللفظ فالكسره والفتحة والضمة التي لحقت المكوّن الوسط للبنية قد أثرت على دلالة البنية الواحدة، وشملت ايحاءات متنوعة.

كما أن الزيادة على الأصول تحدث تغيراً دلاليا واضحاً وقد تلحق أحرف الزيادة affexation على الأصول الثلاثية تصديراً أو توسيطاً أو تدبيلاً فتمنح الصيغة معاني جديدة.

ونستطيع أن نسمي الصيغة بالمكّون التركيبي المكون من المكّون الأساسي، أي البناء الأصلي والمكّون التحويلي أي الزيادة المضافة ودلالة المكّون التركيبي وهو ما يسمى بالمكّون الدلالي.

فدلالة المكّون التركيبي افعل يشير الى دلالات متنوعة كالتعدية مثلا قولك:أجلستُه الذي يتضمن معنى التصيير كما يأتي للدلالة على التعريض كقولك أبعته: أي عرضته للبيع سواء أبيع أم لا.

وقولك أيسر يشير الى الدلالة على الصيرورة، وقد يأتي للتعبير عن دلالات أخرى، وهذا بالنسبة للمكون التحويلي الذي يتصدر الأصول.

أما إذا توسط أو كان دليلاً للمكون الأساسي فهنا تتغير الدلالة وتتباين [23]

فالزيادة تشمل صيغا عديدة ستختلف دلالتها باختلاف عدد حروف الزيادة التي تلحقها.

ومن الخصائص الاخرى التي تضاف الى الصيغ الصرفية:دور المورفيم في تحويل الصيغة من المفرد الى المثنى الى الجمع وتحديد الحالة الاعرابية كوجود الواو والنون أو الألف والنون في حالة الرفع بالنسبة للجمع والمثنى

كما يحد المورفيم زمن الفعل او تحويله من الماضي الى المضارع او المستقبل او الماضي المستمر او المضارع المستمر او المبني للمجهول بدلا من المبني للمعلوم وهناك مورفيمات عدة لتحويل الفعل زمنيا، فنقول من جلس: يجلس، اجلس، نجلس، تجلس، اجلس، سيجلس، جالس مع الانتباه الى ان بعض هذه المورفيمات وهي في الغالب إما ياء او تاء او همزة والسين التي للتسويق ،سوف تحدد في الوقت ذاته نوع الفاعل وجنسه.

فالهمزة للفاعل المتكلم، والنون للجمع المتكلم والياء للغائب، والتاء للغائبة وهمزة وصل في اول الفعل الساكن الاخر للمخاطب المذكر.أما كلمة جالس فهي تدل على الفعل المضارع المستمر ومن وظائف المورفيم: التصغير وهو اضافة ياء بعد الصوت الثاني من اصول المكون الاساسي المجرد من المكونات التحويلية مثل: نهر ، نُهَيرْ [24]

والمورفيمات انواع حرة ومقيدة.مثلا: المورفيم الحر (مسلم) لو اضفنا له مورفيماً مقيداً (ات) يمنحنا (مسلمات) صيغة جمع المؤنث السالم، فمورفيم الجمع (ات) (sufix) يعد لاحقة اضيفت للجذر وفي قولنا رجل ورجال، جاء المورفيم في وسط الكلمة فهي (داخله) (infix).

وقولنا الرجل المورفيم (ال) جاء في أول اللفظة (prefix) وهناك المورفيم الصفري، وهو المورفيم المغّيب الذي يقدر المتلقي وجوده وهو أن تتغير دلالة الجذر أو معناه أو استعماله من غير حاجة الى المورفيم مثل: عجوز أو قولنا: اذهب بعيداً فإننا لا نحتاج الى ذكر الفاعل، وهو ضمير المخاطب.

وللمورفيم الاشتقاقي دور في تغيير المعنى كقولنا شفي وأشفى أو أن يؤدي الى تغيير صنف الصيغة الصرفية فيحول الفعل الى اسم أو الاسم الى فعل أو أي صيغة أخرى بديلة [25]

فللمورفيمات أهمية في تنويع دلالات اللفظ العربي فتدل على

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

العدد 16/ جوان 2010

مجلة الآداب و اللغات

مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب و اللغات

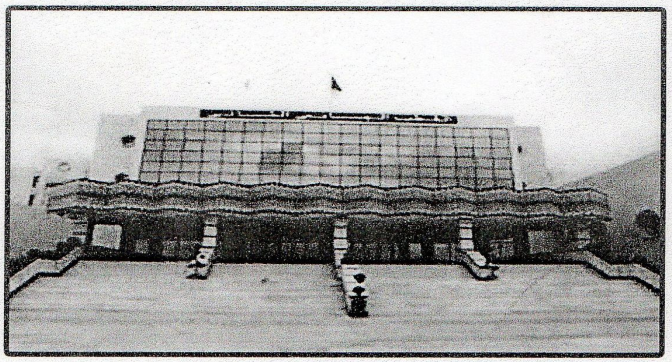

محتوى العدد 16

الصفحة

ـ كلمة مدير المجلة 05

ـ السماع في كتاب سيبويه"نظرة إحصائية" د. فهد سالم خليل الراشد -- المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون (تونس)07

ـ أسس التنظير النحوي ومناهجه د/ عبد الحليم بوفاتح– جامعة الأغواط 43

ـ المؤتلف والمختلف قراءة في نونية ابن زيدون د/ عبد الخالق رشيد ـ جامعة وهران 70

ـ التأمل الفلسفي في ما وراء المنهج من أجل منهج المنهج أ.مونيس بخضرة– جامعة تلمسان 89

ـ السيمياء في تراث العربية – جذور وأصول . أ.حمدية زدام ـ جامعة الشلف 102

ـ أغماتيات المعتمد بن عباد ـ دراسة في الموازنة الشعرية
بقلم : أ.بن منصور أمينة. مراجعة : أ.د/بومدين كروم. (جامعة تلمسان) 127

ـ حوار المناهج النقدية في تحليل الخطاب د/ سميرة رفاس ـ جامعة سيدي بلعباس 136

ـ المعرفة اللسانية الماورائية ودورها في تحديد الكفاءة المعرفية والاستخدامية للغة
أ.سجلماسي محمد الأمين ـ جامعة تلمسان 146

ـ الكتابات الاستشراقية الفرنسية عن طوراق الهقار أ.شهاب سامية – جامعة سعيدة 166

ـ قراءة تحليلية لبديعية الشقراطيسي
بقلم : أحمد طول ومراجعة : أ. د/ رضوان النجار ـ جامعة تلمسان 181

ينجلي العدد 16
من خيوط الفكر المتعدد
لا تخلو من متعة و فائ
كلية الآداب والعلوم
التسمية الجديدة للكلية
الأم إلى كليتين اثنتين
ولقد قطعت مجلة
زهاء 12 سنة، صد
وأساتذة وباحثين و
والاهتمامات ...
وهاهي اليوم تصا
لتطالع قراءها بدراس
الفكر العلمي المتخص
فالمتلقي لهذا ال
والفلسفة وعلم الن
وأنجليزية .. وهذا
المفيد وفق النهج ال
فمثلاً يقرأ ال
الأول والثاني ، وي
المقالات التالية :
والمقال رقم 11
أما المقال الثامن ف
واستخداماتها ..
ابات الاستث

قالَ الجَوْهَرِيُّ : السِّيما مَقْصُورٌ مِنَ الوَاوِ.

قال تعالى : "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ".

قال : و قَدْ يَجِيءُ السِّيمَا و السِّيمِيا مَمْدُودَيْنِ ؛ وَ أَنْشَدَ لأُسَيْدِ بنِ عَنْقَاءَ الفَزَارِيِّ يَمْدَحُ عُمَيْلَةَ حِينَ قَاسَمَهُ ما لَهُ :

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعاً ... لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ ... وَ فِي جِيدِهِ الشِّعْرَى وَ فِي وَجْهِهِ القَمَرْ

لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ أَيْ يَفْرَحُ بِهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

قالَ ابنُ بَرِّي : وَ حَكَى عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ أَنَّ أَبا رِيَاشٍ قالَ :

لا يَرْوِي بَيْتَ ابنِ عَنْقَاءَ الفَزَارِيِّ : (غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعا)

إِلاَّ أَعْمَى البَصِيرَةِ ، لأَنَّ الحُسْنَ مَوْلُودٌ و إِنَّمَا هُوَ : (رَمَاهُ اللهُ بالخَيْرِ يَافِعًا) ، قالَ : حَكَاهُ أَبُو رِيَاشٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، قالَ الأَصْمَعِيُّ : السِّيماءُ ، مَمْدُودَةٌ ، السِّيمِياءُ ؛ أَنْشَدَ شَمِرٌ فِي بابِ السِّيمَا مَقْصُورَةً لِلجَعْدِيِّ.

وَ لَهُمْ سِيمَا إِذَا تُبْصِرُهُمْ ... بَيِّنَتْ رِيبَةَ مَنْ كَانَ سَأَلْ

و السيماء : العلامة

و جاء في الأساس : سَوَّمَ فرسَه : أَعْلَمَهُ بِسَوْمَة و هي العلامةُ ، و خيلٌ مُسَوَّمَةٌ ...

و فلانٌ مُحكَّمٌ مُسَوَّمٌ : مُخَلًّى لا تُثْنَى له يدٌ في أمرٍ. و فيه سِيما الصَّلاحِ و سِيمَاؤُه :

قال القطامي :

أَبِي عَنْهُ وَرِثْتُ سَوامَ مَجْدٍ ... وَ كُلُّ أَبٍ سَيُورَثُ مَا يَسُومُ

وَ عَوْدَةً إلى الجوهري في قوله: السَّومة : العلامةُ تُجْعَلُ على الشَّاة ، و في الحَرْبِ أيضا.

قال ابن الأعرابي : السِّيمة العلامةُ على صُوف الغنم، والجمع السِّيَمُ، و القَصْرُ في الثَّالثة لُغَةٌ وبه جاءَ التنـزيل : " سِيماهُم في وجُوهِهم " (30).

التراث العربي و مصطلح السيميوطيقا :

يقول محمد سعد الله حول مصطلح السيميوطيقا الحديث (31):

"فالسِّيميوطيقا وُضِعتْ بوَصْفِهَا مُصْطَلَحاً نقلياً عن (SEMIOTIC) و هي عند لوك: معرفةُ العلامات ، و عند بيرس : نظريةُ العلامات، و عند موريس: النظريَّةُ العامَّةُ للعلامات، و عند إيكو: العلمُ الذي يدرسُ سائرَ ظواهرِ الثقافة بوَصْفِهَا أنظمة للعلامات، و عند سيبوك: وظيفةٌ للتواصلِ و التعبير.

و لفظ السيميوطيقا مأخوذٌ من الكلمة الإغريقية القديمة (سيميون)، (semeion) ، وهي تأخذُ معنَى الإشارة، ولذلك قد يسميها البعضُ علمَ الإشارات، والرموز .... القابلة منها للتفاهُمِ بين البشر (32).

أي أنَّ الأنظمةَ التي تُمكِّنُ الكائنات البشريةَ من فَهْمِ بعضِ الأحداث، أو الوحدات بوَصْفِها علامات، تحملُ معنًى، و هذه الأنظمةُ هي نَفْسُهَا أجزاءٌ أو نواحٍ من الثقافة الإنسانية (33)، فأقوالُنا تُحدِّدُهَا أنظمةٌ و شفراتٌ، يشتركُ بها كلُّ من يُنْتِجُ و يَفْهَمُ هذه الأقوالَ.

و تضيفُ المعاجمُ العربيَّةُ الحديثةُ معانيَ أُخرى غيرَ العلامة منها (الحُسْنُ ، البَهْجَةُ ، القيمةُ ...) (34).

في حين تشيرُ الموسوعاتُ العربيَّةُ الحديثةُ إلى أن السيمياء هي علمُ معاني الألفاظ الذي يبحثُ في العلامة بين حروف الكلمة و دلالتها (35).

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

العدد 16/ جوان 2010

مجلة الآداب و اللغات

مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب و اللغات

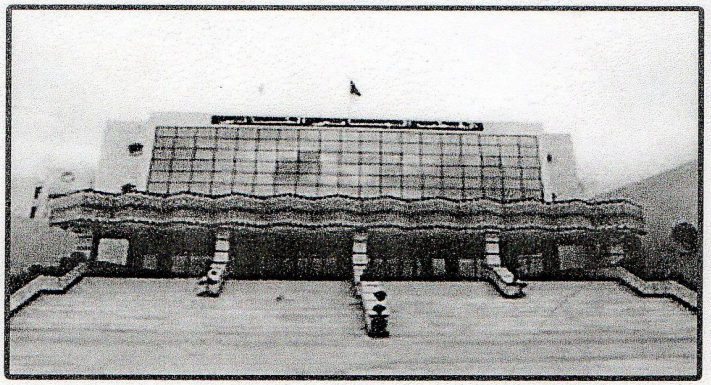

محتوى العدد 16

الصفحة

ـ كلمة مدير المجلة 05

ـ السماع في كتاب سيبويه "نظرة إحصائية" د. فهد سالم خليل الراشد – المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون (تونس) 07

ـ أسس التنظير النحوي ومناهجه د/ عبد العليم بوفاتح– جامعة الأغواط 43

ـ المؤتلف والمختلف قراءة في نونية ابن زيدون د/ عبد الخالق رشيد ـ جامعة وهران 70

ـ التأمل الفلسفي في ما وراء المنهج من أجل منهج المنهج أ.مونيس بخضرة– جامعة تلمسان 89

ـ السيمياء في تراث العربية – جذور وأصول . أ.حمدية زدام ـ جامعة الشلف 102

ـ أغماتيات المعتمد بن عباد ـ دراسة في الموازنة الشعرية
بقلم : أ.بن منصور أمينة. مراجعة : أ.د/بومدين كروم. (جامعة تلمسان) 127

ـ حوار المناهج النقدية في تحليل الخطاب د/ سميرة رفاس ـ جامعة سيدي بلعباس 136

ـ المعرفة اللسانية الماورائية ودورها في تحديد الكفاءة المعرفية والاستخدامية للغة
أ.سجلماسي محمد الأمين ـ جامعة تلمسان 146

ـ الكتابات الاستشراقية الفرنسية عن طوراق الهقار أ.شهاب سامية – جامعة سعيدة 166

ـ قراءة تحليلية لبديعية الشقراطيسي
بقلم : أحمد طول ومراجعة : أ. د/ رضوان النجار ـ جامعة تلمسان 181

ينجلي العدد 16
من خيوط الفكر المتعدد
لا تخلو من متعة و فائ
كلية الآداب والعلوم
التسمية الجديدة للكلية
الأم إلى كليتين اثنتين
ولقد قطعت مجلة
زهاء 12 سنة، صد
وأساتذة وباحثين ومن
والاهتمامات ...
وهاهي اليوم تصا
لتطالع قراءها بدراس
الفكر العلمي المتخص
فالمتلقي لهذا ال
والفلسفة وعلم الن
وأنجليزية .. وهذا
المفيد وفق النهج ال
فمثلاً يقرأ الما
الأول والثاني ، وي
المقالات التالية :
والمقال رقم 11
أما المقال الثامن ف
واستخداماتها ..
ابات الاستخ

قالَ الجَوْهَرِيُّ : السِّيما مَقْصُورٌ مِنَ الوَاوِ.

قال تعالى : "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ".

قال : و قَدْ يَجِيءُ السِّيمَا و السِّيمِيا مَمْدُودَيْنِ ؛ وَ أَنْشَدَ لأُسَيْدِ بنِ عَنْقَاءَ الفَزَارِيِّ يَمْدَحُ عُمَيْلَةَ حِينَ قَاسَمَهُ ما لَهُ :

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعاً ... لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ ... وَ فِي جِيدِهِ الشِّعْرَى وَ فِي وَجْهِهِ القَمَرْ

لَهُ سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ أَيْ بَمَرَحٍ بِهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

قالَ ابنُ بَرِّي : وَ حَكَى عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ أَنَّ أَبا رِيَاشٍ قالَ :

لا يَرْوِي بَيْتَ ابنِ عَنْقَاءَ الْفَزَارِيِّ : (غُـــــلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعا)

إِلاَّ أَعْمَى البَصِيرَةِ ، لأَنَّ الحُسْنَ مَوْلُودٌ و إِنَّمَا هُوَ : (رَمَاهُ اللهُ بالخَيْرِ يَافِعًا) ، قالَ : حَكَاهُ أَبُو رِيَاشٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ ، قالَ الأَصْمَعِيُّ : السِّيماءُ ، مَمْدُودَةٌ ، السِّيمِياءُ ؛ أَنْشَدَ شَمِرٌ فِي بابِ السِّيمَا مَقْصُورَةً للجَعْدِيِّ.

و لَهُـــمْ سِيمَا إِذَا تُبْصِرُهُمْ ... بَيِّنَـــةٌ رِيبَةَ مَنْ كَانَ سَـــــائِلْ

و السيماء : العلامة

و جاء في الأساس : سَوَّمَ فرسَه : أَعْلَمَهُ بِسَوْمَةٍ و هي العلامةُ ، و خيلٌ مُسَوَّمَةٌ ...

و فلانٌ مُحكَّمٌ مُسَوَّمٌ : مُخَلًّى لا تُثْنَى له يدٌ في أمرٍ. و فيه سِيما الصَّلاحِ و سِيمَاؤُه :

قال القطامي :

أَبِي عَنْهُ وَرِثْتُ سَوامَ مَجْدٍ ... وَ كُـلُّ أَبٍ سَيورَثُ مَا يَسِيـــمُ

وَ عَوْدَةً إلى الجوهري في قوله : السَّوْمة : العلامةُ تُجْعَلُ على الشَّاة ، و في الحَرْبِ أيضا.

قال ابن الأعرابي : السِّيمة العلامةُ على صُوف الغنم، والجمع السِّيَمُ، و القَصْرُ في الثَّالثة لُغَةٌ وبه جاءَ التنزيل : " سِيمَاهُم في وجُوهِهم "[30].

التراث العربي و مصطلح السيميوطيقا :

يقول محمد سعد الله حول مصطلح السيميوطيقا الحديث [31]:

"فالسِّيميوطيقا وُضِعتْ بوَصْفِهَا مُصْطَلَحاً نقلياً عن (SEMIOTIC) و هي عند لوك: معرفةُ العلامات ، و عند بيرس : نظريةُ العلامات، و عند موريس: النظريَّةُ العامَّةُ للعلامات، و عند إيكو: العلمُ الذي يدرسُ سائرَ ظواهرِ الثقافة بوَصْفِهَا أنظمة للعلامات، و عند سيبوك: وظيفةٌ للتواصلِ و التعبير.

و لفظ السيميوطيقا مأخوذٌ من الكلمة الإغريقية القديمة (سيميون)، (semeion) ، وهي تأخذُ معنَى الإشارة، ولذلك قد يسميها البعضُ علمَ الإشارات، والرموز .... القابلة منها للتفاهُمِ بين البشر [32].

أي أنَّ الأنظمةَ التي تُمكِّنُ الكائنات البشريةَ من فَهْمِ بعضِ الأحداث، أو الوحدات بوَصْفِها علامات، تحملُ معنًى، و هذه الأنظمةُ هي نَفْسُهَا أجزاءٌ أو نواحٍ من الثقافة الإنسانية [33]، فأقوالُنَا تُحدِّدُهَا أنظمةٌ و شفراتٌ، يشتركُ بها كلُّ من يُنْتِجُ و يَفْهَمُ هذه الأقوالَ.

و تضيفُ المعاجمُ العربيَّةُ الحديثةُ معانيَ أُخرى غيرَ العلامـــةِ منهـــا (الحُسْـــنُ ، البَهْجَـــةُ ، القيمـــــةُ ...)[34].

في حين تشيرُ الموسوعاتُ العربيَّةُ الحديثةُ إلى أن السيمياء هي علمُ معاني الألفاظِ الذي يبحثُ في العلامةِ بين حروف الكلمة و دلالتها[35].

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

العدد 16/ جوان 2010

مجلة الآداب و اللغات

مجلة دورية محكمة تصدرها كلية الآداب و اللغات

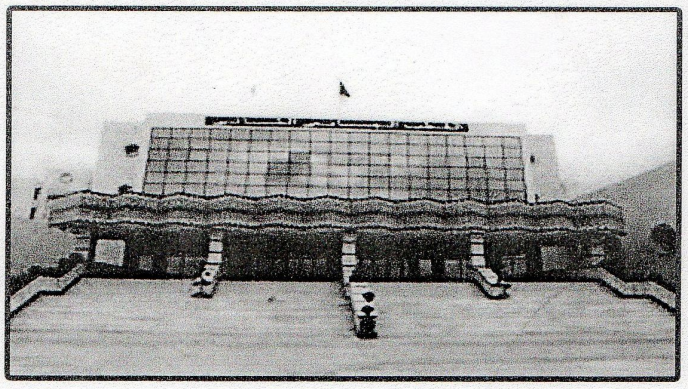

السِّيمِيَاءُ في تُراث الْعَرَبِيَّة[1]
"جُذُورٌ وَ أُصُولٌ"

أ. حمدية زدام[2] جامعة الشلف

قال الْجُرجاني عبد القاهر في أسرار البلاغة :"تَجْري اللُّغَةُ مَجْرَى العلاماتِ و السِّماتِ و لا مَعْنَى للعلامة و السِّمة حتَّى يَحتمل الشيءُ ما جُعلَت العلامةُ دليلاً عليه"[3].

تغرس السِّيمِيَاءُ جذورها في عمق التراث العربي ، إذ الباحثُ في هذا المجال ، لواقعٌ في تراثنا على نظريات ومفاهيمَ بلاغية وبيانية، تتصلُ اتصالاً مباشراً بالمُصْطلحات الحداثية ذات العلاقة بهذا المجال السِّيميوطيقي المُستحدَث.

السِّيما في الذِّكر الحكيم :

وردَ لفظُ "السِّيما" و مُشتقَّاتُه[4] كثيراً في القرآن الكريم، قال الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (5)

وَ صدقَ اللهُ العظيم في قوله الكريم :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (6).

المسوّمةُ : عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ المسوّمة الراعية ، و قال مكحول : المسوّمة الغُرَّةُ و التحجيل، و قيل غير ذلك (7)

و قال تعالى :﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (8).

مُسَوَّمِينَ : أيْ مُعَلَّمين بالسِّيما (9).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : :: كان سيما الملا الأبيضُ، و كان سيماهُم أيضاً في نواصي خيولهم وطهم.

و عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه في هذه الآية (مُسَوَّمِينَ) قال : ابنُ عباسٍ رضي الله عنه : أتت الملائكةُ محمداً لما صلَّى الله عليه بالصُّوف، فَسَوَّمَ محمدٌ و أصحابُه أنفسَهم و خيلَهم على سيما و قال قتادة و عكرمة (مُسَوَّمِين) أي بسيما القتال.

و عن ابن عباسٍ قالَ : كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بي ظهورهم، و يومَ حُنينَ عمائمُ حُمْر.

و قال جلَّ شأنُه :

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ (10)

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ (11)

﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ أَعْمَالِكُمْ﴾ (12) صدق الله العظيم (13).

و قال تعالى – أيضاً – في كتابه السَّماوي العظيم ، ألاَ و هو القرآنُ الكريمُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (14)

و كذلك :

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (15)

(مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ)

مسوّمة : أي مُعَلَّمة. كلُّ حَجَرٍ مكتوبٌ عليه اسم الذي ينـزل عليه (16).

و أيضاً ؛ مُسَوَّمَة : أي مُعَلَّمَة ، أي مكتبة عنده بأسمائهم (أسماء المسرفين) كلّ حجرٍ عليه اسمُ صاحبه(17).

وَ هَا هُوَ ذَا (صَلَّى اللهُ عليه و آله وَ سَلَّمَ) :

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (18)

(سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ)

قال ابنُ عباسٍ : يعني السَّمْتَ الحَسَنَ.

و قال مجاهد : يعني الخشوعُ و التواضعُ.

و قال السدي : الصلاةُ تُحَسِّنُ وجوهَهم.

و قال بعضُ السَّلَفِ : من كَثُرَتْ صلاتهُ باللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بالنَّهارِ.

وَ قيلَ غَيْرَ ذَلِكَ(19).

و حيثُ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (20)

(يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي بعلاماتٍ تظهرُ عليهم ، و قالَ الحَسَنُ وَ قتادةُ : يُعْرَفُونَ باسوداد الوجوه ، وَ زُرْقَة العيون.

و هذا نقيضُ ما يُعْرَفُ به المؤمنونَ : بالغُرَّة و التحجيل من آثار الوضوء(21).

السِّيماء في الحديث الشريف :

وردت اللفظة " سيما " في أحاديث الرَّسُول عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قال الرَّسُولُ: ﴿لَكُمْ سِيمَا لَيستْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ﴾ (22)

و في روايةٍ أخرى ﴿سِيمَاءُ أُمَّتِي لَيْسَ لأَحَدٍ غَيْرُهَا﴾ (23)

و كذلك ﴿سِيمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِن آثَارِ السجُودِ﴾ (24)

و أيضاً : ﴿سِيمَاهُمْ أَنَّ منهم رَجُلاً أَسْوَدَ﴾ (25).

وَ فِي الحديث الشريف أَمَرَ صَلَّى اللهُ عليه و آله وَ سَلَّمَ أصحابه يَوْمَ بَدْرٍ بقوله الشريف : سَوِّمُوا ، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ سَوَّمَتْ ، أَيْ اعْمَلُوا لَكُمْ عَلاَمَةً يَعْرِفُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً.

وَ فِي حَدِيثِ الخَوَارِجِ : سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ ، أَيْ عَلاَمَتُهُمْ وَ الأَصْلُ فِيهَا الوَاوُ ، فَقُلِبَتْ لِكَسْرَةِ السِّينِ ، وَ تُمَدُّ وَ تُقْصَرُ(26).

السِّيمياء و معاجم التأسيس :

لقد جاءت كلمة " سيما " بصيغٍ مختلفةٍ، وكلُّها تَحْمِلُ معاني متقاربةً، فهي العلامةُ، والصِّفَةُ، والميزَةُ، والإشارةُ أيضا.

وَ حَمَلَتْ هذه الكلمةُ في الحديثِ الشَّريفِ، المعاني نَفْسَها التي جِيئتْ في آيِ الذِّكْرِ الحكيمِ.

إذا بحثنا في معجمات اللُّغَة العربيَّة، لَوجدْنا مفهومَ هذَا المُصْطَلَحِ يعني : السُّومة – السِّيمة– و السِّيمَاء،و كلُّها تقصد العلامة.

وقد يجيء السيما و السيميا ممدودين بكسرهن، أي بكسر السين – العلامة يعرف بها الخير و الشر[27].

و في اللِّسَان[28] : السُّومَةُ و السِّيمَةُ و السِّماءُ و السِّيمِياءُ : العَلامَةُ.

وَ سَوَّمَ الْفَرَسَ : جَعَلَ عَلَيْهِ السِّيمَةَ

وَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ : "حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ".

قالَ الزَّجَّاجُ : رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهَا مُعَلَّمَةٌ بِبَيَاضٍ وَ حُمْرَةٍ.

و قالَ غَيْرُهُ : مُسَوَّمَةً بِعَلامَةٍ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةِ الدُّنْيَا. وَ يُعْلَمُ بِسِيماها أَنَّهَا مِمَّا عَذَّبَ اللهُ بِهَا.

و عند الجَوْهَرِيُّ : مُسَوَّمَةً : أَيْ عليها أَمْثالُ الخَوَاتِمِ.

و أيضاً – و القول لا يزال للجوهري – : السُّومَةُ بالضَّمِّ ، العَلامَةُ تُجْعَلُ على الشَّاةِ ، و في الحَرْبِ أَيْضاً.

تَقُولُ مِنْهُ : تَسَوَّمَ.

قالَ أَبُوبَكْرِ بن دريد : قَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سِيما حَسَنَةٌ مَعْنَاهُ عَلامَةٌ و هي مأخوذَةٌ من وَسَمْتُ أَسِمُ.

قالَ : و الأَصْلُ في سِيما، وَسْمَى، فَحُوِّلَت الواوُ مِنْ مَوْضِعِ الفَاءِ ، فَوُضِعَتْ في مَوْضِعِ العَيْنِ، كَمَا قَالُوا مَا أَطْيَبَهُ وَ أَيْطَبَهُ ، فَصَارَ سِوْمَى. وَ جُعِلَتْ الواوُ ياءً لِسُكُونِهَا و انْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا[29].

وَ في التَّنْزِيلِ العزيز : (وَ الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ) ،

قالَ أَبُو زَيْد : الخيلُ المُسوَّمَةُ الْمُرْسَلَةُ وَ عَلَيْهَا رُكْبَانُهَا ، وَ هُوَ مِنْ قَوْلِكَ : سَوَّمْتُ فُلاَنًا إِذا خَلَّيْتَهُ وَ سَوْمَهُ أَيْ وَ مَا يُرِيدُ.

وَ قِيلَ : الْخَيْلُ المُسَوَّمَةُ هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا السِّيما و السُّومَةُ وَ هِيَ العَلامَةُ.

و قال ابنُ الأَعْرَابِيِّ : السِّيمُ الْعَلامَاتُ على صُوفِ الغَنَمِ.

و قال تعالى : "مِنَ الملائكَةِ مُسَوَّمِينَ" قُرِئَ بِفَتْحِ الواوِ ، أَرَادَ مُعَلِّمِينَ ، و الخَيْلُ المُسَوَّمَةُ : الْمَرْعِيَّةُ ، و المُسَوَّمَةُ : المُعَلَّمَةُ.

و قولهُ تَعَالَى : "مُسَوَّمِينَ" . قال الأَخْفَشُ : يَكُونُ مُعَلَّمِينَ ، و يكونُ مُرْسَلِينَ ، مِنْ قَوْلِكَ سَوَّمَ فيها الخيلَ أَيْ أَرْسَلَهَا ، وَ مِنْهُ السَّائِمَةُ ، وَ إِنَّمَا جاءَ بالياءِ و النُّونِ لأَنَّ الخَيْلَ سُوِّمَتْ وَ عَلَيْهَا رُكْبَانُهَا.

قال اللَّيْثُ : سَوَّمَ فُلاَنٌ فَرَسَهُ إِذَا أَعْلَمَ عَلَيْهِ بِحَرِيرَةٍ أَو بِشَيءٍ يُعْرَفُ بِهِ.

قالَ : وَ السِّيما يَاؤُهَا فِي الأَصْلِ واوٌ ، وَ هِيَ العَلامَةُ يُعْرَفُ بِهَا الخَيْرُ وَ الشَّرُّ.

قالَ اللهُ تَعَالَى : "تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ".

قالَ اللَّيْثُ أيضاً : وَ فِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى السِّيماءُ بِالْمَدِّ.

قال الشَّاعِرُ :

غُـــلاَمٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يَافِعاً ... لَهُ سِيمِياءٌ لاَ تَشُـــقُّ عَلَى البَصَـــرْ

تَأْنِيثُ سِيمَا غَيْرَ مُجْرًى.

و التراثُ العربيُّ فَيْضٌ مِنَ الحركاتِ والإيماءاتِ و الإشاراتِ، و الإشاراتُ ضَرْبٌ من العلاماتِ، فكلُّ اشارةٍ علامةٌ، وليستْ كُلُّ علامةٍ إشارةً[36].

فالعربُ قديما، أدركتْ معاني علاماتِ الاتصالِ للإشاراتِ الاصطلاحيةِ، عن طريقِ الدِّراسةِ والتجربةِ، كما تُبيِّنُ المصنفاتُ اللُّغويَّةُ، حولَ المواضيعِ الصوتيةِ، والدِّراساتُ التي قاموا بها في مجالِ الاتصالِ الخاصِ بالإنسانِ و الحيوانِ على السَّواءِ.

و اشتهرتِ العربُ بقراءةِ العلاماتِ، كقراءةِ آثارِ أقدامِ الحيواناتِ و البشرِ، وهو ما يُعْرَفُ لديهم بالقيافةِ، التي قالَ فيها أهلُ النَّظَرِ والتَّبَصُّرِ أنَّها: "اسمٌ مشتقٌ من القَفْوِ، وهو معنى استدلالي"[37].

و المتخصصونَ بهذا العلمِ يُدْعَوْنَ بالقافةِ، ولهم قُدْرَةٌ تُمَيِّزُهُم عن غيرِهم، وَ تُؤَهِّلُهُم للتفرقةِ بين آثارِ أقدامِ النَّاسِ.

و القيافةُ علمٌ توصَّلَ إليه العربُ بقوَّةِ الذَّكاءِ، وكثرةِ المزاولةِ، وَ تُنْسَبُ القيافةُ لبني مدلجٍ، وأحيانًا إلى مُضَرَ بنِ نزارِ بنِ مَعْدٍ، كما اشتهرَ اليمنيونَ بالكَهانةِ، وبنو أَسَدٍ بالزَّجْرِ.

قالَ المسعودي: "و بأرضِ الحِجازِ[38] أناسٌ مِنَ العربِ يتناولُ الإنسانُ من ثَمرِ نَخلِهم، فيغيبُ عنهم السِّنينَ، وَ لَمْ يَرَوْهُ، و لا شَاهَدُوهُ، فَإِنْ رَأَوْهُ بعدَ مُدَّةٍ، عَلِمُوا أَنَّه الآخذُ لِثَمرِهِم، و لا يكادونَ يُخْطِئُونَ ....ولا تكادُ تَخْفَى عليهم أقدامُ أيِّ النَّاسِ منهم"[39].

و القيافةُ ضَرْبٌ مِنَ الفراسةِ، تعينُ عليه قُوَّةُ الخيالِ، فيهتدي بآثارِ الأَقْدَامِ على أَصْحَابِهَا، و لقدْ بلغَ العربُ في ذلكَ مِنَ الأعاجيبِ، إلى ما يكادُ و لا يصدقه العقلُ،

إذ كانوا يُمَيِّزُونَ بينَ أَثَرِ الرَّجُلِ والمرأةِ ، و الأعمى و البصيرِ ، و المُثْقَلِ و المُخِفِّ، و إنَّ شيئاً مِنْ ذلكَ لا يزالُ باقياً بين البدوِ إلى اليومِ.

و إلى جانبِ هذا نجدُ الفراسةَ، و هي الاستدلالُ بهيئةِ الشخصِ و كلامه و ظاهرِ أعضائه على أَخْلاقِه و صفاتِه، و طبيعةُ الفراسةِ ليستْ علامةً دالةً بنفسِها على نَفْسِها لسائرِ النَّاسِ، بل لفئةٍ معينةٍ ممن رُزِقَتْ قَدْراً كبيراً وخارقاً من الذَّكاءِ، و قوَّةِ الحسِّ والتميزِ، والإدراكِ ... و قد تكونُ الفراسةُ أصعبَ إدراكاً من القيافةِ، لأنَّ الأخيرةَ تقومُ على اقتفاءِ الآثارِ بواسطةِ دلائلَ محسوسةٍ، و أمَّا الأولى فهي لا تعتمدُ إلاَّ على النَّظَرِ والمُقارَنَةِ بينَ الأجسامِ والأعضاءِ، والحركاتِ و الكلامِ والصِّفاتِ[40].

و في تفسيرِ قولِه تعالَى : (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُم) أي بما يظهرُ لذوي الألبابِ من صفاتِهم كمَا قالَ اللهُ تعالى (سيماهُم في وجُوهِهم) و قالَ تعالى (وَ لَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ القَوْلِ) و في الحديثِ الشريفِ[41] : (اتقوا فراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنورِ اللهِ) ثم قرأَ قولَ اللهِ تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[42].

و الفراسةُ والقيافةُ من العلاماتِ السيميوطيقيةِ لأنَّها علْمٌ لا يختصُّ به سائرُ النَّاسِ، أي لا يُدْرِكُهُ كُلُّ البَشَرِ.

و يجعلُ الدكتور عبدُ الجليلِ مرتاض الكهانةَ و السِّحْرَ، و بعضَ الفنونِ الشعبيةِ، والتي تعودُ إلى العربِ القُدَامى ضرباً من السيميوطيقيةِ[43] لأنَّها علاماتٌ دالةٌ على أيِّ حالٍ، و تَنُمُّ عن مفاهيمَ فكريَّةٍ و ثقافيةٍ وحضاريةٍ لكَوْنِ أصحابِها يستوحونَ مِنْ أحلامِهم أو رؤاهم دلالاتٍ غيرَ الدَّلالاتِ التي يُشَاهِدُونَها.

كما أن تسمية العرب لأبنائهم بالأسد واللّيث و الكلب والضبّ .... لم تكُنْ مقصودةً للدّلالة المادية عَلَى هذه التّسميات، بل كانَ يُنظَرُ إلى جَوْهَرِ مدلول الدّالّ أو الرّامز في داخله إلى الرُّعْبِ والقُوَّة و البطش ... و نحوَ ذلكَ.

كما كانتْ لهم مذاهبُ أخرى في تسمية أبنائهم[44] و هي طرائقُ تحملُ دلالاتٍ سيميوطيقية.

و يحاول ابنُ فارس تفسيرَ هذه الظاهرة بقوله : "مِنْ سُنَنِ العربِ إذ تسمي أبناءَها بحَجَرٍ، وكَلْبٍ، و نمرٍ، و ذئبٍ، وَ أسَدٍ، وما شابهها، وكانَ بعضُهم إذا وُلِدَ لأحَدِهم ولدٌ سَمَّاهُ كمَا يراه ويسمعه مما يتفاءلُ به، فإنْ رأى حَجَراً تأوَّلَ فيه الشِّدَّةَ و الصَّلابَةَ، والصَّبْرَ و البَقَاءَ، و إنْ رأى كلبًا تأوَّلَ فيه الحراسَةَ والأُلْفَةَ وَ بُعْدَ الصَّوْتِ، وَ مَنْ رأى نمرا تأوَّلَ فيه المنعةَ والتيهَ و الشكاسةَ، ومن رأى ذئباً تأوَّلَ فيه المَهَابَةَ و القُدْرَةَ والحشمةَ ..."[45].

و يؤكد الأستاذ عبد الجليل مرتاض على فضلِ السَّبْقِ والمزيَّةِ للعَرَبِ في هذا المجالِ المعرفي، قائلا : "و هذا التفسيرُ : تفسيرٌ سيميوطيقي دلالي في نفسِ الوقت، و هو ما لم يصلْ إليه الغربيونَ، إلا في العصرِ الحديث، لأنَّ كُلَّ اسمٍ عبارةٌ عن دالٍّ أو رَمْزٍ، وكدليل عليه (الشيء الخارجي للجسم) ثم إدراكُ هذه الصُّورَةِ الذهنية بمعنى أنَّ العدوَّ حينَ يسمعُ اسمَ اللّيْثِ فهو يتصوَّرُ هذا المُسَمَّى كأنَّهُ في هيئةِ أسَدٍ حقيقي، مما يبعثُ فيه الرُّعْبَ قبلَ لقائه ..."[46].

فالعربيُّ كانَ لا ينظرُ إلى الاسمِ الذي يَرْمُزُ إلى المُسَمَّى (البشر) بل إلى معاني ودلالاتِ ما يحملُه هذا الاسمُ.

كما أنَّ تفاؤلَ العربِ وَ تَطَيُّرَها بالحيوانات[47] أو النباتات قراءةٌ أُخرَى في مجالِ السيميائية، كما هو مُبيَّنٌ في شعرِ الشُّعَراءِ القُدامى، إذ اهتمُّوا بموضوعِ السيميائية، فَعَبَّرُوا عن مواضيعَ شَتَّى، تتصلُ بكُلِّ مناحي حياتهم المختلفة، فناجَوا الطبيعةَ وحاوروهَا، مُستَخْدِمينَ ما أغدقتْ به عليهم لُغَتُهُم من مجازاتٍ عديدة.

و لعلَّ دراسةَ القُدامى من اللغويينَ والأدباءِ للإشارة، يترتَّبُ عنها مقاصدُ بلاغيَّةٌ متنوعةٌ، وإشاراتٌ مجازيَّةٌ كانت البدايةُ الأولى للدَّرْسِ السيميائي، وهي تعتمدُ أساساً على البداهة، فهم الذين قالوا : " العينُ بابُ القَلْبِ، وما كان في القلبِ ظَهَرَ في العَيْنِ."[48].

و يمكنُ افتراضُ اسم سام (أبو العرب) لها، و عليه يكونُ الأصلُ الأوّلُ للفظة (السيمياء) عربيًّا علاوةً على وجودِ جذرها و أصولِها في المعاجمِ العربية القديمة التأسيسية الأولى ، ناهيك ورودها في القرآن الكريم.

ثم استخدامُ العربِ القُدامى لهذا اللفظِ الدّالِّ على معانٍ يقصدونَها.

المصطلح و علماء اللسانيات العرب :

و أطلق علماءُ اللّسانيات، العربُ على هذا العِلْمِ اسم (السيميوطيقا) وترجموه تارَّةً باسم عِلْمِ الرموز، وتارة أخرى باسم (علم الدلالة) و اقترحوا تسميته في اللغة العربية بالسيميائية أيْ العلامات، وهي تسميةٌ موفقة في استخدامها للكلمة العربية "سيمياء"، أي علامةٌ أو مَلْمَحٌ ، و هو الأفضلُ في إطلاقِ الإسمِ العربي عليه، لأنَّ النقلَ أولى من الاشتقاقِ في استخدامِ الأسماء الجديدة.

و قد تناولت بحوثٌ كثيرةٌ (السيمياء) منذ التأسيسِ و النشأة حتى المعالجة الإجرائية للمصطلح[49].

و ذكر (عادل فاخوري) أن العربَ توصلوا إلى وَضْعِ أسسٍ عامة لنظريةِ العلاماتِ أو السيمياء تحتَ عنوانِ الدلالة.

و كان ذلك في إطارِ تعيينِ العلامة التي تربطُ اللفظَ بالمعنى أو رَبْطُ الدَّالِّ بالمدلولِ.

و استعرض الفاخوري أربعَ صُوَرٍ للدالِ و المدلولِ استخدمها العربُ :

1. كونها لفظاً كأسماءِ الأفعالِ الموضوعةِ لألفاظِ الأفعالِ أي : (عباراتُ اللُّغَةِ الماورائية التي تدلُّ على العباراتِ الموضوعةِ لها من اللغة الشيئية).

2. كَوْنُ اللفظِ دالاً ، و المدلولُ غيرَ ذلك، كزيد الدالِ على الشخص الإنساني.

3. كونُ المدلولِ لفظاً و الدالُّ غيرَ ذلك، كالخطوطِ الدالةِ على الألفاظِ ، مثل : الخط المستقيم ، الخط المنحني ، و نحو ذلك.

4. كَوْنُهَا غيرَ لفظٍ ، كالعقودِ الدالةِ على الأعدادِ، و بهذا تتحصَّلُ دلالةٌ لفظيةٌ مِنَ الصُّوَرِ بين الأولى و الثانية ، و دلالةٌ غيرُ لفظيَّةٍ من الصُّورتَيْنِ الثالثة و الرابعة.

و يشيرُ أيضاً إلى أنَّ السيمياءَ العربيَّةَ اقترحتْ تقسيماً آخرَ يعتمدُ على نوعية العلاقة الدلاليةِ و هو :

- الدلالة العقلية : يكونُ بين الطرفين علاقةُ علَّةٍ و معلولٍ ، مثل : الدُّخَانِ فهو علامةٌ على النَّارِ ، و الكلامُ الصَّادرُ فهو قرينةٌ وجودِ المتكلِّم.

- الدلالة الطبيعية : يكونُ بين الطرفين علاقةٌ تصويريةٌ ، بحيثُ يكونُ من طَبْعِ المتلقي الإنتقالُ إلى المدلولِ عندَ حضورِ الدَّالِّ مثل : حُمْرَةُ الوجه عندَ الخجل.

و قد رسم الأستاذ محمد سالم سعد الله في كتابه مملكة النص (التحليل السيميائي للنقد البلاغي) لوحةً توضح تقسيمَ الدلالاتِ عند العرب و فروعها[50].

و يقولُ أيضاً في مَوْضِعٍ آخر من كتابه[51]: و يمكنُ إجمال ما قيلَ في ولادةِ السيمياء العربية على النحو الآتي :

- مرحلة ما قبل الإسلام.
- علم السحر.
- علم أسرار الحروف.
- مرحلة ما بعد الإسلام (مرحلة الإسلام و ما بعده).

- في القرآن الكريم و في المعاجم العربية التأسيسية (العلامة = السمة ، الإشارة).

- الميدان اللغوي / المنطقي / الفلسفي = علم الدلالة.

- الميدان الفقهي (مع علم الأصول) = إشارة النص ، دلالة النص ، دلالة الإقتضاء ، عبارة النص).

أمّا علماءُ اللِّسانِ المغاربة، فقد أولوا اهتماماً عظيما بهذا المجال، إذْ حاولوا تحديدَ المصطلح، وتثبيتَ أصوله في الدراساتِ العربية من خلالِ تلك المفاهيمِ البلاغية التي وَظَّفَهَا علماؤنا القُدَامى، في التعاملِ مع النصوص الإبداعية الشعرية والنثرية على السّواء.

كما حاول المغاربةُ تحويرَ معالمَ هذا المصطلحِ.

بما يتطابقُ وخصائصُ النصِّ الأدبي العربي، حفاظاً منهم على تلك القطوفِ الفنية التي تتخلل ثنايا أيِّ نصٍّ إبداعي.

و يرى الدكتور عبد المالك مرتاض، أنه ليسَ من السَّهْلِ الوصول إلى حلِّ هذه المشكلة المصطلحاتية، حيث إنَّ هناكَ مصطلحين اثنين غربيين، مستعملين وهما : السيميائية التي يقترحها مقابلا للمصطلح الأجنبي (Sémiologi , Sémiology) .

و يشدد عبد المالك مرتاض اللهجةَ على من لا يكترث في الاستخدام العشوائي لهذا اللفظ، فيقول : "و من أراد أن يشوّهَ اللغةَ العربيةَ، ويعثو فيها فساداً كبيرا، بأن يستعملَ فيها إختيارا، لفظاً غريبا، فعليه على الأقلِّ أنْ لا يكتبَ هذا اللفظَ سيميولوجيا، ولكن عليه أن يكتبه، سِيمْيُوْلُوْجِي : أي بدونِ ياءٍ بين السين والميم، من أجل تلافي التقاء ساكنين اثنين"[52].

و يفضّلُ أن يستخدمَ كلمةَ السيميائياتية مقابلا للمصطلح الأجنبي , Sémiologues) (Semiotics والغربيون أنفسهم يضطربون في التمييز بين المصطلحين السابقين.

فهل اختلاف لفظيهما يعني إختلافهما دلاليا ؟.

فرولان بارط يعتبر اللفظتين مترادفتين، لكنَّ العالمَ اللسانياتي الدانماركي هجلمسلف[53] يقرر أنه من الأمثل تخصيص مصطلح سيميائيات (Semiotics) للبحوث المتعلقة بالمجالات الخاصة بالأدب والسينما، والإشارية ... من حيث تخصيص السيميائية (Sémiologie, Sémiology) للنظرية العامة لكل هذه السيميائيات (Sémiotique, Sémiotics)[54].

فكأن السيميائيةَ بناءً على هذا التحديد تتمحص للعلم والنظرية، أي إلى كافة الإجراءات، والأدوات و المبادئ (مجموعة النظريات) التي تحكم هذا الحقلَ، وترسمُ حدودَه، وتضبطُ معالمَه، بينما ينصرفُ مفهومُ السيميائيات إلى الممارسات التطبيقية، وإلى القراءات التي تحلل النصوصَ بالإجراءات السيماءوية من أجلِ كلِّ ذلك يجب اصطناع هذين الوصفين بناءً على طبيعة الموقف العلمي الماثل والغاية المعرفية التي تراد، وهذه مشكلة أخرى وكثيراً ما تفضي إلى خَلْطٍ معرفي شديدٍ لدى النقاد العربِ المعاصرينَ.

و قد ألفينا الدكتور عبد الله الغدامي يفرد بحثاً لهذا المصطلح الشائك[55] ... فيرى تعدّدَ الأسماء، فهناك السيميولوجيا، والدلائلية، و علم العلامة ، والسيمياء[56] فآثر أن يستعملَ اللفظَ الأجنبيَّ (سيميولوجيا).

ويعجب مرتاض عبد المالك من التخريجة الاصطلاحية للغدامي لإيثاره للفظة أجنبية نصفها إغريقي، والنصف الآخر إما فرنسي برسمٍ إملائي معين، وإما إنجليزي برسم إملائي آخر.

و يرفضُ الدكتور عبد المالك مرتاض، الإصرارَ على استعمالِ الألفاظ الأجنبية في اللغة العربية، مع وجودِ فَيْضٍ فائضٍ من المرادفات العربية، والمستعملة للمعنى نَفْسِه.

ويقترحُ علينا مصطلح السيمائية، و الغايةُ مِنْ ذلكَ، مايلي :

1- اقتصادُ حرفٍ واحدٍ من هذا اللفظ، مادام اللفظان الاثنان يدلاّن في اللغة العربية على شيءٍ واحدٍ باتفاق المُعْجَمِيينَ.

2- تلافي اللَّحْنَ الشائعَ لدَى المتعاملينَ حين يضطرونَ إلى تسكينِ ميم السيميائية لطول اللفظ.

3- تَجَنُّبُ استعمالِ لفظٍ أجنبي، مجانًا و بدونِ ضرورةٍ علمية.

4- السيميائية بين الماهية و الوظيفية[57].

مشاهير أعلام السِّيميائية في الغرب :

تنتمي السيميائيةُ - أيًّا كانت التسمية – في أصولها ومنهجيتها إلى البنيوية، إذ البنيوية نفسها منهجٌ منتظمٌ لدراسة الأنظمة الإشارة المختلفة في الثقافة العامة[58] و من أشهر أعلام السيميائية الغرب نذكرُ شارلس ساندرس بيرس، ياكبسون، وامبرتو ايكو،

ومايكل ريفاتير، وإن كان دي سوسير هو الذي استخلصَ مُسَمَّى السيميولوجيا، فإن رولان بارت هو الذي مارسَ التحليلَ السيميائي على أكملِ وجه، جاءَ بما يقلبُ مقولةَ سوسير، إذ زعمَ أنَّ اللسانياتِ هي الأصلُ، وأن السيميولوجيا فرعٌ منها، ثم جاء جاك دريدا الذي أخذَ بجهودِ بارت في هذا المجال.

و إذا ما حاولنا معرفة مفهوم السيميائية لدى هؤلاء، فإننا سنجدُ لديهم اختلافاً كبيرا في تحديدِ هذا المفهوم، فمنهم من يُعَرِّفُ السيميائيةَ على حدِّ قول عبد المالك مرتاض، على أنها عِلْمُ السِّمات.

على حين أن قريماس يجعلُ تعريفاتِها تختلفُ باختلافِ الوظيفةِ التي يمكنُ أن نُخَوِّلَها إيَّاها، فهي طوراً " نظام السِّمات"[59] و هي طورا ثانياً مجموعة دالة، قابلة على حيازة شيء من النظام، ومن التمفصل الداخلي التلقائي[60].

و هي طورا آخر تعني : تعيينُ مجموعةٍ دالَّةٍ على وصفها قبليا[61] على حين أنها لدى دي سوسير، تعني العلم الذي يدرسُ حياةَ السِّمات ضمن الحياة الاجتماعية، إنها تشكل جُزْءاً من عِلْمِ النَّفسِ الاجتماعي، وبالتالي عِلْمُ النَّفسِ العام[62] كما يُعَرِّفُها في موطنٍ آخر بأنَّها العِلْمُ العام لكلِّ أنظمة السِّمات[63].

بينما تذهب جوليا كريستيفا في تعريف السيميائية على أنها مذهبٌ قريبٌ من هذا حين تقرر بأنها تتطلع اليوم إلى أن تكون علما للمعاني، وبحكم ماهي عليه فإن السيميائيةَ هي منهجيةُ العلومِ التي تعالج أنظمة الدوال للعلوم الإنسانية ...

على حين أن بلوم فيلد يرى أنه من الضرورة بمكان النهوض بمحاولاتٍ تسعى إلى تطويرِ مَذْهَبٍ عام للسِّمات[64].

و يرى الدكتور عبد المالك مرتاض بأن السيميائيةَ ليست وقفاً على حَقْلٍ دونَ حقل. و لا على جِنْسٍ من العلم دون جنسٍ آخر، من أجل ذلك أُطْلِقَتْ لدى علماءِ الطبِّ على الأعراضِ التي تكونُ مظنة لمعرفةِ العلل و الأمراض. انطلاقاً من إماراتٍ معينة يبديها العليلُ أو تبدو عليه[65].

و في الدراساتِ اللغوية و الأدبية، نستخدم السيميائيةَ لأجلِ البحثِ في السِّماتِ التي يُعَبِّرُ المرءُ بها عن أغراضِه المختلفةِ في حياته اليومية، الفكرية و العاطفية و السياسية و سواها....

و هي السِّماتُ التي تتجسَّدُ في الألفاظِ و الرموزِ و الإشاراتِ و الأصوات، و الألوانِ و الخطوط، و الأبعاد، إنطلاقاً من عُرْفٍ اجتماعي، أو من إيديولوجيا معينة، مثل اللون الأحمر الذي ينصرفُ بناءً على عُرْفٍ بين الناس إلى الدلالة على الخطر، و الختف و يغتدي اللونُ هنا سمةً تعويضيةً عن كُلِّ لغةٍ اصطناعية، إذ يمكنُ إدراكُ هذه الدلالةَ بدون تكلف، تعلم اللغات التي تتفق في عُرْفٍ عام بين البشر على هذا المهد على تجسيد هذا الخطر، و هذه الشبكةُ من المبلغاتِ المختلفةِ التي يكون بعضها طبيعيا و بعضها الآخر اصطناعيا، هي التي تكون حقلا لنشاط السيميائية لتحديد العلاقات الدلالية (البث والتلقي)[66].

السِّيميائية في التراث الشعري القديم :

للفظ السيميائية حضور في التراث الشعري القديم[67] إذ تصادفُ الكلمةَ مساقة في التعبيرِ عن تجاربَ مختلفة يعيشُها الشُّعَراءُ في مختلفِ مناحي حياتهم.

فهذا خِدَاشُ بنُ زُهَيْرٍ يقولُ :

بِأَنَّا يَوْمَ شَمْطَـــــةَ قَدْ أَقَمْنَـــا عَمُـــــودَ المَجْدِ إِنَّ لَهُ عَمُودَا

جَلَبْنَا الخَيْـــــلَ سَاهِمَةً إِلَيْهِم عَـــــوَابِسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْعَ قُودَا

فَبِتْنَا نَعْقِـــــدُ السِّيمَا وَبَاتُوا وَقُلْنَا أَصْبِحُوا الأُسَ الحَدِيـــدَا

فَجَـــــاءُوا عَارِضًا بَرَدًا وَجِئْنَا كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الغَابِ الوُقُـــودَا

و يتكرر استخدام اللفظ في شعر الأعشى في قوله :

أَبَتْ أَعْنَـــــاقُهُمْ عِزاً فَمَـــــا يُعْطُونَ مِنْ غَشَمَا

عَـــــلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ عَـــوَابِسَ تَعْلُكُ اللُّجَمَا

و توظيفُ الشعراءِ للفظ السيما لم يكنِ مقتصراً على المفهومِ الوضعي المتعدّد لها فحسب، وإنّما تعدّاه إلى معناه الاصطلاحي، وما يَحْمِلُهُ من معانٍ تدلُّ على كونه منهجِ الخَلْقِ والإبداعِ، ودلالة على القُدْرةِ والتمكن من الآلياتِ اللغوية للمدونة العربية.

و بردةُ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ صَرْحٌ متقلٌ بالتراكيبِ الإبداعية، التي لا يقدر على قراءتها إلاّ المتلقي المحترف القادرُ على اختراق أسوارِ اللامية، وَ سَبْرِ أغوارها.

إنّه القارئ الاحترافي الذي "يتخطّى المظهريةَ الخارجية، وسياقاتِ البداهة، لينفذَ إلى محصلة الجوهر"[68].

إذ تتوالى الصور الإبداعيةُ التي تحملها الوسائلُ التعبيريةُ المختلفةُ فتجد الشاعرَ يُعيرُ حتّى الحرفَ اهتماماً فيمنحه قيمةً جمالية، وأهمّيّةً في إبراز العلامات، كما هو ثابتٌ في اللامية مع حرف النُّون:

هذه النُّونُ التي تجمعتْ مع مثيلاتها، مكونةً جمهرةً من النونات، التي تجاوزتْ مظاهرُهَا الخارجية، لتكوّنَ فيما بينها عَبْرَ انسجامِ علائقها بنيةً عميقة، محكمةَ التركيب، ويتضحُ هذا في البيتِ الرابع والثلاثين، الذي يقول فيه :

نَـــوَّاحَةِ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْـــسَ لَهَا لَـــمَّا نَعَى بَكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

فالعلاماتُ السيميائيةُ لحرف النون هنا، هي : الحزنُ و المأساة، و الخوفُ و الوحدة.

نواحةٌ – رخوةُ الضبعين – نَعى – الناعون.

و قد جاءت النونات موزعةً بين أصلية وزائدة، وحالة الزيادة أنها وردتْ عوضاً من التنوين في المفرد في آخر المثنى تارةً، وجمع المذكر السالم مرّةً أخرى[69].

و هكذا تجاوزَ كعبٌ بمنهجه السيميائي، البنى التركيبية، إلى أصغرِ مكوّنٍ للبنى الإفرازية، وهو الحرفُ، والأداءُ الإجرائي في نظمه وتضامه مع باقي مكونات الصيغة في نظامٍ لغوي معين، وأثر القواعد النحوية، والبلاغية في توجيه دلالته، وتحديد قصده.

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَتَعْرِفُ أَطْلاَلاً شَجَوْنَكَ بِالخَـــالِ وَعَيشَ زَمَانٍ كَانَ فِي العَصْرِ الخَالِـــي

لَيَـــــالِيَ رَيْعَانُ الشَّبَابُ مُسَلَّطٌ عَلَيَّ بِعِصْيَانِ الأَمَـــــارَةِ وَ الخَالِ

وَ إِذَا أَنَـــا خِدنٌ لِلغَوِيِّ أَخِي الصِّبَا وَ لِلغَزَلِ المِرِّيحِ ذِي اللَّهْوِ وَ الخَـــالِ

لَيَـــــالِيَ تُكْنَى تَسْتَبِينِي بَذَلَّـــهَا وَ بِالنَّظَرِ الفَتَّانِ وَ الخَدِّ وَ الخَـــــالِ

إِذَا سَكَنَـــتْ رَبْعًا رَئِمَتْ رِبَاعَهَا كَمَا رَئِمَ المِثْنَاءَ ذُو الرَّيْثَةِ الخَالِـــي

وَ يَقْتَادُنِي مِنْهَـــا رَخِيمٌ دَلاَلُـــهُ كَمَا اقْتَادَ مُهْراً حِينَ يَأْلَفُهُ الخَالِـــي

إن توظيفَ الشّاعرِ لكلمة تتكررُ دائماً هي قافيةُ أبياته، إشارةٌ أخرى إلى أنّ الشعراءَ القُدامى قد امتطوا السيميوطيقا بمعناها الحديث، إذْ تعددتْ أساليبُ استخدامها، كما يبدو في هذه الأبيات الشعرية التي تنوعت فيها معاني كلمة (الخال).

إذ تحتاجُ من القارئ دراية واسعةً بمفرداتِ الكلمِ العربي ومقاصده ومدلولاته.

(فالخالُ) لو وردت في بيت واحد لأمكنك أن تجعلَ معانيها تتشعبُ وتختلفُ، عبر فلسفة من سيمياء التأويل تعملُ الفكرَ، وتكدُّ العقلَ.

فيحسدها لك الشاعر في دلالتها المتنوعة عبر سُلَّمٍ تمطيه في ستة أبيات.

فالخالُ التي هي الموضع في البيت الأول وهي الماضي في الثاني، والعجب في الثالث، والذي لا زوجة له في الرابع، وفي الخامسِ النقطةُ السَّوْدَاءُ، والسادس الذي ليس له مُعِينٌ، والسابع الذي يسوسُ الدواب(70).

ومن هذه التخريجات تنشأ أساليبُ بديعيةٌ، لها أثرها في جماليةِ ورونقِ الشِّعْرِ.

ومثل هذا ما أنشده المدائني للخليلِ بنِ أحمدَ :

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِن دَوَاعِي الهَوَى ... إِذْ رَحَلَ الجيرانُ عِنْدَ الغُـــرُوبْ

أَتْبَـــعْتُهم طَرْفِي وَ قَدْ أَمْنَعُوا ... وَ فَيْضَ عَيْنِيَّ كَفَيْضِ الغُـــرُوبْ

بَانُوا وَفِيهِم حُرَّةٌ طَفْـــلَةٌ ... تَفْتُرُّ عَنْ مَكْنُونِ حبِّ الغُـــرُوبْ

فأنت ترى أن القافيةَ تتكررُ في الأبيات الثلاثة، ولكنَّ دلالتها تختلفُ و تتباينُ في كُلِّ بيت.

فلفظةُ الغروب في البيت الأول تعني غروبَ الشمس، و الغروب في البيت الثاني، يعني جَمْعَ غَرْبٍ وهو الدلو الكبيرة، و الغروب الثالث عنى به الشاعر الكفرى وهو الطلع(71).

إنَّ الشاعرَ يتلاعبُ بألفاظ المدونة، التي اتفقتْ حروفُها، واختلفتْ معناها، وهذا نهجٌ سيميائي، صَعْبٌ و طويلٌ سُلَّمُه، لا يرتقيه إلا الذي يعلمه سواء أكان المبدع أو المتلقي ، إنه مجالٌ شعري خصب لا يصولُ فيه، و لا يجولُ، إلا اليلمعي الخندين، القادرُ على تحريكِ هذه الاستخدامات الدلالية في مَوْضِعها المناسبِ كما يحدده السياقُ، وطبيعةُ

الهدف الذي يروم تحقيقه من خلال الأدوات اللغوية، من جهة وما يلحقه من إضافةٍ وإرداف في توسيع آفاق الدلالة، والمد في أبعاد التأويل.

إنَّ اهتمامَ الشعراء عَبْرَ العصور المختلفة، دفعَ الشاعرَ لأن ينحى بالسيميائية منحى مغايراً تتمركزُ إشاراته الدلاليةُ في القافية، فترى كيف تتفقُ الوحداتُ الدلاليةُ في قوافي الأبيات لتتعدد دلالاتُها فتشع على معانٍ مختلفة.

وقد حملت المصنفاتُ العديدَ من هاته الأشعار التي ينحرفُ فيها السياق عن المتداول المعتاد بالتعبيرات المجازية، و الكلمات المتناقضة المختارة بين البدائل المتعددة، لتوصلك إلى نَصٍّ إبداعيٍّ ثانٍ يوازي النصَّ الإبداعيَّ الأوَّلَ.

الإحـــالات

1- لفظ السِّيمِيَاء (بكسر الميم) اسمٌ و مصطلحٌ عربي أصيل، ضرب بجذوره أعماق التراث العربي. لكنَّ بعض الباحثين الأعراب يستعملون لفظ السِّيمِيَائِية (بتسكين الميم ، و منسوبة بنسبة لاداعي لها) و كذلك تمَّ تأنيثها، و هذا غير جائز و لا لازم. و اشتهر هذا الاستعمال المُسَكِّنُ الميم لكونه ترجمة عن اللفظ و المصطلح الأعجمي.

و اعترض بعضهم – كما سيرد خلال هذا البحث – على هذا المصطلح (المسكن الميم) و أشاروا إلى حذف الياء الساكنة الأولى و ذلك تجنبا لالتقاء الساكنين.

و نعنون هذا البحث باللفظ و الاسم و المصطلح العربي التراثي الأصيل ، الذي لا اعتراض عليه ، و لن يكون لأحد مجالات احتجاج حوله.

2- أستاذة مساعدة قسم أ بكلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية بجامعة الشلف ؛ و باحثة في موضوع : الظواهر السيميائية في النص الأدبي العباسي بين الأصالة و الحداثة ؛ إشراف الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار ، بجامعة بوبكر بلقايد – تلمسان.

3- أسرار البلاغة – تحقيق محمد الفاضلي – ص 277.

4- سوم (سماهم ، مسومين ، مسومة ...) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ؛ محمد فؤاد عبد الباقي – 372.

5- سورة البقرة – الآية الكريمة 273

6- سورة آل عمران – الآية الكريمة 14.

7- مختصر تفسير ابن كثير 1 / 270.

8- سورة آل عمران – الآيات الكريمة 123 – 125.

9- مختصر تفسير ابن كثير 316/1.

10- سورة الأعراف – بعض الآية الكريمة 46.

11- سورة الأعراف – بعض الآية الكريمة 48.

12- سورة محمد – بعض الآية الكريمة 30.

13- (يعرفون كلاً بسيماهم) قال ابن عباس : يعرفون أهلَ الجنة ببياض الوجوه ، و أهلَ النّارِ بسوادِ الوجوه.

(يعرفونهم بسيماهم)

يقول الله تعالى إخباراً عن تقريع أهل الأعراف لرجالٍ من صناديد قريش و قادتهم يعرفونهم في النار بسيماهم.

(فلعرفتهم بسيماهم) : لعرفتهم عياناً.

راجع : مختصر تفسير ابن كثير 22/2 – 23 و 336/3

و سأشير إلى هذا المصدر – فيما يأتي – بلفظ المختصر.

14- سورة هود – الآيتان الكريمتان 82 – 83.

15- سورة الذاريات – الآيات الكريمة 31 – 34.

16- المختصر 2 / 228.

17- المختصر 3 / 385.

18- سورة الفتح – بعض الآية الكريمة 29.

19- المختصر 355/3.

20- سورة الرحمن – الآية الكريمة 41.

21- المختصر 420/3.

22- مسلم من الحجاج ، الطهارة : 36 – 37.

23- ابن ماجة ، الزهد : 34.

24- الترمذي ، الجمعة : 74.

25- أحمد بن حنبل : 81 – 1 – 174.

26- اللسان (لسان العرب لابن منظور) 3 / 2159.

27- انظر : مادة (سَوَمَ) : معجم العين للفراهيدي 321/7 – صحاح الجوهري 1955/5 ، جمهرة ابن دريد 257/3 – محيط الفيروزآبادي 135/4 – أساس الزمخشري 469 – لسان ابن منظور 312/12.

28- 2158/3 و ما بعدها.

29- تاج الزبيدي ، مادة سوم ، طبعة بولاق 8 / 350.

30- سورة الفتح – بعض الآية الكريمة 29.

31- محمد سعد الله – مملكة النص.

32- أنظر كتاب دراسة سيميائية و دلالية لذ الرواية والتراث، لعبد الجليل مرتاض، الأبيار، الجزائر، 2004، الصفحة 68.

33- السيمياء والتأويل، رومبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (دط) – (دت)، – 15/4

34- المعجم الوسيط ، أحمد حسن الزيّات و آخرون 468/1. و ينظر معجم الوالد – جبران مسعود 853 و معجم متن اللغة ، محمد رضا 257/3.

35- الموسوعة العربية الميسرة : إشراف : محمد شفيق غربال 1056 و ينظر الموسوعة الثقافية : إشراف حسين سعيد 581.

36- والفرق بين الاشارة والعلامة، أن الإشارة تقتضي وجود طرفي : مرسل (بكسر السين) غرضه الإخبار بشيء ما، ثم الإتفاق عليه، ومستقبل (بكسر الباء)، أما العلامة فهي لا تقتضي وجود هذين الطرفين، أنظر المرجع السابق، الصفحة 70.

37- مروج الذهب للمسعودي ، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1966، 145/2.

38- الجفار، ماء لبني تميم بنجد، وهي بلاد الرمل.

39- المصدر الأسبق، 150/2.

40- عبد الجليل مرتاض، "دراسة سيميائية دلالية في الرواية والتراث" ، الصفحة 73.

41- المختصر 244/1

42- سورة الحجر – الآية الكريمة 75

43- دراسة سيميائية دلالية في الرواية و التراث – ص 74.

و قد أثر ابن خلدون تسمية (السيمياء) بـ (علم أسرار الحروف) و قد تناولها في حديثه عن السحر ، و ذكر أن الفلاسفة يسمونها في باب الشعوذة (مقدمة ابن خلدون 273 – 275)

و تؤكد دائرة المعارف الإسلامية أن لفظة (سيمياء) من الكلمات العربية القديمة التي تعني السِّمة أو الإشارة أو الإشْعَار و أنها استخدمت في الأصل للإشارة إلى معاني السحر ، و قد أُطْلِقَتْ على علم الطلاسم بصورة عامة. (دائرة المعارف الإسلامية 20/13 -21).

44- لما سُئِلَ العربُ لماذا تسمون أبناءكم بالأسماء المشينة وعبيدكم بالأسماء المستحسنة؟ أجابوا لأننا نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا " الاشتقاق " لأبن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (دط)، 1995 ، 6/1.

45- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، تحقيق أمين نسيب، خط دار الجيل، بيروت، الصفحة 442.

46- دراسة سيميائية دلالية، الرواية والتراث " لعبد الجليل مرتاض "، الصفحة 82.

47- كان العرب يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، كما هو ثابت في شعر النابغة الذبياني وذي الرمة وزهير و غيرهم.

48- العقد الفريد لأبن عبد ربه، تحقيق : أحمد أمين وزملاؤه، لجنة التأليف والترجمة و النشر، ط 1 – (دت) 361/2

49- أنظر على سبيل المثال : علم الدلالة عند العرب (السيمياء) عاطف القاضي – مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 18 – 19، 1982.

الإشارة : الجذور الفلسفية و النظرية اللسانية – بسام بركة – مجلة الفكر العربي المعاصر – العدد 30 – 31 ، 1984

تيارات في السيمياء : عادل فاخوري ضمن كتاب (الموسوعة الفلسفية العربية) المجلد الثاني – إشراف د. محمد زيان.

50- ص 10 – 11.

51- مملكة النص – ص 14.

52- كتاب الرياض، العدد 47، أكتوبر 1997، عن مقالة : قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهاية التأويل، الصفحة 337.

C.f greimaret courtes sémiotique. (sémiologie) -53

M.arrivé, la semiotique litteraire, in la semiotique, l'école de paris. P 128 -54

55- الخطيئة والتفكير للغذامي، ص 42 – 43، عن المرجع السابق ، الصفحة 339.

56- المرجع السابق، عن نفس المرجع، الصفحة نفسها.

57- المرجع السابق، الصفحة 343.

58- دليل الناقد الأدبي، البازغي و الرويلي - ط3 - (دت) - الصفحة 177 - 178.

59- Graimast gourtés , op. cit. p. 339

60- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

61- المرجع السابق، الصفحة341.

62- George mounin , introduction a la sémiologie paris . minint. P.m. - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

63- F.de saussure, cours de linguistique général intro,3. - عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

64- G.Kristeva. Op .cit . t.m.p 703 - عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

65- Bloomfield In.f.martinet .la sémiologie. p67 - عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.

66- كتاب الرياض. العدد 46 . 1997 قراءة النص بين محدودية الإستعمال. و لا نهاية التأويل لعبد المالك مرتاض الصفحة 344. و قد أوجد الباحثون دراسات تندرج تحت هذا المصطلح: كالسيميائية بالطبيعة و السيميائية الكونى. و البوسيميائية و الحكم السيميائي.و الشحنة السيميائية. و التحليل السيميائي. و الإنتو سيميائية. و الحقل السيميائي.و النمو السيميائي. و كثر من هذا المصطلحات المبثقة من تمهيد مفهوم السيميائية. راجع كتاب دليل الناقد الأدبي. ط3- الصفحة 177-178.

67- دراسات في الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام/ قضايا وظواهر، للأستاذ الدكتور : رضوان محمد حسين النجار، مطبعة بوصالي - تلمسان - الجزائر - ط 2 - 1429 هـ/2009 م، هامش صفحة 203 - 204.

68- المرجع السابق، الصفحة 187.

69- المرجع السابق، الصفحة 202.

70- نصرة الإغريض في نصرة القريض، تأليف : المظفرين الفضل العلوي - تحقيق الدكتوره : لمى عارف الحسن، مطبعة الطويني - دمشق - 1396 هـ / 1976م - الصفحة 94 - 95.

71- المصدر السابق - ص 93

أغراضيات المعتمد بن عباد

دراسة في الموازنة الشعرية

بقلم : أ.بن منصور أمينة.

مراجعة : أ.د/بومدين كروم.

لقد شهد العصر العباسي تطوراً حضاريا ملحوظا عم الحياة الاجتماعية والثقافية و السياسية، ذاق الإنسان في أجوائه طعم الترف ، و انساق وراء الزخرف ، وهو إحساس طال الأدب أيضا ؛ فمالت طائفة من الشعراء إلى العناية بالصورة اللفظية وإثقالها بالمحسنات البديعية وتعميق معانيها بالغموض والتكلّف، وعلى رأس هذه الطائفة أبو تمام ومسلم بن الوليد وغيرهما ممن صنفهم النقاد ضمن مدرسة أنصار الصنعة ، على حين بقيت طائفة أخرى تحذو حذو الأوائل في العناية بعذوبة العبارة وبساطة العرض مع الإقلال من الزخرف اللفظي، و قد مثل هذه الطائفة البحتري وأبو العتاهية و غيرهما ،و هؤلاء معدودون عند النقاد في زمرة أنصار الطبع.

و طبيعي و الحال تلك أن تكون هناك محاولات للترجيح بين المدرستين و المفاضلة بينهما ، فظهر ما يعرف بالموازنة ، و لعل أول من سبق إلى هذا المنهج في الدراسات الأدبية ، الآمدي(ت 370هـ) في كتابه : الموازنة بين الطائيين ، الذي كان تلبية لحاجة علمية ملحّة سببها ذلك الصراع الدائر حول مذهب الأوائل .

Abstract

Most of the specialized scientific research and modernist concepts that fill the yard of cash and are only literature translated formats, what was prevalent in the Arab heritage, the term intertextuality, and the issue of altered and the signified and the term semiotics and displacement, and others.

They share elements with each other in a linguistic system and multi-functional, moving cash from disclosing meaning, so it meant a significant way, but not of significance. The tools cohesion script which recognizes Bnasih of the text and the value of the link between words and vocabulary compositions, Alaúgaha ... Of linguistic theories that guided them and Arab scholars carry features of semiotics that moves the meaning to Alamih series require to bring additional meanings and connotations second and make the reader his creative feet enrich and extend the meaning of prospects.

Keywords: semiotics, interpretive, Hermnoutiqa, the meaning compositional, semantics seconds.

Résume

Que la plupart des recherches scientifiques spécialisées et concepts modernistes qui remplissent les critiques de la cour et de la littérature ne sont que des versions localisées, ce qui était très répandu dans le patrimoine arabe, le terme intertextualité, et la question de l'altération et le signifié et la sémiotique et le déplacement terme, et d'autres.

Ils partagent des éléments les uns avec les autres dans un linguiste fonctions du système Amtadd, se déplaçant en espèces de divulguer sens, si cela signifiait une manière significative, mais pas d'importance. Le script de la cohésion des outils qui reconnaît Bnasih du texte et la valeur du lien entre les mots et les compositions de vocabulaire, Alaúgaha ... Des théories linguistiques qui les ont guidés et savants arabes portent caractéristiques de la sémiotique qui déplace le sens de série Alamih besoin pour apporter des significations et des connotations supplémentaires deuxième et inciter le lecteur à ses pieds créatifs enrichir et étendre le sens de perspectives.
Mots-clés: sémiotique, d'interprétation, Hermnoutiqa, le sens de la composition, la sémantique secondes.

ملخص

إن أغلب البحوث العلمية المتخصصة والمفاهيم الحداثية التي تملأ ساحة النقد والأدب ما هي إلا صيغ مترجمة ، لما كان سائدا في تراثنا العربي ، لمصطلح التناص ، وقضية الدال والمدلول ومصطلح السيميائية والإنزياح وغيرها .

وهي عناصر تشترك مع بعضها في نظام لغوي متعدد الوظائف ، تتجه بالنقد من الكشف عن المعنى ، فيكون المقصود طريقة الدلالة ، وليست الدلالة. كما أن أدوات التماسك النصي التي تقر بنصية النص وقيمة الربط بين ألفاظ التراكيب ومفرداتها، وعلائقها... من النظريات اللغوية التي اهتدى إليها علماء العربية والتي تحمل ملامح السيميائية التي ينتقل فيها المعنى إلى سلسلة علامية تستدعي إحضار المعاني الإضافية والدلالات الثانية وتجعل القارئ مبدعا له قدم إثراء المعنى وتمديد آفاقه .

الكلمات المفتاحية : السيميائية ، التأويلية ، الهرمنوطيقا ، المعنى التركيبي ، دلالات الثواني.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

إنّ الباحث في المفاهيم السيميائية في التراث العربي ، و نماذجه الفنية ، سيجد الكثير من الأصول الإستيمولوجية القاعدية ، التي يقوم عليها النتاج الفني، من مطالب فنية التي تسير وفق منحى التَّعدُّد ، و الانفتاح ، و الخروج عن هيمنة الدّال في رحاب المدلول ، و الذي يمارس بدوره هيمنة يصعب في كثير من الأحيان تجاوزها إلاّ بفعل التأويل ، و كسر حدود اللغة إلى الإحتمال الذي يتبناه النقد ، من خلال إجراءاته التحليلية و آلياته المنهجية ، التي كانت أداة مطواع في أيدي النقاد القُدامى الذين كان لهم الرأي الفصل في أهم القضايا تعقيداً. و هذا ما يثبت فضل السبق و المزية لعلماء العربية ، اذ بفضل جهودهم في البحث اللغوي والبلاغي ، استطاع الباحثون ، الذين انتبهوا إلى أهمية التراث، كمنطلق و أساس في تبني المفاهيم الحداثية ، و المذاهب العلمية الجديدة، دون الإعتقاد المطلق بايجابيتها أن يُهيكلوا اللغة العربية بميكانيزمات تكنولوجية ، و مستلزمات تقنية في بناء قواعد آلية المفردات المدوّنة العربية.

ذلك أن الإنبهار الحاصل بالنظريات الوافدة التي يقع التصوّر حولها ، وكأنّها حقائق علمية تابتة ، لا يجوز بأيّ حال من الأحوال أن يُثبت في الجدل ، مع تجاهل قيمة التراث العلمي العربي لجهلهم به ، أو لإعتقادهم أنّ كلَّ مسائله، قد أتوا عليها ، و لم يبق شيئاً لم يفصل فيه.

و هذا لبُّ الإشكالية ، التي أردنا أن نوضح مغاليطها التي أفرزتها الظّروف ، والشعور بالرغبة في التَّغيير ، و الإحساس بالتّجديد ، الّذي استلهم كلَّ الجهود ، وأثار كلّ الاهتمام.

و قد توخيّنا لأجل ذلك ، أساليب الإقناع و قرع الحجة بالحجة ، و تقديم الطروحات العربية ، و ما يقابلها في الفكر الغربي ، فيما يُشابه و يُناظر ، و نزعنا إلى سبر أغوار التراث برؤية حداثية معاصرة ، فقصدنا التَّمعّن في الآراء العلمية المستحدثة ، باحثين عن منابعها الأصلية و مظانها الأولى في عمق التراث، فيتغيَّر المصطلح ويظل المفهوم هو نفسه ، الذي وقع عليه الأسبقون.

و قد قسمت مادة بحثي وفق المنهاج العلمي الآتي :

المقدمة

التمهيد : تطرقت فيه إلى الحديث عن المفهوم اللغوي و البياني للسيمياء في الفكر العربي.

الفصل الأوّل : يتناول الحديث عن السيميائية في التراث و علماؤها من العرب و يتفرّع إلى مبحثين :

المبحث الأوّل : ظاهرة التأويل في الفكر الإسلامي

المبحث الثاني : المعنى التركيبي و دلالات الثواني للنص الأدبي العباسي.

الفصل الثاني : و يتحدّث عن النشاط الرؤوي و الطروحات النقدية للقدامى و قسمته إلى مبحثين أيضا.

المبحث الأوّل : الأنظمة اللغوية للوحدة الإفرادية للنص الأدبي العباسي.

المبحث الثاني : المناهج المعتمدة في دراسة الأدب الجاحظ انموذجا.

الفصل الثالث : مقاربات بين النظرية النقدية القديمة و المعاصرة ، و هو فصل يستبين الأصول و الفروع ، و استطالت مباحثه إلى ثلاثة :

المبحث الأوّل : معنى المعنى بين عبد القاهر الجرجاني و رولان بارت.

المبحث الثاني : نظرية التعليق بين عبد القاهر الجرجاني و جون كوهين.

المبحث الثالث : فائض المعنى بين عبد القاهر الجرجاني و ميشال ريفاتير.

الفصل الرابع : و سأتطرق فيه إلى التحليل السيميائي لنماذج إبداعية من الشعر و النثر من العصر العباسي الأوّل ، و العصر العباسي الثاني ، و ذلك وفق منهج يأتلف فيه النموذج العربي و الغربي على السواء ، و مباحثه توسم كالآتي:

المبحث الأوّل : التّحليل السيميائي لنماذج إبداعية من العصر العباسي الأوّل من الشعر و النثر.

المبحث الثاني : التحليل السيميائي لنماذج إبداعية من العصر العباسي الثاني من الشعر و النثر.

الخاتمة:

و أنا أحاول أن أقرأ في تلك النّصوص التي تمثلت بها في متن البحث ، وأستقرئها عبارة ، عبارة ، لأستخرج المصطلحات و الآليات المقاربة ، لما وجد في النظريات الحديثة و أصل القرائن المقابلة ، و المضامين المشابهة بين القديم والمستحدث ، مشكلة قاعدة و أساس لأفكار ، و مقاصد لا تزال معالمها تخريجة جديدة ، إلاّ أنّها آخذة من الأصالة و بعمق فَوجدت نفسي إزاءها مقتفيةً لسناد المنهج الشمولي ، الذي منحني القدرة على تطويق هذا الزخم المعرفي المتشطي وأوتقه بجذورها ومنطلقاتها الأولى.

و اعتمدت على جملة من الكتب في مجال التخصص وكانت لي عمدةً وأساس فيما دنوت إليه من نتائج وطروحات، كمصادر التراث: دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة ، والبيان...

و مراجع تخص جانب النَّحو و الدّلالة و قضايا اللّسان، ككتاب: نظرية المعنى في الدّراسات النحوية للدكتور كريم حسين ناصح الخالدي، وكتاب الدكتور والباحث عبد الرحمن الحاج صالح ، "بحوث و دراسات في اللّسانيات العربية".

و كتاب الدكتور عبد الجليل مرتاض "دراسة سيميائية و دلالية في الرواية والتراث" و كتب أخرى لعبد الحميد بورايو و غيرها ...

و من المجلات أذكر مجلة دراسات أدبية و لسانية. و هي مجلة فصلية تصدر من المغرب ، و مجلة السيميائية ، التي تصدر عن جامعة وهران و هي من أهم المجلات المنصفة للتراث. و تُحاول أن تثبت أسس علمية منهجية في التّعامل مع النُّصوص الإبداعية ، و تعطي منزلة للقديم.

و تعترف بأهميته ، بإجراء مقايسة بين ما يُساويه من طرح حديث.

و لا يفوتني أن أثني بالشكر الجزيل ، و الدُّعاء الذي لا ينقطع بدوام العلو ، وطوال العمر في طاعة الله و في إثراء ساحة الأدب ، بمزيد من الإبداع و التأليف والعطاء ، لأستاذنا الفاضل الدكتور رضوان محمد حسين النجار، الذي تحمّل مشقة الإشراف على هذا البحث بتوجيهاته الأكاديمية ، و نصائحه العلمية ، حول مادة البحث ، و تقسيماتها القويمة ، و إلحاحه على الأمانة العلمية والحث على المزيد من الإجتهاد.

كما أمدَّ البحث بأهم مصادره و مراجعه ، جزاه الله أحسن الجزاء.

و بفضل الله و حمده ، أتمّ البحث.

11 مارس 2011

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the prophet Mohammed prophets and messengers.

The researcher at the concepts of semiotics in the Arab heritage, and technical models, will find a lot of assets Alastimologih the basal, upon which the artistic output of the demands that are going technical according plurality trend, and openness, and exit from the dominance of the signifier in Rehab signified, and who exercises turn dominance is difficult in many cases exceeded only by interpretation, and break the limits of language to the potential which is adopted by the criticism, through analytical procedures and mechanisms of the methodology, which was supple tool in the hands of critics veterans who had them Chapter opinion in the most complex issues. This proves preferred lead and an advantage for scientists Arab, because thanks to their efforts in search of linguistic and rhetorical, researchers were able, who are aware of the importance of heritage, as a starting point and basis to adopt the concepts modernist, and doctrines of new scientific, without the belief of absolute Baijabitha that Ihikloa Arabic Bmikanezmat technological and technical requirements in the construction of the rules of the mechanism Blog English vocabulary.

The fascination winning theories inflows, which is located perception around, like scientific facts Tapth, shall not in any way prove that in the debate, ignoring the

value of the scientific heritage of Arab ignorance of it, or because they thought that all accountable, have come to, and not left anything not separating it.

This core of the problem, that we wanted to make it clear Mgalaitha created by the circumstances, and the feeling of wanting to change, and a sense of renewal, which was inspired by all the efforts, and raised all the attention. And may توخينا to order it, the methods of persuasion and percussion argument is the argument, and make proposals Arabic, and the equivalent in Western thought, while similar, and corresponds to, and نزعنا to fathom the heritage vision modernist contemporary Vqsdna reflect scientific consensus developed, researchers for their headwaters Originally and first مظانها in depth heritage, change their minds the term and the concept remains the same, which suffered the Alosbakon.

And have been divided according to research material science curriculum follows:

Submitted

Boot: touched it to talk about the concept of linguistic and chart Semiae in Arab thought.

Chapter I: addresses the talk about semiotics in heritage and scientists of the Arabs and is divided into two sections:

The first topic: the phenomenon in the interpretation of Islamic Thought The second topic: compositional meaning and connotations seconds of the Abbasid literary text.

Chapter II: And talking about respiratory activity and propositions cash for veterans and also divided into two sections.

The first topic: linguistic systems of the individual unit of the Abbasid literary text.

The second topic: the approved curriculum in the study of of bigeye a model literature.

Chapter III: between monetary theory approaches ancient and contemporary, and is separate asset يستبين and branches, and Asttalt the مباحثه to three:

The first topic: the meaning of meaning between Abdul omnipotent Jarjaani and Roland Barthes.

The second topic: the theory of suspension between Abdul omnipotent Jarjaani and John Cohen.

The third topic: the surplus of meaning between Abdul omnipotent Jarjaani and Michel Rafatyr.

Chapter IV: and I will address it to the semiotic analysis of innovative models of poetry and prose of the first Abbasid era, and the second Abbasid, and according to Aotlv approach which form the Arab and Western alike, and مباحثه labeled as follows:

The first topic: the semiotic analysis of innovative models of the first Abbasid era of poetry and prose.

The second topic: the semiotic analysis of innovative models of the second Abbasid of poetry and prose.

Conclusion:

And I try to read in those texts which were represented in the board search, Ostqriha phrase, the words, the extracted terms and mechanisms approach, what is found in modern theories and out of clues interview, and content similar between the old and the Creator, the problem of the base and the basis of the ideas, and purposes not still landmarks discharged new, but they are of originality and I found myself deeply against which tracking to brace holistic approach, which gave me the ability to surround this the cognitive Almichti momentum and Ottgah root and its premises first.

And relied on a series of books in the area of specialization and I had a mayor and basis دنوت to the results of the proposals, sources Heritage: signs of miracles and mysteries of rhetoric, and the statement ...

And references related to the grammar and the significance and the issues of the tongue, as a book: the theory of meaning in the studies of Dr. Karim grammatical Hussein Khalidi mentor, and Book Researcher Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh, "research and studies in linguistics."

And the book by Dr. Abdul Jalil Mrtad of "Semiotics and study the tag in the novel and Heritage" and other books Abdul Hamid Burajo and other ... And from magazines mention literary studies and lingual. And is a quarterly magazine published from Morocco, and semiotics magazine, published by the University of Oran and is one of the most important magazines Heritage Fair. And trying to prove the foundations of scientific methodology in dealing with the creative texts, and gives the status of the road.

And recognize its importance, an assay between what is worth it to ask an interview.

And I can not fail to pay tribute to thank, and pray that does not cut off time height, and a lifetime in obedience to God and to enrich Square literature, more creativity and authoring and tender, for our teacher Mr. Dr. Radwan Mohamed Hussein al-Najjar, who have endured hardship overseeing this search بتوجيهاته academic and scientific advice on the subject matter, and subdivisions orthodoxy, and the urgency of scientific integrity and encourage more diligence.

As long the most important sources of research and review, Parts of God the best penalty box.

And thanks and praise of God, did research.

March 11, 2011

خـــاتمـــــة

و من خلال ما سبق ، نصل إلى أنّ المفاهيم الحداثية التي تملأ ساحة النقد و الأدب ، ما هي إلاّ تحوير ، و إعادة تركيب كما كان سائداً في التراث العربي.

فما يكتب عن التناص في زماننا ، ما هو إلاّ مفهوم آخر كما تناقش فيه الجرجاني ، و غيّره عن الأخذ الأدبي.

و قضية الدّال و المدلول ، كذلك ما هي إلاّ صورة تقابلية لقضية اللفظ و المعنى ، الذي بثّ فيها الجرجاني الرأي الفصل.

و ما السيميائية كذلك إلاّ ترجمة لبعض المفاهيم البلاغية التي كانت سائدة في الدراسات البلاغية.

و ما ورد في دلائل الإعجاز عن معنى المعنى في القرن الخامس للهجرة، ليس إلاّ البراقماتية و التداولية التي تعني بمفهومها السيميائي ، الذي لا يزال غير واضح في الأذهان ، أو ما أسموه بالمسكوت عنه في الكلام ، أو مقولات الغياب أو الخطاب المسنّن ، و من الأسلوبية إلاّ وجه آخر لما كان سائداً في بحوث المعاني و البديع في البلاغة العربية.

و ما كان يطلق عليه بالعدول في البلاغة العربية ، ليس إلاّ الإنزياح بالمصطلح السيميائي أو الإنحراف أو الفجوة.

و كلّ هذه المفاهيم ستُشكل عناصر متكاملة فيما بينها ، تخضع لمستويات متعدّدة في نظام متعدّد الوظائف ، يتّجه بالنّقد من الكشف عن المعنى إلى فهم الكيفية التي أنتجت المعنى ، فلا يكون المقصود الدّلالة بل طريقة الدّلالة.

كما أن المنهج اللغوي ، الذي أقام عليه الجرجاني فلسفته اللغوية ، قد أقرَّ بكثير من خصائص الصياغة اللغوية. فالنظم و السياق ، و معاني النحو و الاستخدام المجازي ... كلّها أدوات جيء بها لخدمة المعنى ، الذي يجعل من لغة الأدب لغة نوعية، تميّزها مجموع العلاقات ، و الروابط ، التي تحكم أجزاء العمل و عباراته.

و الجاحظ كان قبله قد اهتدى إلى قيمة الربط و التناسق بين ألفاظ التراكيب ، فعنى بطبيعة المفردات و مكوناتها ، و تمعَّن في ضوابطها ، و علائقها، فميّز في ضوئها بين القيم و الفوارق في مستويات الآداء اللّغوي.

و في ظلّ هذه النظرية التي ترتكز على أهمية المدلولات ، التي تشكلّها الاستخدامات البيانية تكوّن النقد ، الذي يحمل الملامح السيميائية التي ينتقل فيها المعنى ، مكونا سلسلة علامية تستدعي إحضار جملة من المعاني الإضافية و الدّلالات الثائية المقابلة للتجديد و الإثراء مع كلّ حدث قرائي.

ثمّ جاء علماء العرب ، فبنوا نظرياتهم على ما انتهى إليه علماؤنا ، فركزوا على أهمية المعنى و الإجراءات اللغوية لأدائه.

Conclusion

Through the above, we get to the concepts that fill the yard modernist criticism and literature, is only a modification, and re-installation as was prevalent in the Arab heritage.

What writes about Altnas in our time, is only another concept as discuss the Jorjani, and others from taking literary.

And the issue of the signifier and the signified, as well as what only تقابلية picture to the issue of pronunciation and meaning, which was broadcast Jarjaani Chapter opinion.

And what semiotics as well as only a translation of some of the rhetorical concepts that were prevalent in rhetorical studies.

And what is stated in evidence of miracles about the meaning of meaning in the fifth century of migration, not only Albracmatah and deliberative which means sense semiotic, which is still not clear in the mind, or what they called Palmscott him to speak, or categories of absence or speech dentate, and of stylistic However, another aspect of what was prevalent in the research and Budaiya meanings in Arabic rhetoric.

And what has been called the reverse in Arab rhetoric, not only shift the term semiotic deviation or gap.

And each of these concepts will be integrated elements among them, are subject to multiple levels in a multi-functional system, moving cash from disclosing to understand how meaning that produced meaning, it is not intended significance, but significant way.

The linguistic approach, who raised him Jorjani the philosophy of language, has adopted much of the language properties. And systems are context, and the meaning of grammar and usage figuratively ... All tools were brought out to serve meaning, which

makes the language of literature quality, excellence total relations, and links, which control parts of the work and his words.

And bigeye before him had converted to the value of connectivity and consistency between words compositions, Fny course vocabulary, components, and reflect on controls, and Alaúvha the, Femiz in the light of the values and the differences in the levels of linguistic performance.

In light of this theory, which is based on the importance of idiom, posed uses graphs be cash, which carries the features of semiotics which moves sense, a series Alamih component requires to bring a number of additional meanings and connotations الثائية corresponding to the renewal and enrichment with all my readers. Then came the Arab scientists, they built their theories on what ended our scientists, Frckzoa the importance of linguistic meaning and procedures for his performance.

الفهـــــرس

المقدمة أ

التمهيد : 02

الفصل الأوّل : السيميائية و علماؤها العرب . 47

المبحث الأوّل : ظاهرة التأويل في الفكر الإسلامي. 49

المبحث الثاني : المعنى التركيبي و دلالات الثواني للنص الأدبي العباسي. 88

الفصل الثاني : النشاط الرؤوي و الطروحات النقدية للقدامى . 122

المبحث الأوّل : الأنظمة اللغوية للوحدة الإفرادية للنص الأدبي العباسي. 124

المبحث الثاني : المناهج المعتمدة في دراسة الأدب (المنهج السيميائي لدى الجاحظ انموذجا) 152

الفصل الثالث : مقاربات بين النظرية النقدية القديمة و المعاصرة. 167

المبحث الأوّل : معنى المعنى بين الجرجاني و رولان بارت. 171

المبحث الثاني : نظرية التعليق بين الجرجاني و جون كوهين. 197

المبحث الثالث : فائض المعنى بين الجرجاني و ميشال ريفاتير. 212

الفصل الرابع : تحليل سيميائي لنماذج إبداعية من الشعر و النثر من العصر العباسي الأوّل و الثاني. 220

المبحث الأوّل : التّحليل السيميائي لنماذج إبداعية من العصر العباسي الأوّل . 222

المبحث الثاني : التحليل السيميائي لنماذج إبداعية من العصر العباسي الثاني. 252

الخاتمة. 294

قائمة المصادر و المراجع. 297

الفهرس 312